

اَشْنَاءُ اِلَهِیِّ الْعَبَادِ فَرِحَ

اَللّٰهُمَّ قُوْنِيْ بِمَكْرَمَتِكَ

كَارِ الْاِيْمَانِ وَالْحَيَاةِ

إشادات العارفين



إشادات العارفين	الكتاب
الشيخ فوزي محمد أبو زيد	المؤلف
غرة ربيع الأول ١٤٣٨ هـ، ١ ديسمبر ٢٠١٦ م	الطبعة
الكتاب: التاسع والتسعون من المطبوع	كتاب رقم
أسئلة صوفية، الكتاب الثالث	سلسلة
٢٥٦ ص * ٨٠ جم / ١٧ * ٢٤، ١ لون	الداخل
كوشيه لامع * ٣٠٠ جم * ٤ لون، سلوفان لميع	الغلاف
دار الإيمان والحياة، ١١٤ شه ١٠٥، المعادى، القاهرة، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨	إشراف
٢٠١٦/٢٥٢٧٤	إيداع محلي
978-977-90-4469-9	ترقيم دولي
مطابع النوبار بالعبور	طباعة



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ...

علم القرآن وأفاض روح البيان، على قلوب أهل العرفان والإيقان، وجعلهم
يترجمون عن مراد الرحمن وهدى النبي العدنان في نصائحهم ووعظهم وإرشادهم
وتوجيههم لأهل الإسلام والإيمان....

والصلاة والسلام على كنز كنوز الهدى وسر مشاهد العيان ومربي الورثة الأفراد
والأعيان في كل زمان ومكان سيدنا محمد، وآله أهل الإيقان وصحابته أهل الصدق
والإحسان ... وكل من تبعهم على هذا الهدى والنهج المصان إلى يوم الجمع على حضرة
الرحمن آمين يا رب العالمين

وبعد ...

إن العارفين الصادقين الذين سلكوا مقام التحقيق بعد أن تأهلوا بالشرع الدقيق
وعملوا به حتى ظهرت لهم لوامع أنوار التحقيق واجتباهم الله ﷻ بعد أن هداهم به إليه،
جعل لهم الله قدم صدق عنده سبحانه ليقوموا باصطحاب إخوانهم ودلالة أحبابهم على
الطريق السوي الموصل إلى رضوان ربهم ﷻ.

والعارفون الصادقون في هذا الميدان يسرون إلى حال: (لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم) فلا يكون لهم حال إلا ما يمدهم به الله ﷻ، ولا علم إلا ما يتنزل على
قلوبهم من ربهم في مواجهة أحبابهم، وهو الرزق الذي يسوقه الله ﷻ إلى الأحباب من
العلوم الوهية على لسان الأولياء والصالحين والأنجاء والأقطاب.

وفي هذه العلوم التي تنزل من باب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢) ..

أو من خزانة فضل جود الله سبحانه وتعالى بسرِّ قوله تعالى :



﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥ الكهف)

إذا لم يكن للحاضر قلب صاف صادق مؤهل للتلقي عن حضرة الله ...! فقد تضل الفهوم، لأنه يسمع بعقله وفكره .. وهذه العلوم التي هي تنزلات من حضرة الحي القيوم! يشربها المرید بذوقه! ويفقهها بعقله .. ولذا تسمى علوم الأذواق، أو علوم القلوب، أو العلوم الوهية، أو العلوم اللدنية، أو العلوم الفيضية، أو علوم الإشارات ... وكلها ذوق في أسرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ...

وقد يكون القائل لهذه العلوم يرمز لها بإشارات في عبارات مقتضبة حتى لا تفك معانيها إلا لأهلها عملاً بقوله ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ لَكُمُ الْبَيَانَ ، كَلَّ الْبَيَانَ }^١

فمن لم يكن من أهلها وقف عندها بل ربما اعترض عليها وأولها بفكره وعقله بما لا يناسب ما يريد قائلها، ربما يرجع لهذا السبب سر اعتراض عدد كبير من الفلاسفة والمتعلمين على عبارات وإشارات الصالحين.

وقد جمع الأحاب كثيراً من هذه العبارات وعرضوها علينا لإظهار الوجه الصحيح لها وتبرئة قائلها مما نسب إليه الجهال والمدعين

وقد تمكنا بفضل الله ﷻ وإمداداته وإلهامته العالية واشرفاته من بيان معانيها وتبيان الفحوى التي يريد أن يوصلها إلينا قائلوها وسميها "إشارات العارفين" لعنا بذلك قد أزلنا اللبس والغموض بهذه العبارات وفككنا المضمون الصحيح الذي تحتوى عليه هذه الإشارات، والله ﷻ الفضل والمنة في كل حال.

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا أذواقاً إلهية قلبية وفهماً عالياً زاكياً في الإشارات القرآنية والأحاديث النبوية وأن يرزقنا التسليم للعارفين السابقين ويمنحنا الفهم السديد لقولهم الرشيد في كل وقت وحين.

١ المعجم الكبير للطبراني عن أبي إمامة ؓ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران)

وصلى الله وسلم وبارك على إمام الأتقياء وملهم السعداء

سيدنا محمد وآله الأصفياء ... وأصحابه النجباء وكل من تبعه على هذا
الهدي الحكيم إلى يوم العرض والجزاء.

الجميزة - غربية ... مساء ثالث أيام عيد الأضحى المبارك

الأربعاء ١٢ من ذو الحجة ١٤٣٧ هـ

الموافق ١٤ من سبتمبر ٢٠١٦ م

فوزي محمد فوزي

البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت : WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني : fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

تمهيد

قبل أن نجيب على الأسئلة أود أن أوضح منهجنا في الآتي:

نحن ملتزمون بمنهج الصوفية المعتدلين والمحافظين على الشريعة الإلهية وعلى السنة المحمدية، ويعتمدون في أقوالهم وكتاباتهم على الفتوحات الربانية، والفتوحات الربانية لأهل الإستقامة - وإن علت في العبارة ورقت في الإشارة - تكون مفهومة واضحة لكل أهل الإستنارة.

لكن هناك بعض الصوفية خلطوا علوم الصوفية بالفلسفة لماذا؟ بحجة ترميز هذه العلوم حتى لا يتحملها إلا من وصل إلى مقام كريم في الصفاء والنقاء، وكانت هذه هي حجَّتهم، فألغزوها، أي أن الفلسفة جعلتها كألغاز، وهؤلاء القوم لا يصلح للمبتدئين مطالعة كتبهم.

ولذلك نحن منهجنا لا نُحَيِّد لأحبابنا قراءة كتب الشيخ ابن العربي مع أنه من أكابر الصالحين، ولا السهروردي المقتول - لكن عمر السهروردي صاحب (عوارف المعارف) فهذا رجلٌ من أهل الوسطية فمن يقرأ كتابه (عوارف المعارف) فهو من الكتب العظيمة - ولا الشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو غير الشيخ عبد القادر الجيلاني، فالجيلي رجلٌ يعني، والجيلاني رجل آخر، فنقرأ كتب الجيلاني كـ (الغنية في طريق الله) و (فتوح الغيب) لكن الجيلي له كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر) وغيره أدخلها في الإطار الفلسفي، ومثلهم أيضاً رجلٌ فيلسوف في المغرب اسمه عبد الحق بن سبعين، وهذا من الناس الذين توغلوا في النواحي الفلسفية، ومثله أيضاً صاحب كتاب (المواقف) وهو الشيخ النفري رحمة الله عليه.

هذه الكتب وأشباهها وأمثالها خلطت التصوف بالفلسفة، فلا يُستحب قراءتها لأنها ستُشَتِّت ذهن المريد، لكن نقرأ كتب الصوفية أهل الفتوحات الوهية، لأن قراءتها تجعل الإنسان يستغرق فيها، وتجمع الهم والقلب على الله.

أما الكتب الداخلة فيها المسائل الفلسفية لا بد أن يتدخل فيها الفكر فيتشتت الذهن، ويفترق القلب، فيكون قد أدخل الإنسان في حيرة، وفي أمر آخر لا يصلح له فيه مناجاة ربه، وحسن إقباله عليه ﷺ في سلوكه وسيره إلى الله ﷻ، فنحن لا نُحِبُّ قراءة هذه الكتب للمبتدئين.

فإذا وصل أحدٌ إلى مقام من مقامات اليقين، ويريد أن يتعرف على كلام السابقين، فهذا نقول له لا مانع! ...

ولكن لا تضيع وقتك كله في مثل هذه الكلمات، لأنك قد وصلت مقام اليقين، فاقراً من ألواح رب العالمين التي يقول فيها الله ﷻ في القرآن:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٣﴾ يَشْهَدُهُ الْقُرْبُونُ ﴿٤﴾ ﴾ (المطففين).

فلماذا تحتاج للتأليف أو للكتب التي كتبها فلان أو علان؟! فأنت لست محتاجاً لمثل هذه، بل أنت تحتاج إلى المنهج الذي أخذوه منه، ومن الباب الذي دخلوا فيه، لأنك وصلت لهذه المقامات العلية.

وهذه مقدمة ليعرف إخواننا هذا الكلام، ولماذا أقول هذا الكلام؟

لأن مدعي التصوف في هذا الزمان كثيرٌ

منهم يرتدي زيَّ المشيخة، ويريد أن يجمع حوله المريدون، وكيف يجذبهم؟! !!

بأن يحفظ بعض الكلام العالي للشيخ ابن العربي، أو بعض الكلام العالي للشيخ الجيلي، وعندما يحدثهم به يقولون: هذا الكلام عال جداً من أين أتى به؟! وكيف؟! !!

فهذا الرجل من الصالحين، فيكون الهدف دنيوياً ليجمع حوله هؤلاء القوم.

ولذلك كان سيدنا أبو الحسن الشاذلي رحمه الله عندما يطلب من إخوانه التحدث كان يقول لهم عندما يتكلمون بما حصلوه من علوم الآخرين:

(لا تحدثونا عن غيبتكم، ولكم حدثونا بما فتح الله ﷻ به عليكم) .

أنا أريد ما فتح الله به عليك، لكن كلام فلان أستطيع أن آخذه من كتابه!
وهذا الكلام أوضحه لكي لا نجادل، ولا نصيغ الوقت، ولا نشيت الذهن في عبارات هؤلاء الأقوام التي يختلف فيها الناس بين مؤيد وبين معارض.

ومنهم من يكفرهم، ومنهم من ينفر منهم، وهي أمور كلها نحن في غنى عنها، لأن السالك يريد أن يجمع على الله في كل أوقاته.

وأخطر شيء يخاف منه أن يتفرق قلبه عن الله طرفة عين أو أقل، وهي أمور تؤدي إلى الفرقة والبعد عن الله ﷻ.

ونستفتح باسم الوهاب الأسئلة ... ونجيب بفضل الله وبركة رسول الله عليها، وقد قسم إخواننا بارك الله فيهم هذه الأسئلة بعد أن أجبنا عليها إلى خمس مجموعات لتيسر الاستفادة منها ويسهل الرجوع إليها، وهذه الأقسام الخمس هي:

١ - إشارات العارفين وتلميحاتهم.

٢ - إزالة اللبس والغموض.

٣ - مصطلحات أهل الطريق.

٤ - التصوف والصوفية.

٥ - بين الشيخ والمريد.

ومن أراد الإستزادة في هذا الباب فليراجع كتابينا :

نور الجواب على أسئلة الشباب، والأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إشارات العارفين الباب الأول (٩) إشارات العارفين



الباب الأول

إشارات العارفين

وتلميحاتهم!



الكتاب ٩٩ من المطبوع

فوزي محمد بن أبي بوزيد

إشارات العارفين الباب الأول (١٠) إشارات العارفين

- ١- الدخول مع باب الحب
- ٢- بين العالم والعارف
- ٣- إخلاص الصادق والصديق
- ٤- آخر المقامات ٥- علامة المحبة
- ٦- حقيقة التوكل ٧- التسليم والتفويض
- ٨- الخمول في الطاعة
- ٩- الاستحضار في التشهد
- ١٠- الإنسان الكامل
- ١١- مع إشارات أبي اليزيد البسطامي
- ١٢- معرفة الله ١٣- واجب الوقت
- ١٤- التحقق بمقامات القرب
- ١٥- الموت والحياة بالحق
- ١٦- الصوفية والأنس بالخالق وبالخلق
- ١٧- الجلوس مع الله
- ١٨- الجمع على الله ١٩- زهد المقربين
- ٢٠- سر الوصول ٢١- الرب والعبد
- ٢٢- الطرائق إلى الله ٢٣- الإشارة في معنى الفراق

الباب الأول

إشارات العارفيه وتلميحاتهم



١- الدخول من باب الحب

يقول أحد الصالحين: (نظرتُ إلى أبواب الله فوجدتها كلها مزدحمة إلا باب الحب فلم أجد عليه إلا الواحد بعد الواحد، فدخلتُ منه باب الحب) .

نرجو من فضيلتكم بيان إشارة الرجل الصالح في معنى باب الحب ... ؟ وكيف يمكننا الدخول منه؟



جعل الله ﷻ لمن يريد أن يتقرب إلى حضرته أبواباً مذكورة في كتاب الله، وزادها توضيحاً سيدنا رسول الله ﷺ، وبعضهم سماها طرق، أي طرقاً توصل إلى رضوان الله، وفيها يقول القائل: (إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق) ليس بعدد الخلائق، ولكن بعدد أنفاس الخلائق، وكلها توصل إلى الله ﷻ.

ويعلمها أهل الاختصاص الذين خصَّهم الله ﷻ بهذه الخواص، ورزقهم خالص الإخلاص، وأخذوا من الحبيب المصطفى ﷺ إذناً صريحاً بتوضيح السبيل ليكونوا هم الدليل لمن أراد أن يكون في حمى الله ﷻ له مقبل.

سيدي أبو العباس المرسي رحمه الله كان يريد أن يدخل على شيخه أبي الحسن،



إشادات العارفين الباب الأول (١٢) إشارات العارفين

وحدثت مشادة بينه وبين الخادم - الحاجب - الذي يقف على الباب، وإذا بالشيخ ينادي على الحاجب ويقول له: كيف تمنع أبو العباس؟! والله لأبو العباس أعلم بطرق السماء منك بطرق الأسكندرية!! وطرق السماء ليست كالطرق التي نعلمها، ولكنها طرق السموات التي يسمو بها المرء للقرب من مولاه وهذه الطرق منها طرق العبادات كالصوم والصلاة والصدقة والحج والتسبيح والصلاة على حضرة النبي والإستغفار وخدمة الفقراء والمساكين! ... طرق لا تُعد ولا تُحَد.

سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله وهو صاحب هذه العبارة يعني بقوله ذهبْتُ إلى الأبواب فوجدتها كلها مزدحمة ... فباب الصلاة مزدحم، وكذلك باب العمرة في رمضان، وكذلك باب الحج، وقد أصبح بالقرعة - وكذلك باب الصيام.

فقال: (نظرتُ إلى الأبواب فوجدتها كلها مزدحمة. فنظرتُ إلى باب الحب فلم أجد عليه إلا الواحد بعد الواحد، فدخلتُ منه) ...

وما معنى باب الحب؟ وكيف يدخل الإنسان منه؟

معناه أن يستغرق القلب بالكلية في معاني الحضرة الإلهية، فينشغل صاحبه بالله، وينشغل بالإقبال على الله، ولا يلتفت عن الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل، ولا يتم له ذلك إلا إذا طهر قلبه من المشاغل الكونية، والمشاغل الدنيوية، لأنه لا يجتمع في القلب حب الله وحب الدنيا، قال ﷺ:

{ حُبُّ الدُّنْيَا وَحُبُّ اللَّهِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ أَبَدًا }^٢

إذا دخل حب الدنيا القلب فيخرج منه حب الله ﷻ، ومن يُرد الله ينشغل بالله، ويدخل من باب الحب، فينشغل بجسمه في الدنيا ومصالح الأهل ومصالح نفسه ومصالح الأحباب ومصالح المجتمع، لكن قلبه لا ينشغل إلا بالله ﷻ، وهذا كما قالت السيدة رابعة رحمها الله:

٢ تنبيه الخواطر

إشارات العارفين الباب الأول (١٣) إشارات العارفين

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحث جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل موانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكما قال الشيخ الجنيد رحمه الله: (بقي لي ثلاثون عاماً أخطب الحق في الخلق والخلق يظنون أنني أحدن معهم) فهو يكلم الله في تجلياته التي ظهرت في خلق الله، وهم يظنون أنه يكلمهم، فالله تعالى تجلى علينا بالسمع، فهو يكلم السميع، ويعلم أنه هو السميع تعالى.

والله تجلى علينا بالبصير، فهو لا يرى أحداً ينظر إليه إلا حضرة البصير تعالى، ولا يلتفت إلى نظر الخلق لانشغاله بالكلية بنظر الحق تعالى إليه، ولا يريد أن يسمع ثناءً على حديثه للخلق لأنه يعتقد أنه يكلم الحق.

لكن من يكلم الخلق يريد أن يسمع استحساناً، ويريد أن يسمع ثناءً من المستمعين، ويريد أن يسمع مدحاً من الموجودين، لكن من يتكلم ولا يرى سميعاً له إلا حضرة السميع، فما له وما للخلق؟! فلا ينتظر ثناءً منهم ولا مدحاً ولا حتى كلمة شكر: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١٩ الإنسان) وهذا ما قال فيه الإمام أبو العزائم رحمه الله:

فخلي الخلق خلفك ثم عامل بصدق ذات مولاك العليّة

فيكون إخراج الخلق من القلب، وإخراج الأكوان والدنيا كلها من الفؤاد، ولا يكون في القلب طرفة عين ولا أقل إلا مقلبه تعالى.

قد كان لي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركنت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذاتك يا ديني ودنيائي

فهذا الوصول عن طريق باب المحبة إن شاء الله.



٢- بين العالم والعارف

ما الفرق بين العالم والعارف؟

وهل هناك دليل من القرآن والسنة على كلمة العارف بالله؟



العالم هو الذي درس وتعلم القرآن الكريم وعلومه، والسنة الشريفة وعلومها، والسيرة النبوية وأحداثها، والفقه الإسلامي وأبوابه، فيُسمى عالم لأنه تعلم، والعلم مجاله واسع ولذلك يقول الله تعالى فيه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦ يوسف).

أما العارف فهو الذي عرفه الله بعدما جاهد نفسه، وفتح الله له عين بصيرته لأسرار ذاته، وأنوار صفاته، وحقائق تجلياته، فيعلم ذلك عن طريق علم المكاشفة، من أين هذا الكلام؟ الرجل الذي سأله حضرة النبي:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتُ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَضْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدُ نُورٍ أَيْمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالزَّمْ }^٣

كيف ذلك؟ هي علوم المكاشفة، ولم يقل له النبي: (علمت) ولكن قال له: (عرفت) ومن هذه الكلمة استنبط السلف الصالح كلمة (عارف) من قول النبي (عرفت).

وفيها يقول الله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ (١٧ هود) وفي الآية الأخرى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا أَذْرُكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٥٩﴾﴾

٣ مصنف ابن أبي شيبة



إشادات العارفين الباب الأول (١٥) إشادات العارفيه

كَتَبْتُ مَرْقُومٌ ﴿١﴾ يَشْهَدُهُ الْقُرْبُونُ ﴿٢﴾ (المطففين) لم يقل: (يقرأه المقربون) ولكن ﴿يَشْهَدُهُ﴾ فهذا علم المكاشفة، والذي وصل إلى علم المكاشفة قال له حضرة النبي: (عرفت) أي أصبح عارفاً يعرف الله وهذا يتحقق بقول الله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ (آل عمران).



٣- إخلاص الصادقين والصدّيقين

يرى الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن الإخلاص ينقسم إلى قسمين إخلاص الصادقين وإخلاص الصدّيقين، نرجوا من فضيلتكم شرح كل مقام وما الفرق بينهما؟



هذا أمر واضح لا لبس فيه، أما الصادقين فإنهم يراعون في كل حركاتهم وسكناتهم وأحوالهم وأفعالهم وأنفاسهم أن تكون خالصة لله، ليس فيها شائبة للدنيا، ولا طلب رياء، أو المنزلة، أو السمعة، أو أي شيء من الخلق، فهم يجاهدون في الإخلاص، وهؤلاء يسمون المقربين أو الخواص.

فإذا جاهدوا في الإخلاص، وأصبحوا فعلاً من عباد الله الْمُخْلِصِينَ، نقلهم الله ﷻ إلى مقام الصديقية، وأصبحوا في مقام الْمُخْلِصِينَ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠ الحجر).

ففي البداية يجاهدون ليخلصوا الأعمال من شوب الرياء والخطأ والهوى ومراعاة الخلق، فإذا وصلوا واتصلوا وأقامهم الحق في مقام الصديقية، فإن الله ﷻ يتولى بذاته حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم، يتولاها بحفظه وصيانيته، ويكون في مقام الحفظ الإلهي؛ يحفظهم الله ﷻ أن تمر على قلوبهم خواطر لغير إلههم في أي توجه يتوجهون به إلى الله، لا يستطيع الإنسان أن يحفظ نفسه إلا إذا أعانه ربه بعونه وحفظه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ



إشادات العارفين الباب الأول (١٦) إشادات العارفين

حَفِظْهُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ (يوسف).

هذا هو الفارق بين الاثنين، عبد يجاهد نفسه، وعبد يتولاه ربه، فهذا مقام وهذا مقام أعلى، ولا بد من الاثنين معاً، لا بد من البدايات حتى يفوز بالعطاءات في النهايات.



٤- آخر المقامات

يقول أحدهم: أن الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار، وحقائق الأحوال، نرجوا من فضيلتكم التوضيح؟



الكلام الذي خطّه الصوفية في كتبهم، أو تفوّهوا به في بياناتهم على حسب قدر السامعين المحيطين بهم، لكن أيجاد نهاية لمقامات القرب من الله ﷻ؟! لا.

يوجد نهاية للعلوم التي يتلقاها أهل المنهج الذين هم في المرحلة الثانوية، لكن هل هذه هي نهاية العلوم؟ لا، ويوجد نهاية للعلوم التي يتلقاها الطالب في الكلية لأي قسم من الأقسام، لكن هل هذه هي نهاية العلوم في هذا المجال؟ لا.

فالصوفية عندما يواجهون الطلاب والمريدين والأحباب يكشفون لهم من مكنون الشراب على قدر ما تتحمل قلوبهم، وما يستطيعون شربه إن كانوا من أهل الأحوال العلية، أما مقامات القرب من الله، فلا نهاية لها، فكما أن الله ﷻ لا نهاية لكمالته وجماليته وجلالاته، فكذلك لا نهاية للقرب من حضرة ذاته.

وإذا كان الحبيب المصطفى في كل نفس من أنفاسه يعلو من المقامات ما لا تكيفه



إشارات العارفين (١٧) الباب الأول

العبارات، ولا تلحقه الإشارات، ولا تحيط به الحيطات، وكل من رآه في مقام من هذه المقامات خلعه عليه، لأنه في رقي دائم في حضرة مولاه، ومع ذلك يقول له مولاه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤ طه) لأنه لا يوجد نهاية ولا حدود ... فالحدود في عالم الحدود، لكن في عالم الربوبية والإلهية لا حدود، ولا نهاية لعطاءات الله، ولا نهاية لإكرامات الله جل في علاه، لأحبابه من الأصفياء والمقربين المحبين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فعندما يأتي الشيخ يشرح للمريدين ويقول لهم: نهاية مقاماتكم لكي ترتقون إلى رُتب المرادين أن تصلوا إلى مقام الرضا، وماذا يعني مقام الرضا؟ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥ النساء).

مقام التسليم لأقدار حضرة العزيز العليم، ولأوامر سيدنا الرؤوف الرحيم ﷻ، أو من ينوب عنه وهو لا بد أن يكون طبيباً حكيماً حتى يأذن له الرؤوف الرحيم ﷻ.

فإذا ارتقى إلى رُتب المرادين، وهي ما تسمى بحضرة الإطلاق، لا يوجد بها قيود، فلا تقيده مقامات، ولا يحدده درجات، ولا نهاية للهبات والعطاءات والمنازلات، لكن فضل الله ﷻ يغمره بلا حد ولا كيف ولا كم:

بلا كم ولا كيف ولكن بأنوار تعاليت مغنوية

لكن أهل هذا المقام العلي المرادين، أحوالهم لا تباح بالعبارة، ولا تكتب في قرطاس، أو في كتاب، وإنما تؤخذ من قلوبهم بأفواههم في صدور أحبابهم الذين تأهلوا لأخذ الشراب من أكوابهم، وإذا علوا أكثر يكون الشراب من قلوبهم لقلوب أحبابهم، من الذي يسمعهم؟ ومن الذي يعرفهم؟ وأين هذا؟ ومن الذي يكتبه؟

أمن القلوب إلى القلوب شرابي ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابي
ومن اللطيفة اللطيفة نظرتي تُعطى لمطلوب من الوهاب

ولذلك الذين اشتغلوا بتسجيل كتابة كلام الصوفية تجدهم يختلفوا، فهناك من

إشادات العارفين الباب الأول (١٨) إشادات العارفيه

يقول أعلى المقامات مقام الرضا، ومنهم من يقول أعلى المقامات مقام الحبة .. كل جماعة على حسب ما وصلوا له، وهؤلاء كلهم في الدائرة الأولى؛ دائرة المريدين، لكن من في دائرة المرادين لا يستطيعون أن يبيحوا بالسر، إلا لصاحب سر، أمر به رب العالمين ﷺ:

أخشى على الدر أن يلقي بمزبلة فيُزدرى وأخون الحق والدين وأيضاً:

احفظن سرِّي فسرِّي لا يباح من يبح بالسِّر بعد العلم طاح علمنا فوق العقول مكانة كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح خصنا بالفضل فيه ربنا ذاك سرٌّ غامضٌ كيف يباح

كيف يباح هذا الكلام إلا لأهله؟! وقال الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه: (يحملونه في صدورهم حتى يُودِعونه قلوب أشباههم وأمثالهم).



٥- علامة المحبة

ما معنى قول الإمام أبو الحسن البصري: (علامة المحبة الموافقة للمحبوب، والتجاري مع طهراته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والعهد معه كل ما لا يعينه على مذهبه)؟



هذه حكمة واضحة ليس فيها غموض ولا لبس، ما علامة أهل محبة الله؟ أن يوافق مراد الله، وفيري مراد الله في كتاب الله ويسير عليه، أنا لي مراد، والله ﷻ له مراد، فأترك مرادي وأنفذ مراد الله ﷻ.



إشادات العارفين الباب الأول (١٩) إشارات العارفيه

وكل ما طلبه مني في قرآنه، أو شرحه النبي صلى الله عليه وسلم في بيانه؛ نسارع في العمل به طلباً لرضائه ﷻ، وكل من يحاول أن يباعد بيني وبين ذلك أهرب منه، أهرب من النفس إذا كانت تثبطني، وإذا كانت تُحَمَّد عِزْمَتِي، وإذا كانت تجمديني عن الطاعة لله ﷻ، فأهرب حتى من الأصدقاء إذا كانوا حُجْباً لي عن القرب من حضرة الله، سيشتغلون وقتي بالقليل والقال، ويشغلون وقتي بما لا نفع فيه في الدنيا ولا في المال، فأهرب منهم للذي يقول للشيء كن فيكون.

باختصار: أن يكن عمله كله لرضاء الله، بما في كتاب الله، متابِعاً في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ، ومن بعده من السلف الصالح إلى يومنا هذا، إذا مشى الإنسان على هذا المنهاج فإنه يحظى بقول الله: ﴿مُحِبِّهِمْ﴾ ويتفضل عليه بقوله: ﴿وَمُحِبُّوهُ﴾ (٥٤ المائدة).

فإذا دخل الإنسان في هذا الباب فتح له الرحاب، وصار من أولي الألباب، ولم يكتب عليه الملكان كتاب، لأن الله ﷻ حفظه بحفظه، وسخر له الأسباب، وجعل كل كنوز حضرة الوهاب مفتوحة له في الدنيا، وفي الآخرة يكون مع: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩ النساء) نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.



٦- حقيقة التوكل

يقول سهل التستري: (التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد) نرجو من فضيلتكم التوضيح؟



يقصد حسن التوكل على الله، وهو أن الإنسان يأخذ بالأسباب في عالم الأسباب، ثم يعتقد تمام الاعتقاد أن الأسباب لا تفعل إلا بمسبب الأسباب، فيرضى بالنتيجة التي يحصل منها من الأسباب، ما دام قد بذل جهده وطاقته في هذا الباب، لا يخزن، ولا



إشادات العارفين الباب الأول (٢٠) إشادات العارفيه

يهتم، ولا يهتم.

فمثلاً: طالب يذاكر دروسه، والمادة الصعبة يأخذ فيها دروس، ويبدل طاقته، ولا يجعل وقته إلا لمذاكرته، ويستعين على ذلك بطاعة الله، والحفاظة على الصلاة والصيام وما أمرنا به الله، وبعد ذلك عند دخوله الامتحان يُسلم الأمر لله، والذي يأتي بعد ذلك فهو مراد الله، فإذا سلم مراد الله فها هنا.

لأن كثير من الطلاب في هذا الزمان يريد كليات القمة، وفي النهاية ما هي إلا شهادات للحصول على الأرزاق، ولا أحد يعرف مصدر رزقه، عندما تذهب إلى القاهرة تجد أغنى الناس متواجدين في الأماكن التجارية، كالسبتية وغيرها، وتجد الفرد يملك سيارة فارهة، ومعه مال من غير حساب، وتجده أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، وتقول له: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فيقول: أنا أتيت هارباً من بلدي وعملت هنا، فما الذي حدث؟ كما قال الرجل:

ولو أن أرزاق العباد على الحجبى لماتت إذاً من جهلهم البهائم

هناك بلاد في الفيوم أو طنطا كأنها بلاد أوربية، ما الذي حدث؟ أناس ذهبوا إلى بلاد أوربية، وهذا أخذ معه فلان، وهذا أخذ فلان، وتنافسوا في الخيرات بغير حساب، ولا يوجد معهم إلا شهادات بدائية، وفتح الله عليهم الأرزاق الحسية الدنيوية.

لكن الاعتماد بالكلية بالنسبة للمؤمن يكون على الحضرة الإلهية، بعد الأخذ بالأسباب، أزرع الأرض، وأبذل جهدي فيها، وأصلحها، وأحريها، وأنتقي لها النوع الجيد من التقاوي، وأحافظ على الطريقة الجيدة لكي تأتي بمحصول وفير، والمحصول بعد ذلك على الله ﷻ.

يأتي شخص ويقول أنا عبدت الله طوال شهر رمضان، أو أقمت العشر الأواخر من رمضان، ولم أشاهد ليلة القدر، فما السبب؟ نحن نعبد الله لله، لا نرى ليلة القدر، والله بعد ذلك يعطيني ليلة القدر، أو يجعل لي عنده قدر، فما الأفضل، أن ترى ليلة القدر، أو يكون لك عنده قدر؟ أن يكون لك عنده قدر.

إشادات العارفين الباب الأول (٢١) إشادات العارفين

فنأخذ بالأسباب، وبعد ذلك نعتمد على مسبب الأسباب، وهذا الذي يقال فيه: ((التوكل الاسترسال مع الله)) أي ننفذ ما أمرنا به الله في كتاب الله، متبعين في ذلك لحبيبه ومصطفاه، والنتيجة التي تأتي من عند الله نرضى بها ونعمل فيها بقول الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (٢٣ الحديد) الرزق الذي يأتي لي - ولو قليل - إذا رضيت به تنزل معه البركة، ويكون أفضل من الكثير، والذي أتى له الرزق الكثير وفرح به ولم يشكر الله، ولم يفرح بالله على عطاء الله، ينزع منه البركة، فيكون أقل من القليل.

فالأفضل للإنسان أن يسترسل مع الله، ويسلم الأمور لله، مع الأخذ بالأسباب، لكن يترك الأسباب ويقول أنا متوكل على الله، فهذا تواكل وهذه سلبية، ليست في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ.



٧- التسليم والنفيض

يقولون (التوكل بداية والتسليم واسطة والنفيض نهاية) إن كان للثقة في الله نهاية، نرجو التوضيح؟



أقوال الصوفية في الآيات القرآنية تكون على حسب ما وصلوا إليه من الرتب في الترقيات الإلهية، وعلى حسب الأذواق، ولذلك يختلف الحديث من صوفي لآخر، وكلام الصوفية جميعاً آراء، ومجال الآراء مفتوح، كل إنسان يُدلي برأيه، لكن لا يُحكّم رأيه في غيره، لا يقول هذا الصواب وغيره خطأ،

وأفضل شيء في هذا الباب أن الإنسان يحتكم إلى آيات كتاب الله ﷻ، ويوازن بينها بنور فؤاده، ويضرع إلى الله بذله ومسكنته، فيفقهه الله ﷻ ويلهمه الأحسن في هذا



إشادات العارفين الباب الأول (٢٢) إشادات العارفين

الباب لنفسه ولمن حوله، لكن ليس لأحد منهم أن يأتي بالأحسن لكل المسلمين السابقين واللاحقين والمعاصرين، فلكل عصر دولة ورجال

والكلام الموجود بالسؤال هو كلام أحد العارفين، عبّر عن سلوكه إلى الله، فكانت بدايته مقام التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، ثم ارتقى من مقام التوكل إلى مقام التسليم؛ تسليم الأمور كلها لله: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤ غافر) ثم ارتقى من مقام التسليم إلى مقام التفويض، وهو بذلك يعبر عن رأيه في سلوكه إلى ربه، لكن هذه ليست قاعدة ثابتة لكل المريدين والسالكين.

٨- الخمول في الطاعة

ما علاج الخمول في الطاعة؟

أول علاج للخمول في الطاعة صحبة الصادقين المخلصين المجدين في طاعة الله، وقبل صحبة هؤلاء البعد عن مصاحبة الجاهلين والغافلين والمثبطين عن طاعة الله ﷻ.

فأبعد عن صحبة الأشرار، وأصحب الأخيار والأبرار والأطهار، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ يحكي فيقول:

{ كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ بِهَا أَنْاسٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ }

إشارات العارفين الباب الأول (٢٣) إشارات العارفين

فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَأَلَى أَيْتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبِضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ٤

وقد ورد أنه كان أقرب للبلد التي خرج منها لكن الله أوحى للأرض أن امتدي، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

الإله الكريم يصفه الغافلون بالشدة والقهر والإنقام ويخوفون الناس منه!!، لكن الحنان المنان صفاته معنا الرحمة والعطف والحنان والشفقة واللطف، لكن صفات الشدة والإنقام والقهر على الكافرين الذين ظلوا على كفرهم حتى خرجوا من الدنيا، فقد ورد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال:

{ قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، خَلَقْتَ خَلْقًا فَجَعَلْتَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنْ يَا مُوسَى، ازْرَعْ زَرْعًا، فَزَرَعَهُ، وَسَقَاهُ، وَقَامَ عَلَيْهِ حَتَّى حَصَدَهُ، وَدَاسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ زَرْعُكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: رَفَعْتُهُ، قَالَ: فَمَا تَرَكْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أُدْخِلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ٥

هل تأخذ الثمار الطيبة الجميلة وتوقد فيها النار؟ لا، لكن توقد النار في الثمار التي لا فائدة منها، وهكذا الأمر.

إذاً أول أمر لمن أراد أن يستيقظ من الغفلة وأن يتوجه بالكلية إلى مولاه وأن يقبل بصدق على طاعة الله؛ مفارقة الأشرار ومصاحبة الأخيار، فمن أشد على الإنسان شيطان الإنس أم شيطان الجن؟ شيطان الإنس لأنه لا يمل من الوسوسة في كل الأوقات،

٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٥ الزهد والرفائق لابن المبارك

إشارات العارفين الباب الأول (٢٤) إشارات العارفين

ويظل حتى يورط الإنسان معه، لكن شيطان الجن بمجرد أن تقول له (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) يفر وينتهي أمره: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١٧٦ النساء) لكن شيطان الإنسان شديد وعتيد ولا يرتاح له بال إلا بعد أن يأخذ الإنسان معه في طريقه، إلا من شدَّ الله أزره وأيقظته وجعله ينتبه لهذه الأمور.

إذاً مفارقة الأشرار ومصاحبة الأخيار وأن يكون للإنسان أملاً طيباً يختاره من جملة الآمال التي كان يأملها الأخيار والأطهار وأصحاب النبي المختار، لأن الأمل هو الذي يبعث على العمل، فما الذي يجعل الإنسان يبحث عن عمل بالخارج، ويبحث هنا وهناك؟ الأمل، يريد أن يبني بيتاً، أو يتزوج، أو يريد أن يعمل مشروعاً، لكن إذا لم يكن عنده أمل لعمل شيء من هذه الأشياء فهل سيفكر في السفر؟ لا.

فالأمل هو الذي يدفع للعمل، ولذلك آفة معظم المريدين، والتي تجعلهم يقعون في الأحوال ويقفون ولا يستمرون في السير والسلوك إلى رب العالمين أن يخمد الأمل عندهم ويصبح ضعيفاً.

يضعف اليقين، فتصبح الآمال كلها في الفاني، ولا يوجد أمل في الباقي عند الله عز وجل، فينشغل بالدنيا ومشاغليها وأهوائها وزخرفها.

لكن لا بد للإنسان أن يكون له أمل باقي عند الباقي، كأن يريد أن يكون مع رسول الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢٩ الفتح) والذي يريد ذلك عليه أن يعمل ويجتهد مثل الذين وصلوا لهذه المنزلة حتى يكون معهم.

أو يريد أن يكون من أهل العطاءات العالية، فيفتح الله عليه، ويفتح له كنوز الحكمة، أو خزن العلم الإلهامي، أو يعطي له نورانية وشفافية، أو يعطيه عيون مضية تنظر - وهو في الدنيا - إلى ملكوت رب العالمين وأنوار الجنة التي أعدها الله للمتقين.

فالأمل هو الروح الباعثة للصالحين على الجد والاجتهاد والمعاناة في العبادات والصدق في طاعة رب العالمين، ما الذي يجعل الصالحين يتلذذون بالمجاهدات والمكابدات؟ الأمل، يريد أن يصل ويحقق مناه، كيف يحقق مناه؟ ينظر إلى من كان قبله

إشادات العارفين الباب الأول (٢٥) إشادات العارفين



كيف وصل، فيمشي على وتيرته وعلى نهجه حتى يصل كما وصل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

ولذلك يجب أن يحرص الإنسان دائماً على أمل عال، والأمل هذا عند الباقي عز وجل، فلا شأن لنا بالآمال الفانية، فالآمال الفانية لو كانت دليل على رضا الله لما أعطاهم للكافرين، فلا يوجد أحد فينا مثل ملياردير يهودي مثلاً؟ لا، وهذا ماذا تكون آخرته؟ جهنم وبئس القرار.

هذه النعم الحسية والأموال وغيرها لو كانت من رضا الله هل كان سيعطيها له؟ لا، فالدنيا كما قال ﷺ:

{ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ }^٦

وليس معنى ذلك أن نلغي الآمال الدنيوية الحسية، لكن أجعل نظير لها آمال يقينية إلهية مثل آمال أهل القرب من الحبيب المصطفى خير البرية ﷺ، هذه مع هذه.

وحتى يصل إلى هذه الآمال لا بد من الاطلاع على سير هؤلاء الرجال، وأحوالهم، ليكون مثلهم ويتشبه بهم في أخلاقهم وأفعالهم وأحوالهم، وهذا هو المنهج الذي قال فيه الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه في الروشنة البسيطة:

(ترك مخالطة الأشرار، ومصادقة الصالحين، والأخيار والأبرار، والسيد على المناهج الصحيحة والآثار).



٩- الإسناد في المشهد

كيف يكون حضور المصلي في التشهد؟ وما المعاني التي يستحضرها المؤمن فيه؟

^٦ جامع الترمذي والطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه



إشادات العارفين الباب الأول (٢٦) إشادات العارفيه

المؤمن يستحضر من البداية كما أخبر حضرة النبي عندما سأله جبريل عن الإحسان فقال:

{ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }^٧

فأستحضر في الصلاة أنني في مناجاة الله كأني في حضرة الله، فإن لم أكن أقوى على استحضار أنني أراه أستحضر أنه يراني ويطلع على كل شأني ظاهراً باطناً، فأناجي الله وألقي التحيات لله وأنا في حالة الحضور، وأسلم على حضرة النبي وأنا أشهد أو أستحضر على الأقل أنني في حضرة هذا النور، وأنه يسمعي ويراني ويرد عليّ السلام:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ }^٨

وأستحضر عند السلام على الصالحين كل الصالحين السابقين والمعاصرين واللاحقين في السماء والأرض، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }^٩

كل عبد صالح في السماء والأرض يذهب إليه السلام، وهذا السلام معناه تحية وإكرام تذهب إليه من الله، فالسلام ليس بكلمة، فأنا ألقى السلام، لكن يذهب إليه تحية وإكرام على قدره وعلى قدر مقامه من الله بطلي له، وهذا فضل الله وإكرام الله ﷺ لعباد الله الصالحين.

٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨ معجم الطبراني ومسنند أحمد عن أبي هريرة ؓ

٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٠- الإنسان الكامل

طرح الشيخ محي بن عربي نظرية الإنسان الكامل، والتي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الإستغراق في وحدانية الله، فخرجوا من فضيلتكم توضيح هذا الأمر؟

عندما ننظر في كتاب الله ﷻ نجد أن الإنسان هو المخلوق الأعلى بين مخلوقات حضرة الرحمن ﷻ، فإن الله ما خلق السماوات ولا الأرض ولا الجن ولا الملائكة ولا الجنة ولا النار ولا كل عوالمها الظاهرة والباطنة إلا من أجل الإنسان، لأن الإنسان أعز مخلوقات حضرة الرحمن ﷻ، وبين الله ﷻ هذه الحقيقة في قوله في آخر سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ من الذي حملها؟ ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ وقبل حملها: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١٧٢ الأحزاب).

وما الأمانة؟ فيها كلام كثير للمفسرين والمؤولين والعلماء، والإمام أبو العزائم جمعها في كلمة جامعة قال فيها: (الأمانة هي كل ما فيك من أوصاف خالقك وبإريك)

أنت فيك الجسم الذي خُلق من تراب، ومشتملاته وعناصره، لكن هل التراب يُبصر؟ لا، إذا كيف أبصر بهذه الشحمة؟ بسر تجلي البصير ﷻ، فهذه أمانة حملها لي الله، وهل هذه العظمة التي في أذني تسمع بذاتها؟ لا، ولكن تسمع إذا تجلّى عليها الله بسر السميع، ولذلك قال ﷻ:

{ السَّمْعُ أَمَانَةٌ، وَالْبَصَرُ أَمَانَةٌ }^{١٠}

١٠ فوائد تمام الرازي عن ابن عمر رضي الله عنهما

إشارات العارفين الباب الأول (٢٨) إشارات العارفين

أمانة من أمانات الله ﷻ التي في الإنسان، وكل الحقائق التي في الإنسان والتي بها الإنسان إنسان، والتي يرتقي بها إلى مراتب الزُلْفى من حضرة الرحمن، فهذه كلها من الله ﷻ، وهي أمانة الله سبحانه وتعالى.

هذه الأمانات لعلو شأنها، وارتفاع قدرها عند الله ﷻ لم يستطع أحدٌ من المخلوقات العالية أو الدانية أن يتجمل بها منهم الجماد، والجماد لا يسمع ولا يُبصر مثلنا، ومنهم الحيوانات ولا تستطيع أن تنفوه بما تريد مثلنا، ومنهم ومنهم، وكلٌ عاجزٌ إلا الإنسان.

من الذي حمل الأسماء الإلهية والصفات الربانية كلها؟ الإنسان، فمعه السميع، ومعه البصير، ومعه المتكلم، ومعه الحي، ومعه المريد، ومعه القادر ومعه العليم، ومعه الخبير .. كل هذه الأوصاف تتجلى في الإنسان.

لكن عرض الله الأمانات على السماوات والأرض ، فالسمااء أخذت إسماً واحداً فقط وهو الرافع، فرفعها بإسمه الرافع: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ (٧الرحمن) والأرض أخذت إسماً واحداً فقط وهو الباسط: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (١٩نوح) والجبال أخذت القوي والمتين.

لكن الأسماء كلها جُمعت في الخليفة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) والخليفة هو وذريته، فكل واحد من ذريته وارثٌ للخلافة عن أبينا آدم، لأن الله جمل الإنسان بالخلافة عن حضرته.

فهذه هي الأمانات التي بها جعل الله الإنسان هو محط نظر كل الكائنات، وهو وحده الذي تندرج فيه جميع الدرجات، وتلوح له وتنطوي فيه كل المقامات لأنه خليفة الله، كما بين الله ﷻ في كتاب الله.



١١- من إشارات أبي اليزيد البسطامي



إشادات العارفين الباب الأول (٢٩) إشادات العارفيه

وردت أقوال عن أبي اليزيد البسطامي مثل: (خَرَجْتُ مَعَ الْحَقِّ إِلَى الْحَقِّ، حَتَّى صَاحَ قَيٌّ: يَا مَهْ أَنْتَ أَنا، فَقَدْ تَحَقَّقْتُ لِمَقَامِ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ) وقوله: (سُبْحَانِي مَا أَحْظَمُ شَيْئَانِي) فما صحّة هذه الأقوال؟

الشيخ أبو يزيد البسطامي كان يحدث له أحياناً حالة وَلَهْ، والوله يعني يغيب عن الوعي شُغلاً بالمشاهد العالية التي يشهدها، فعندما كان يغيب في هذه المشاهد كان أحياناً يفنى في الشاهد الأعلى ﷻ، فيتحدّث بلسان الحضرة الإلهية، وليس بلسانه هو.

وقد كشف الله ﷻ عن ذلك لنا في القرآن، عندما نقرأ في القرآن في سورة طه، عندما يتكلم عن سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾ (طه ١٢) يتكلم مع المرید: ﴿ إِنَّكَ بِأَلْوَادٍ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ (طه) اخترتك لهذا المقام: ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (طه ١٣) وبعدها يسمع: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (طه ١٤) عندما يقرأ القارئ هذه الآية، فبلسان من يقرأها؟ بلسان الله أم بلسانه هو؟ وهل نعبد القاريء؟ لا، ولكنه يتكلم بلسان الله: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه ١٤) فهنا يتكلم بلسان الحضرة الإلهية.

وعلى هذا النمط كان العارفون عندما يغيبوا عن الوعي، يتكلمون بلسان الحضرة الإلهية، ولما كان بعضهم يفتق ويعيبوا عليه ذلك كسيدنا إبراهيم الدسوقي رحمه الله وأرضاه لما تكلم كلاماً عالياً:

على الذرة البيضاء كان اجتماعنا وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة
وصرت أنا الساقى لمن كان حاضراً أطوف عليهم كرة بعد كرة

وقال في هذه القصيدة كلاماً عالياً، وبعد أن انتهى من هذا الكلام وأفاق، قالوا له: أنت قلت كذا، قال لهم: لو قلت هذا الكلام فاضربوني بالسيف.

لأنه لم يكن يدري ماذا يقول، لأنه كان يتكلم بلسان الحضرة، وهم لو ضربوه فلن

إشادات العارفين الباب الأول (٣٠) إشادات العارفين

يمسوه بسوء لأنه في هذا الحال يكون محفوظاً بحفظ الحفيظ ﷺ.

فمثل هذه العبارات ومثل هذه الكلمات تفوّه بها أبو اليزيد البسطامي وغيره في حالة الفناء الكلي بلسان الحضرة الإلهية، أو بلسان الحضرة الحمديدية، أو كما قالوا:
والفتى المجذوب بالحب له آية إن ذاق خمر الحب صاح
وهو محمول العناية إن يبح بالحقائق ما على الفاني جناح

١٢- معرفة الله

ما معنى معرفة الله؟ أوليس كل مسلم يعرف الله؟

هناك معرفة عقلية، وهو أن الإنسان يعرف الله ﷻ عندما ينظر في الآفاق وفي نفسه إلى دلائل قدرة الله، وإلى غرائب حكمته ﷻ.

وهناك معرفة قلبية وهي أن يكشف الله ﷻ الران عن قلب الإنسان: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِيزٍ لَّحْجُونَ﴾ (المطففين).

فإذا ارتفع الران وشاهد بعين البصيرة، يشاهد أنوار الحنان المنان لائحة في كل زمان ومكان: ﴿فَأَيُّمَّا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة).

فهذه معرفة وتلك معرفة، فهذه معرفة بالعقل، وتلك معرفة بالعين، فهل يستويان؟!.

والصالحون يدعون الصادقين إلى المعرفة الأعلى، والتي يقول فيها رب العالمين: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ (آل عمران) الذين وصلوا

إشادات العارفين الباب الأول (٣١) إشادات العارفيه

لهذا العلم وهو علم اليقين، علم اليقين وحق اليقين، فهؤلاء القوم يشهدون بما يشهدهم الله ﷻ، فتقع العين على العين، وهي المعرفة الحقيقية التي تكون بعين البصيرة النورانية.

١٣- واجب الوقت

ما معنى الإشارة في قول الشيخ عمرو بن عثمان المكي:

(التصوف هو أن يكون العبد في كل وقتٍ بما هو أولي به الوقت)؟

هذا تعريف من تعريفات التصوف، فالتصوف له أكثر من تعريف، وكل عالم عرّفه على حسب حاله، وعلى حسب ما وصل إليه في فضل الله وإكرام الله.

وبعض الصالحين له أكثر من تعريف، فكلما وصل إلى مرحلة يُعطي تعريفاً للتصوف، فيعلوا إلى مرحلة أعلى فيُعطي تعريفاً أعلى.

فالشيخ عمرو بن عثمان المكي، والمكي نسبةً إلى مكة، لأن هؤلاء القوم منهم من كان يسلك الطريق فيذهب إلى مكة ويقيم هناك، فيسموه المكي نسبةً إلى مكة.

هذا الرجل جعل التصوف قرين العلم، يعني الإنسان لكي يتصوف فلا بد أن يعلم بواجب الوقت في كل وقت، ويقوم بهذا الواجب في الوقت كما أمر الله، وكما بين رسول الله ﷺ.

والله ﷻ جعل لكل وقتٍ واجبات، فمثلاً الصلاة قال فيها الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء ١٠٣) فهذه الفرائض، فما بال النوافل؟ قال فيها الله حبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الإشراح).

إذاً فواجب الوقت هنا قبل النوافل السعي على المعاش، وقضاء حوائج البيت،

إشادات العارفين الباب الأول (٣٢) إشادات العارفيه

وقضاء حوائج الإنسان التي لا يستطيع أن يُسخرَ فيها غيره ليقضيها له، وبعد ذلك يبحث عن النوافل، فمن أقبل على النوافل وترك طلبات الأولاد وحاجياتهم وضرورات نفسه، فهل هذا يمشي على المنهج الصحيح أم أخطأ؟ أخطأ لأنه لم يمش على حسب واجب الوقت.

واجب الوقت هنا أن يبحث عنهم يمومهم ثم بعد ذلك يُقبل على النوافل التي يتزود منها قريباً لرب العباد ﷻ.

إنسان يريد أن يؤدي حج نافلة، وعنده ابنه أو ابنته مقبلة على الزواج وتحتاج إلى الجهاز، وهو ليس معه غير مبلغ من المال يكفي الحج أو الجهاز، فمن الأولى هنا؟ أن يزوج الولد أو يزوج البنت مادام حج الفريضة، فهذه الحالة أولى في هذا الأمر.

ففقهاء الأولويات يحتاج إلى العلم من العلماء العرفاء الذين كشف الله لهم حقيقة الأشياء، وبين لهم الواجب والأوجب والحسن والأحسن وهؤلاء الذين:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (١٨ الزمر) الحسن أم الأحسن؟ الأحسن، لم يقل: فيتبعون حسنه، ولكن قال:

﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ لأنه عرف هذا من ذاك.

فإذاً على هذا المنوال لا بد للصوفية أن يكونوا على بينة كاملة بالعلم الإلهي والعلم النبوي والعلم الشرعي، ومعه نورٌ في فؤاده يكشف له عن واجب الوقت، ليسارع إلى أداء هذا الواجب في وقته حتى ينال فضل الله ﷻ وإكرامه وينال محبة حبيبه ﷺ.



١٤- النطق بمقامات القرب

يقول الشيخ أبو النصر السراج عن الصوفية: ((الواجدون بما تحققوا، القاتون بما وجدوا، لأن كل واحد قد فنى بما وجد)) ، نرجو من فضيلتكم التوضيح؟



إشادات العارفين الباب الأول (٣٣) إشادات العارفين

يعني عندما يتحقق الإنسان بمقام من مقامات القرب من الله، تحققه يعني دخول هذا المقام كلياً وفعلياً وعملياً، وليس قولياً فقط، فلما يدخل في هذا المقام يحدث له حالة وجد، وحالة شوق، وحالة حب في الأفعال التي يتطلبها هذا المقام فيسعى إليها ويقوم فيها بحب واصطلام وغرام لينال محبة الله ﷻ، فإذا صنع فيها ذلك، وقام بها كذلك، فني عن نفسه، وظهرت له مواهب الله ﷻ لأهل هذا المقام، فتأتي المواهب الإلهية لأن البداية صوفية والنهاية مواهب تأتي الإنسان من الحضرة الإلهية لأنه مشى على هذا المنهاج الأكمل منهاج سيدنا رسول الله ﷺ.

١٥- المون والحياة بالحق

ما معنى قول الشيخ الجنيد: ((التصوف هو أن يملك الحق عنك ويحييك به))؟

الإنسان ثنائي، فيه الجسم الذي فيه ما يحتاج إليه من شهوات ومن مطعومات ومن أهواء ومن حظوظ ومن ملذات، وفيه نفخة من الله، هي سر الحياة التي فينا: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٢٩ الحجر).

ونفخة الحياة قوتها ذكر الله، وشرابها كتاب الله، وسقياها من رسول الله، وحياتها حياة روحانية أعلى وأكرم من حياة ملائكة الله جل في علاه.

فإذا أراد الله ﷻ بعبد خيراً أَمَات في نفسه طلب الشهوات الفانيات، والرغبة في الحظوظ غير الباقيات، فلا يجد في نفسه رغبة في هذه الأشياء، ويجدها كلها تستوي مع بعضها، ويجد رغبة شديدة فيما عند الله، وفيما أباحه له مولاه إذا كان قريباً من حضرته

إشارات العارفين الباب الأول (٣٤) إشارات العارفين

جل في علاه.

إذا أَمَاتَ اللهُ في النفس الطلب والرغبة لهذه الشهوات، ثم للمباحات، وجعل هذا الإنسان هواه كله في مولاه، يحبيه الله ﷻ حياةً حقَّةً يقول فيها في الحديث القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ

الَّتِي يَمْشِي بِهَا }^{١١}

ويكون داخلاً في قول الله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ ميتاً عن حظوظه وشهواته وأهوائه، فلم تعد تُسيطر عليه، فهو الذي يُسيطر عليها: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ احتيا بالله، لما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢ الأنعام) نوراً في الدنيا، وليس في الآخرة، وهذا مقصد الإمام الجنيد رحمته الله.



١٦- الصوفية والانس بالخالف وبالخلق

ما معنى قول الحلاج: (الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحد)؟



الصوفي الحقيقي الذي أحسن الإقبال على الله، ولا يجد أنساً بمجالسة أحدٍ من البشر إلا إذا كان على منواله أو الأنس بالله جل في علاه.

يستوحش من مجالسة الغافلين - يعني يشعر بوحشة شديدة - ويستوحش من مجالسة البلطجية والبطالين، ويستوحش من مجالسة المشغولين بالدنيا عن الدين، فلا يأنس إلا بالله، أو من كان على نسقه وحاله من عباد الله، وأنتم تعلمون أن أويس القرني رحمته الله الذي قال فيه رحمته الله لأصحابه:

١١ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه



إشادات العارفين الباب الأول (٣٥) إشادات العارفيه

{ إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ، يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدْعُ بِأَيْمَنِ غَيْرِ أُمِّهِ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِنَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهِمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ }^{١٢}

أويس القرني من اليمن منعه من المجيء إلى النبي ﷺ برّه بأمه، وكان وحيد أمه، وكلما يقول لها: أذهب لرسول الله، تقول له: ولمن تتركني؟ وهو يريد أن يبرها، حتى انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يرى رسول الله ظاهراً.

سيدنا عمر كان كل عام يذهب وينادي على أهل اليمن: أفيكم أويس، فيقولون: لا ليس معنا أويس، وذات مرة قالوا له: ليس معنا إلا راعي لنا اسمه أويس، يعني رجلٌ فقير ومسكين، فقال لهم: وأين هو؟ قالوا: في المكان الفلاني، وكان معه سيدنا الإمام علي، فذهبا إلى هناك وسأله عمر: أأنت أويس؟ قال: نعم، وأخبره بما قال رسول الله فيه، وأن به علامة أخبرهم عنها سيدنا رسول الله، وهي أن فيه بمقدار درهم أثر برصٍ كان قد أُصيب به وشفاه الله منه، وظلت هذه العلامة باقية ليعرفوه، فقال لهم: هذه العلامة، وبعد محادثة قال له سيدنا عمر: هلا جئت لتعيش معنا في المدينة تأنس بنا ونأنس بك، فقال أويس:

عجباً يا أمير المؤمنين من أنس بالله كيف يأنس بسواه؟!.

لا يأنس بسلطان، ولا يأنس بأغنياء ولا وجهاء، ولا يأنس بأحدٍ من الخلق إلا إذا كان هناك من على شاكلته، لماذا؟ لأن ذلك لن يحجبه عما هو فيه من القرب من حضرة الحق ﷺ.... وهذا هو وحداني الصفات، يعني لا يُقبل على أحدٍ إلا إذا كان على شاكلته في الصفات من الإقبال على الله، وفي حب الله ورسوله، وفي دوام ذكر الله، وفي الأنس بالله جل علاه، هو على شاكلته، فهذا الذي يأنس به ولا يأنس بغيره.



١٧- الجلوس مع الله

يقول الشيخ أبو بكر الشبلي:

(التصوف هو الجلوس مع الله بلا هم) فما معنى الجلوس مع الله؟



أليس الله ﷻ القائل في حديثه القدسي: { أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي }^{١٣}

الإنسان عندما يذكر الله يكون جليس لله ﷻ، وقال الله تعالى:

{ أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ }^{١٤}

مادام يذكر الله بأي ذكر فيكون معه الله، وكيف يكون معه؟ معه بتأييده، ومعه بمعونته، ومعه بتوقيفه، ومعه بنصره، ومعه بالإجابة، ومعه بتيسير الأمور، معه بكل هذه المعاني وغيرها، وليس معية جسمانية كمعيتنا هذه حاشا لله ﷻ، ولكن معه بتأييده ونصره وكل هذه المعاني الإلهية التي تليق به ﷻ.

إذاً الإنسان الذاكر لله، ويذكر الله الذكر الحقيقي الذي لا يشغل قلبه أثناءه عن الله، هو الجليس لله ﷻ، لكن أنا أذكر الله وقلبي مليء بمشاغل ومشاكل وأحوال الخلق، فهذا قال فيه ﷻ:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ }^{١٥}

إذا كان قلب لاه فكيف يذكر الله؟! لكن من يذكر الله فعلاً لا يكون في قلبه إلا الله، فهذا كما يقولون:

اذكر الله إن نسيت سواه قل بقلب في الذكر يا الله

١٣ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن أبي مروان الأسلمي ﷺ

١٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٥ جامع الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ



فهذا على الفور جليس الله، ويكون في حضرة الله جل في علاه.

١٨- الجمع على الله

ما معنى قول الشيخ أحمد الرفاعي: (لا يكمل الرجل حتى يفر عنه قلبه وسره وعلمه وهمه وفكره وكل ما خطر بباله غير به)؟

هذا قول اتفق عليه - ليس سيدي أحمد الرفاعي فقط - لكن كل الصادقين؛ أن الإنسان لكي يبلغ أعلى مقامات الإيقان فلا بد أن لا يرى لنفسه حولاً ولا طولاً ولا قوة ولا علماً ولا أي شيء من ذلك.

وإنما لا يرى إلا جمالات الله عز جل التي جمَّله بها، ويرى أنه كأصله الذي ذكره ربه، إما سلالة من طين، وإما من تراب، وإما من ماء مهين، وما زاد عن الطين فيراه جمال من رب العالمين ﷻ.

ويرى أن علمه فضل من الله تفضَّل به عليه حضرة العليم، وقوته أمد به حضرة القوي، ولطفه في المعاملة بتجلي اسم اللطيف عليه، ويرى أن كل شيء يفعلُه أو يتحركه أو يقوم به إنما بإمداد من ربه، ولو تركه الله ﷻ وشأنه لا يستطيع أن يقوم بشيء، والله ﷻ قد طلب منا ذلك، وأمرنا بذلك في قوله الذي نكرره في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة) لو توقفت المعونة لن نستطع العبادة أبداً، فلا قوة لنا على طاعته إلا بحوله وقوته، ولا حفظ لنا عن معصيته إلا بحفظه وصيانيته.

وهذا هو حال كَمَل الصالحين على الدوام ...

إشارات العارفين الباب الأول (٣٨) إشارات العارفيه

يتكلم فيرى سر المتكلم هو الذي ألهمه، وهو الذي أنطقه، وهو الذي حرك الشفتين واللسان بالنطق، وهو الذي حرك الأوتار لتخرج النغمات، وهو الذي حرك هذه القلوب وفتح آذانها لتسمع هذا الكلام وتتلذذ به، فالأمر كله من الله وبالله والله جل في علاه.

١٩- زهد المقربين

ما معني قول الإمام الجنيد رحمه الله : ... (الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب)؟

هذا الأمر أجبت عنه عندما تكلمنا عن مراتب الزهد، وقلنا أن أعلى هذه المراتب أن يزهد الإنسان بقلبه عما سوى مولاه، فلا يلتفت إليه ولا يتجه إليه ولا يطلبه، حتى لو أشار إليه المولى من بين يديه لا يطلب من الله إلا الله، ويزهد في كل ما سوى الله ﷻ، وهذا مقام عال، وهو مقام كَمُل الورثة لسيدنا رسول الله ﷺ.

٢٠- سر الوصول

نرجو توضيح قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله :
(ليس هذا الطريق بالرهبانية وأكل الشعير بل بالصبر والحضور مع الله)؟

إشادات العارفين الباب الأول (٣٩) إشادات العارفين

هذا الكلام شرحناه مراراً وتكراراً، فبعض القوم ظن أن الوصول إلى الله بالزهد، والملبس الخشن، والأكل الجاف الذي لا يليق، والإكثار من العبادات التي تضارع وتشابه الرهبانية، فالرهبان الذين يعيشون في الأديرة ماذا يصنعون؟ عيشة خشنة تامة البعد عن كل الشهوات التي يتطلبها الهيكل الإنساني، ممنوعين من الزواج لكي لا يوجد شهوة للنساء، أو النساء الراهبات لا يجدن شهوة للرجال، فلا توجد شهوة جنسية، ولا يأكلون إلا من عمل أيديهم، فلا يشترون أي شيء، ولذلك لهم مزرعة خاصة لا يأكلون إلا من هذه المزرعة فقط، ما هذا؟! حالة تقشف، لكن هذه الحياة قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْبُدْعَةِ }^{١٦}

فالإسلام ليس به رهبانية، فما طريقتنا؟ الرجل الذي ذهب لسيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله وأرضاه وقال له: أنا أريد أن لا ألبس من الثياب إلا كذا من الثياب الرثة، ولا أكل من الطعام إلا الجاف الشديد، ولا أنام إلا على التراب، ولا ألتحف إلا السماء، فقال له: لم تشدد على نفسك؟! اعرف الله وكن كيف شئت.

كل كما شئت لكن لا بد أن تعرف الله، فمعرفة الله هي كل شيء، ذهب رجل لسيدي أبو الحسن الشاذلي يدعي الجذب فرأى الشيخ يلبس ثياباً فخمة، والشيخ كان في آخر حياته، وحياة الكُمّل يكون الجهاد فيها في البدايات، ولا أحد يراه، والذي يغتر بأحوال النهايات لا يصل للنهايات، لأنه لم ير البدايات.

فالشيخ أبو الحسن الشاذلي كان يعيش في جبل شاذلة في بلاد تونس، وكانت توجد عين من الماء يتوضأ منها ويغتسل منها ويشرب منها، وكان يأكل الحشيش النبات في هذا الجبل لمدة سبع سنين!، فمن الذي يستطيع أن يعيش سبعة سنين على هذه الكيفية؟! وبعد ذلك أتى له الأمر: (انزل اهدي الناس إلينا) فأخذ الصبغة المحمدية، يلبس أحسن الثياب، ويركب أفخر الدواب، ويأكل أحسن الطعام، ويرى أن كل هذا يقدم له من قِبَلِ الله ﷻ، يأكل كالضيف، والضيف يأكل من يد المضيف، والمضيف هو

١٦ معجم الطبراني ومسنَد الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه

إشادات العارفين الباب الأول (٤٠) إشادات العارفين

الله ﷻ.

فقال الرجل الذي يدعي الزهد والورع: ما هذا أيها الشيخ أنت تلبس هذه الثياب الفخمة؟! فقال له: (ملابسك هذه تقول أعطني شيئاً لله، وملابسي هذه تقول الحمد لله) الأحسن الملابس التي تعبر عن الشكر، قال ﷻ:

{ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ }^{١٧}

ذهب الشيخ سفيان الثوري وكان من كبار الفقهاء وصاحب مذهب مشهور في زمانه لسيدنا جعفر الصادق فقال له: كيف تشرب الماء البارد؟ وكيف تأكل التفاح؟ قال له: (لنعمة الله عليك في الماء أنك من نعمته عليك في التفاح) تستطيع أن تستغني عن التفاح ولا تستطيع أن تستغني عن الماء، فقال له: ولم تلبس هذا الملابس الناعم؟ قال له: أعطني يدك، فأدخلها تحت ملابسه، فوجد أنه يلبس شيء مثل الخيش الحشن، ثم قال: جعلنا هذا لله، وجعلنا هذا لخلق الله، فما كان لله أخفيناه وما كان للخلق أبديناه، لا بد من أن يظهر الإنسان نعمة الله عليه، فليس الطريق إلى الله بلبس الحشن، ولا بالأكل الجاف الغليظ، ولا بالنوم على التراب، ولكن بخلو القلب من التعلق بالأسباب، وارتباطه بحضرة الكريم الوهاب ﷻ، فما دام القلب ارتبط بالله فإن الإنسان بأي وضع وأي حال يكون مع الله جل في علاه.



٢١- الرب والعبد

نرجو شرح معنى قول الشيخ محي الدين بن عربي:

العبد حق والرب حق	يأليت شعري من المكأف؟
إن قلت عبد فذاك ميت	وإن قلت رب أننى يكلف

١٧ مسند أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ



إشارات العارفين الباب الأول (٤١) إشارات العارفين

هذين البيتين شرحهم الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) وهو مكون من أربع مجلدات، وكل الفتوحات المكية شرح لهذين البيتين

العبد حق طالما فيه حياة، والحياة تأتي من أين؟ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٢٩ الحجر) فإذا خرجت نفخة الروح فيكون جيفه قدرة، فالعبد حق بما فيه من سر خالقه وباريه، والرب حق وهذا شيء لا ينكره أحد، فإن الله ﷻ هو مالك الملك والملوك، وصاحب العزة والجبروت.

(يا ليت شعري من المكلّف) التكليف الذي كلفنا به الله كالصلاة من المكلّف بها؟ هل الحقائق الربانية التي بداخلي؟ أم الحقائق الطينية التي أمشي بها؟

إن قلت عبد فذاك ميت والميت كيف يكلف؟ وإن قلت رب أي يكلف، وكما وضحها الإمام أبو العزائم رحمه الله، فقد كان يُصلي لله ذات مرة، فأراد أن يفك هذا الرمز، فقال ملتفتاً ولافتاً نظر أصحابه: (بَكَ لَكَ أَصْلِي) أي بما استودعته في من هباتك الربانية، وعطاءاتك الصمدانية، أصلي لذاتك الإلهية.

ما الذي فيك؟ فيك مظهر للأسماء والصفات، السميع صفة الله تجلّى به عليك، البصير صفة الله تجلّى بها عليك، الحي صفة الله تجلّى بها عليك، القادر صفة الله تجلّى بها عليك، لأنك خليفة الله فجملك الله بأسماءه الحسنى.

فأنت تتحرك وتتكلم وتشتغل بسر الأسماء الحسنى التي فيك، فالأسماء الحسنى التي فيك هي التي تتوجه بالعبادة إلى حضرة الذات المقدسة الإلهية، فما أنا؟ أنا آلة والله جل الفاعل.

لو أخذ الله ما فيّ منه فما معي؟! لا شيء، فأنا أعبد الله بما فيّ من جمالات الله، متوجهاً بها لحضرة ذات الله جل في علاه، فإذا وصل الإنسان لهذه المرحلة فتكون هذه العبادة هي الخالصة الصادقة التي ليس بها شائبة لله ﷻ، وهذه عبادة الكمّل من الصالحين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، قال في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله

إشادات العارفين الباب الأول (٤٢) إشادات العارفين

عنه:

لكنني كلفني	ما غاب عني حبيبي
بالفضل قد عرفني	فصرت بعد يقيني
من بالصفاء أتحفني	أنا بمن في وجودي
لما به أشرفني	تلك التكليف رمز

٢٢- الطرائق إلى الله

نرجوا توضيح قول أحد الصالحين: (إن لله طرائق بعدد أنفاسه الخلائق؟)

الطرق التي توصل إلى الله ﷻ لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين عدها ولا حسابها، نأخذ طريقاً واحداً منها، طريق أهل الجذب، من الذي يستطيع أن يعد الكيفيات التي يُجذب بها أهل الجذب إلى الله ﷻ، شيء يفوق العقل، ويفوق الوهم، ويفوق الخيال، لأن هذه قدرة القادر ﷻ.

كما أن الله ﷻ لإثبات دلائل قدرته جعل لكل إنسان من بدء الزمان إلى آخر الزمان خصوصية في بشريته، كل فرد له تقاطيع وجه، واللون، والصوت، وبصمة الأيدي، وبصمة الأرجل، وبصمة العين، وبصمة الأسنان، والدم وتكوينه، وكل شيء في كل إنسان فريد عن جميع بني الإنسان قبلاً وبعداً، وهذا دليل على وحدانية الواحد ﷻ، وكذلك لكل إنسان من رحمة الرحمن طرائق لا تعد يصل بها إلى حضرة الله، وهذا من سعة كرم الله، فإن لم يصل بهذه الطريقة يصل بالطريقة الأخرى أو غيرها، فيكون عنده طرائق لا تعد؛ لكي يقام عليه الحجة.

لأن الله ﷻ سهل له الأمر، وهو الذي عسر على نفسه لتسليمه ما به لنفسه

إشارات العارفين الباب الأول (٤٣) إشارات العارفين

وهواه، ولذلك عندما يذهب مريد لأحد الصالحين؛ يقول له: هذه طريقتك فإن لم يسر فيها؛ يقول له: اذهب إلى الطريقة الأخرى، وإن لم يسر فيها فيقول له: اذهب إلى طريقة أخرى، لماذا؟ لأن لكل فرد طرائق لا تحد للوصول إلى الله ﷻ.

منهم من يصل إلى الله بالخدمة، ومنهم من يصل إلى الله بالحب، ومنهم من يكشف الله عنه الطوق فتتهمر عليه أنوار الله، ويغيب عن الدنيا وما فيها؛ لتمتعته بما يشهده من جمال الله وجمال أسماء الله وصفات الله، ومنهم من يأخذ بيده سيدنا رسول الله ﷺ، هذه كلها طرق وغيرها موجودة لكل فرد من المؤمنين؛ رحمة من الرحمن ﷻ.

لكي لا يقول أحد منا: كيف أصل إلى الله وليس لي طريق أصل به إلى الله؟ بل لكل فرد منا طرق لا تعد ولا تحدد، لكن شرطها اترك نفسك خلفك وتعالى، لكن إذا أتيت ومعك نفسك فتكون في لبسك:

مني أسافر لا من كوني الداني أفردت ربي لا حور وولدان



٢٣- الإشارة في معنى الفرقان

ما معنى الفرقان؟ وما الإشارة في استخدام هذا اللفظ؟



أسماء القرآن الموجودة في كتاب الله؛ كل اسم يُعطي تخصص من تخصصات كتاب الله عز وجل، فكلمة الفرقان تعني الآيات التي تتحدث عن الشريعة لأنها فارقة بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام.

أما الفرقان : فبالنسبة للعبد فهو النور الذي يُفيضه الله ﷻ على باطنه وبه يميز بين حقائق الأشياء، فيعرف الحق من الباطل، ويعرف الطيب من الخبيث، ويعرف الحسن من الأحسن، وبه يميز بين حقائق بني البشر، قال ﷻ:



إشارات العارفين الباب الأول (٤٤) إشارات العارفين

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }^{١٨}

فيعرف الصادق من الكاذب بعلامة وسميا يراها في وجهه، ويعرف المنافق من صادق الإيمان في لحن القول، أو من النظر إلى عينه، أو من النظر إلى وجهه.

فمن إعجاز الله ﷻ أن أي إنسان فيه شاشات كثيرة تعبر عما بداخل الإنسان ظاهراً أو باطناً، فمثلاً: عين الإنسان إذا نظر إليها الطبيب النطاسي الحكيم يعرف الأمراض التي في هذا الجسم، وإذا نظر إليها العارف الرباني يعرف ما صنعه وما نظرت إليه هذه العين، كما قال سيدنا عثمان:

(ألا بستحى أحكم أن يدخل عليّ وفي عينيه أنه الزنا؟ قالوا: أوحى بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن) .

إذا نظر الطبيب الحكيم إلى هذه اللوحة الربانية (الجهة) يعرف منها الأمراض الجسمانية التي يعاني منها الإنسان...، وإذا نظر إليها العارف الرباني يعرف الأمراض الباطنية والقلقل الداخلية التي يعاني منها هذا الإنسان، فكل شيء في الإنسان يدل على ما بداخل الإنسان ظاهراً أو باطناً.

فالذي معه الفرقان، أي معه النور الفارق الذي يفرق بين هذه الحقائق بإمداد له من الله، وينور اكتحلت به عين بصيرته من سيدنا رسول الله ﷺ.



الباب الثاني مصطلحات أهل الطريق

- ١- مصطلحات الصوفية
- ٢- بيه تعريف العشق والمحبة
- ٣- الصمت: درجاته، وثمرته
- ٤- السباحة الروحية ٥- الزهد ودرجاته
- ٦- الورع ودرجاته ٧- معنى الحال
- ٨- عيب الجود وبذل المجهود
- ٩- الصوفي والعاقد والزاهد
- ١٠- الدويشة ١١- لغة الأرواح
- ١٢- المدد ١٣- الحال وتزكية النفس
- ١٤- الحلول والاتحاد ١٥- تصفية النفس
- ١٦- الإلهام ١٧- حاجز النفس
- ١٨- العلم اللدني ١٩- مقام التجريد
- ٢٠- الحجب ٢١- الملامية
- ٢٢- السكّر والخمر
- ٢٣- الذوق ٢٤- بداوة النفس
- ٢٥- البث ٢٦- الجمع والفرق
- ٢٧- الإصطلاح ٢٨- العشق والمحبة
- ٢٩- مقام الفناء ٣٠- الخلوة مع الله
- ٣١- الفناء والحلول والاتحاد

الباب الثاني

مصطلحات أهل الطريق



١- مصطلحات الصوفية

يؤخذ على الصوفية بعض المصطلحات التي روجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم، فلا يشك أحدٌ في كونها أجنبية في الإسلام، ولغة الإسلام عربية، وهي مقتبسةٌ ومأخوذة من المسيحية بحروفها وألفاظها ومعانيها ومدلولاتها مثل: ناموس - رحمت - رهبوت - لاهوت - جبروت - رباني - روحاني - شعشعاني - وجدانية - فردانية - ربوبية، فما قول فضيلتكم؟



هذه الألفاظ كلها هل حروفها عربية أم غير عربية؟ عربية، هل فيها كلمة إنجليزية أو فارسية أو فرنسية؟ لا، إذاً ما دامت حروفها عربية فما الذي يُعِدنا ويجعلنا نتبع المستشرقين الذين يريدون أن يشككونا في الدين ويقولون: هذه الألفاظ ليست لكم، وقد أخذتموها عن الآخرين.

هذه الألفاظ عربية، ولها معاني في القواميس العربية، ونحن نستخدمها على حسب معانيها الموجودة في القواميس العربية، فما المانع في هذا الأمر؟!

فمثلاً كلمة الجبروت: فهذا عالم من العوالم الإلهية، والنعמות والعظومات عوالم إلهية، هل هذه العوالم الإلهية موجودة في المسيحية؟ أبداً، فليس عندهم غير الملكوت، لكن العوالم الأخرى لا يعرفون عنها شيئاً من قريب أو من بعيد.



اشارة العارفين الباب الثاني (٤٨) مصطلحات أهل الطريقة

الناموس: أليست هذه الكلمة قالها ورقة بن نوفل لحضرة النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي، وأخذته السيدة خديجة إليه، لأنه كان يعرف الأديان السابقة، فماذا قال له؟ قال: { هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى }^١ والناموس يعني سيدنا جبريل، فهو الذي كان ينزل على الأنبياء السابقين كعيسى وموسى.

فمال هذه العبارة وكلام الصوفية، هذه العبارة قيلت للحضرة المحمدية عندما نزل الوحي الأول، فكل هذه العبارات ما دامت عبارات عربية، ولها معاني في القواميس العربية، فلا يجوز أن نقول في القاموس جزء من هذه العبارات لا يأخذه الصوفية ولا يستفيدون به، وجزء آخر خاص بالصوفية.

فأنت يصلح لك أن تستخدم أي كلمة ما دامت في قواميس اللغة العربية وهي مباحة لنا، وما دام لها معنى يفقهه العقل ويوافق النقل، فكل هذه العبارات عبارات عربية، وليست مسيحية ولا أجنبية ولا شيء من هذا القبيل.



٢- بين تعريف العشق والمحبة

يقول الدقاق: (العشق هو مجاوزة الحد في المحبة) نرجو التوضيح؟



أظن أن هذه العبارة واضحة حتى بالنسبة لأهل الدنيا، فأحياناً شخص يحب أحداً، فيحب أن يجالسه ويلتقي به، ويجب أن يتحدث معه، ولكن ليس باستمرار.

لكن لو امرأة عشقت رجلاً، أو رجل عشق امرأة، ولا يحب أحدهما أن يغيب الطرف الثاني عنه طرفة عينٍ ولا أقل، فهذا هو العشق وهو أن يجالسه ويؤانسه ويحادثه.

^١ البخاري ومسلم



اشارة الجارفين الباب الثام (٤٩) مصطلحات أهل الطريق

فالعشق أرقى من المحبة، لأن المحبة ميل القلب إلى الله ﷻ، والعشق فناء الإنسان عن الأكوان، ثم الميل بالكلية بجميع الحقائق الراقية الإلهية بالروح والسر والقلب ونفخة القدس إلى رب البرية ﷻ، فهذا تجاوز الحد في هذا الأمر، وهذا ما نسميه بالعشق. وإذا تحدثنا عن كلمة العشق في المجال الصوفي فلا يسبق إلى ذهننا مدلولها اللفظي بالنسبة للناس، أو بالنسبة لأهل العشق في الدنيا.

لكن العشق الإلهي يعني يعشق جمالات الله، وكمالات أخلاق الله، ويعشق نور حبيب الله ومصطفاه، ويريد دوماً أن يتجلى له ظاهراً، ويتملى ويتهنى برؤياه، وإذا غاب عنه طرفة عينٍ يُحسُّ بألمٍ شديدٍ لبعده، أو لظنه أنه بعيد عن حضرته.

وفي ذلك يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي وكذلك يقول سيدي أبو العباس المرسي رحمه: (بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عينه ما حددت نفسي من الموحدين) ويقول في ذلك أيضاً سيدي عمر بن الفارض رحمه:

وإن خطرت لي في سواك إرادة على خاطري نفساً قضيتُ بردتني

يعني لو أن أي خاطرٍ مرَّ على خاطري نفسٌ واحدٌ، فأنا من يحكم على نفسي بأنها رجعت، والردة هنا يعني الرجوع عن طريق الصادقين الذين يريدون الود والقرب من حضرة رب العالمين ﷻ.

٣- الصمت: درجانه، وثمرته

ما الصمت؟ وما درجاته؟ وما ثمرته؟

الصمت أنواع:

اشارة الجارفين الباب الثالث (٥٠) مصطلحات أهل الطريق

النوع الأول: صمت الظاهر: وهو لظاهر الجسم الإمتناع عن حركة اللسان، وهذا بابٌ عظيمٌ يدخل منه من أراد أن يفوز بالحكمة من حضرة الرحمن، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَلْقَى

الْحِكْمَةَ }^٢

يفتح له كنوز الحكمة من الحكيم ﷺ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة ٢٦٩).

النوع الثاني: صمت العقل: عن الخواطر الرديّة التي فيها انشغالٌ عن الحضرة الإلهية، فكلما وجد خاطراً يشغله عن الله يسُدّه ويصمت إلا عن الخواطر الإلهية.

النوع الثالث: صمت النفس: وصمتُ النفس عن الهواجس والوساوس التي توسوس بها وتحنّس بها في صدور الناس، وتدفعهم إلى الإبقاء عن الطاعات، أو التناقل عن عمل الصالحات، أو والعياذ بالله ﷻ التسابق والتسارع إلى الحظوظ والشهوات.

وكل هذا سببه خواطر النفس، فلا بد أن يصمت عن هذه الخواطر، ويفتح باب الخواطر الحقية، والخواطر الرحمانية، والخواطر الملكوتية.

النوع الرابع: صمت القلب: وصمت القلب هي صولة إلهية، وعطية ربانية، يصول الحق ﷻ صولة فلا يدع للباطل بقية، وهي عناية من الله، وإكرامٌ من الله ببركات ونظرات سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

فإذا فاز بذلك رُزق بالمشاهدات والتجليات، وهي للروح، ولكي تفوز بالحظ الأعظم وبالكرم الأعظم يجب أن تصمت عن هذه المشاهدات، ولا تلتفت إلى هذه المنازلات، وتوجه باصرة المرء إلى مقلب القلوب ﷻ، ويتأسى في ذلك بمن مدحه الله وقال في شأنه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٧) وهذا ما حدث بعد ذلك: ﴿لَقَدْ

٢ الرسالة القشيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير رضي الله عنه

اشتات العارفين الباب الثالث (٥١) مصطلحات أهل الطريقة

رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ (النجم) وليست آيات الكون.

فالصمت معراج وجوعك طهرة والصمت رفرف حضرة التواب

فالصمت يلزم كل المقامات بحسبها، وبدايته صمت اللسان عن الكلام الذي نهي عنه الحنان المنان حيث قال في القرآن: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١١٤ النساء) وفيه يقول رحمه الله:

{ الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ }^٣

٤- السياحة الروحية

ما السياحة الروحية؟

السياحة أنواع: هناك السياحة الدنيوية، شخص ذهب للسعودية، أو للكويت، أو أوروبا، أو ما شابه ذلك، لطلب المعاش، أو لمشاهدة آثار السابقين في البلاد المختلفة، فهذه تسمى سياحة دنيوية.

وهناك سياحة دينية جسمانية قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى يَرْجِعَ }^٤

أنا ذاهب لطلب العلم، فهذه سياحة، لكنها سياحة علمية دينية، ما حدودها؟ قال ﷺ: { اَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ }^٥

٣ مسند الشهاب والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

٤ جامع الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

٥ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الزيار عن أنس رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٥٢) مصطلحات أهل الطريقة

كلما كان السفر لطلب العلم أبعد يكون أجرك عند الله أكبر، فهي سياحة دينية لطلب العلوم الدينية.

وهناك سياحة فكرية، وهي أن يجلس الإنسان ينظر ويتفكر، كما قال الله في القرآن: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران).

والتفكر عبادة الأنبياء السابقين، وعبادة أولي الألباب من بعدهم إلى يوم الدين: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٠١ يونس) ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَىٰ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ (الغاشية).

وهناك سياحة أخرى تسمى سياحة قلبية، إذا أكرم الله الإنسان بعد دوام الذكر بفتح عين البصيرة، انطلقت عين بصيرته بنور الله في الآفاق، فلا يرى شيئاً إلا ويرى فيه نور الله ﷻ الذي تجلى فيه، وأظهره لمن حوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣٥ النور) وهذه التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن
تغيب المباني والمعاني سواطع
لأن المعاني الشمس والكل أنجم
إذا أشرقت فالنجم بالشمس ساطع

وهناك سياحة روحية، إذا انطلقت الروح في عالم الفتوحات الإلهية تواجهها تجليات ربانية، وتنزلات صفاتية، فيشاهد أسرار الصفات والأسماء الربانية، في كل الأكوان العالية والدانية، ويرى أن الكون كله مسير بسر الأسماء والصفات.

فسياحة الروح في التجليات والإشراقات والتنزلات، وخاصة الأسماء الإلهية المنبثة في كل الكائنات العلوية والسفلية.

وهناك سياحة تسمى سياحة السر، وهذه تكون بالمكاشفة في الحضرات التي أقام وقيم فيها حضرة النبي الكريم ﷺ، يشاهد معانيه الروحية، وأنواره العلية، وصفاته

اشتهار العارفين الباب الثاني (٥٣) مصطلحات أهل الطريقة

الباطنية، وعطاءات الله ﷻ له الخصوصية، كل هذه يراها بسياحة السر، لأن السر هو الذي يكتشف صاحب السر ﷻ.

وهناك سياحة النفخة القدسية، وهذه تكون في الحضرات الذاتية للحق ﷻ.

كل هذه تسمى سياحة في الله والله، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده السائحين.



٥- الزهد ودرجانه

ما الزهد؟ وما درجاته؟



هذا السؤال أجبناه باستفاضة في كتاب (مراقي الصالحين) فالزهد بدايته الزهد في المعاصي، وهو أن يزهد الإنسان في المعاصي فلا يميل إليها، ولا يستشعر في نفسه الإقبال عليها، بل يحس بغيض شديد نحوها.

ثم الزهد في متاع الدنيا الفاني رغبة في الباقي فيما عند الله ﷻ في الدار الآخرة، كالزهد في الأموال، والزهد في المناصب، والزهد في كل متاع الدنيا رغبة فيما عند الله، ومن يفعل ذلك نسميه زاهد وليس بعارف.

أما الزهد الأرقى هو أن يزهد قلبه في كل ما سوى مولاه، حتى لا يخطر على القلب خاطر لغير الله جل في علاه، وهذا هو الزهد الأبقى والأرقى، وهو أن يزهد في الكونين رغبة في مكون الكونين ﷻ وهذا ما نسميه زهد العارفين.

ومثل هذا قد تكون عنده الدنيا، ويكون في المناصب، لكنها لا تغريه ولا تفتنه، فقد جعل الله الدنيا في يده، فإذا ذهبت لم يحزن عليها، وإذا جاءت لم يفرح بها: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (٢٣ الحديد) فلا يفرح إلا بالله، أو بالقرب من حضرة الله، أو بالمواصلات التي تصله من مولاه، لكن لا يفرح بالدنيا وما



إشادات العارفين الباب الثاني (٥٤) مصطلحات أهل الطريقة

فيها، لأن الله نعى على قوم فقال: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢٦ الرعد) فمن فرحوا بالحياة الدنيا نعى عليهم الله ﷻ ولا مهم، لأنهم فرحوا بشيء لا يبقى، لكن المؤمن لا يفرح إلا بالباقي ﷻ

٦- الورع ودرجانه

ما الورع؟ وما درجاته؟

الورع أوله الورع في الحرام، ومعناه اتقاء الشبهات، أو الابتعاد عن المحرمات، فالورع يجعله يبتعد عن الحرام بالكلية إن كان في المطعم، أو في المشرب، أو في الملبس، أو في الأقوال، أو في الأفعال، أو في الأحوال، فيتورع عن كل شيء نهى عنه الله، أو حذر منه سيدنا رسول الله ﷺ، والورع في الحرام كلنا مطالبون به وفيه يقول الرسول ﷺ لمن تحقق بهذا المقام:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }^٦

ثم يرتقي إلى الورع في المباحات، من أنواع الطيبات: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِمُ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٣٢ الأعراف) لكنه يتورع عن بعض هذه المباحات خوف الفتنة، أو خوف الحجاب، أو خوف البعد من حضرة الكريم الوهاب، أو خوف الانشغال بها عن الله، أو خوف أن يحدث له جفاء يبعده عن سيدنا رسول الله ﷺ، فلا يوسع على نفسه في المباحات، بل لا يستخدم إلا الضروريات، ولا يستكثر من المباحات، مع أن الله ﷻ مكّنه من ذلك، وأعطاه ما يستطيع أن يحصل به ذلك، لكنه يتورع عن هذه المباحات رغبة في رفعة الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ.

٦ سنن ابن ماجه والطبراني عن أبي هريرة رضى الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٥٥) مصطلحات أهل الطريقة

ثم الورع عن الشبهات، والشبهات هي الأمور التي تختلط على كثير من الناس، فمن الناس من يجلها، ومنهم من يحرمها، فأهل هذا المقام يتورعون عن كل هذه الشبهات، وهم الصديقون، وإمامهم الصديق الأكبر ﷺ الذي كان يقول: ((كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب واحد من الحرام)) بمعنى إذا كان هناك سبعون باباً مفتوحين، منهم تسع وستون باباً من الحلال وباباً واحداً من الحرام، فالورع يجعله يترك السبعين باباً كلها مخافة أن يقع في هذا الباب من الحرام.

مثال ذلك: الشيخ ابن سيرين صاحب تفسير الأحلام ﷺ وأرضاه، وكان تاجراً، فجاءته أربعون عبوة من العسل، ووضعهم في المخزن، فجاءه الخادم وقال له: رأيت فأرة دخلت في العسل، فسأله أتعرف في أي عبوة دخلت؟ قال: لا، فقال له، إذاً لا بد أن نغرق العسل على الأرض ولا نبيع منه شيئاً للمسلمين حتى لا ندخل في قول سيد الأولين والآخرين: { مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا }^٧

فعوّضه الله ﷻ نتيجة هذا الورع، وجاءه يوسف الصديق في المنام وقال له: افتح فاك، ففتحه، ثم وضع فيه لسانه وأخذ يمصه، فقام من النوم وقد علمه الله ﷻ علم تأويل الأحلام، وذلك نتيجة الورع الذي عمل به.

وهذا بالطبع طريق صعب، إلا لمن يسره الله ﷻ عليه، فمثلاً: أنا معي تسعون جنيهاً، وأخذت عشرة جنيهاً من أحد الناس ووضعتها وسطهم، وبعد ذلك تبين لي أن العشرة جنيهاً حصل عليها هذا الرجل من عمل فيه شبهة، أهل الورع في هذه الحالة يقولون: المائة جنية كلها تذهب للفقراء والمساكين، لكن من من أهل الدنيا يهون عليه عمل ذلك؟! وهذا اسمه ورع الصديقين، وهو ورع اتقاء الشبهات.

أما ورع المتمكنين فهو التورع من أن يخطر على باله في أي نفس من أنفاسه شيء سوى مولاه، جعل القلب لله، ولا يسمح لأي خطرة أو وارد أو ماشابه يدخله إلا إذا كان من الله، أو يفتح له باباً لقربه ورضاه، أو يصله بسيدنا رسول الله ﷺ.



٧ صحيح ابن حبان والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

٧- معنى الحال

ما معنى قول الجنيد (الحال نازلة تنزل في القلوب فلا تدوم)؟



الحال وارد يأتي الإنسان بغتة أو فجأة بدون استعداد، يعني في لحظة يجد نفسه مبسوط ومسرور بدون أي دواعي أو مبررات لذلك، أو يجد نفسه حزين ومهموم بدون سابق مبررات لذلك، أو يجد نفسه يشعر بالأنس بالله، وعنده حال يحس به بوله وعشق لمولاه .. هذه كلها نسميها أحوال، وسمي حال لأنه يتحول ولا يثبت، فلا يوجد حال من الأحوال يثبت للإنسان.

كما قال الله في القرآن: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣ النجم) فتارة يضحك، وتارة يبكي، وتارة يشعر بالغمي أو بالفقر، فهذه طبيعة الحياة الدنيا، حتى لا يركن الإنسان إلا إلى مولاه الله ﷻ، ولذلك قالوا: (دوام الحال من المحال) يستحيل أن يدوم الإنسان على حال واحد، لأن الله جعل الدنيا ونعيمها إلى نفاذ.

لكن الحال الذي يدوم في الجنة العالية عندما ندخلها إن شاء الله، أو إذا فرنا بالمقامات العالية من القرب من الله جل في علاه، لكن الإنسان طالما في الدنيا فبكلمة من أحد الناس قد يسعد سعادة بالغة، وبكلمة أخرى قد يحزن حزنا شديداً، لم؟ لأن الإنسان يتأثر، وبالتأثر تأتي الأحوال التي يشعر بها الإنسان، إذا جاءه ما يستدعي انبساطه فرح، وإذا جاءه ما يستدعي انتقاصه أو غمه حزن، فهذا حال جلال، والأول حال جمال، فيتقلب المرء بين الجلال والجمال، فإذا ما اختصه الله ﷻ وجعله من أهل الكمال فلا يتأثر بهذه الأحوال، وهؤلاء قلة قليلة جداً بين الرجال.



٨- عين الجود وبذل المجهود

نرجوا تفسير قول أحد الصالحين: (الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل من بذل المجهود)؟

الأحوال تأتي عن طريق الإمدادات الإلهية، حتى يعرف المرء أنه ليس له في نفسه شيء، وإنما أموره كلها يُجريها من يقول للشيء كن فيكون، لأن الأمر لو بيد الإنسان فمن يريد أن يحزن؟! لا أحد، بل يريد حياته كلها فرح وسرور، لكن يكون الإنسان في قمة السعادة ويأتي له خبر في لحظة لا يخطر على البال يُغير الأحوال مائة وثمانين درجة، لماذا؟ لكي يعرف أن الأمر كله بيد الله، وأن المحرك والمسير له وللكون عاليه ودانيه هو الله جل في علاه، فالحال يتحول.

أما المقامات يثبت فيها قدم الإنسان، ويقيمه فيها حضرة الرحمن، ويثبته فيها النبي العدنان ﷺ، لمن هذه المقامات؟ لمن يجاهد فيشاهد، فلا بد أن يسلك سبيل أهل المجاهدة، والمجاهدة للمشاهدة موجودة في كتاب الله، يقول فيها الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فما أول هذه السبل؟ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩ العنكبوت) أول شيء معية المحسنين، فيكون من أهل مقام الإحسان، ويثبت قدمه في مقام الإحسان، ويستحضر أن الله ﷻ لا يغيب عنه في أي وقت وآن، وأن عين بصيرته تري دائماً وأبداً أنوار حضرة الرحمن ﷻ.

فإذا أراد مقاماً أعلى من ذلك: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ فيفوز بمقام الاجتهاد: ﴿هُوَ أَجْتَبَلُكُمْ﴾ وبعد الاجتهاد يرفع الله عنه المعاناة، ومشقة التعب والعناء في العبادات: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١٧٨ الحج) لا يوجد مشقة ولا عنت، بل يتلذذ بالعبادة، ويجد فيها الحسنى وزيادة.

كل هذا لا بد له من المجاهدة، فالمجاهدة للمشاهدة، إذا جاهد الإنسان في أي

اشارة العارفين الباب الثالث (٥٨) مصطلحات أهل الطريقة

مقام من مقامات الله التي ذكرها في القرآن أدخله الله ﷻ فيه وأقامه وثبته فيه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٩ العنكبوت) سندخلهم في الصالحين ما دام آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإذا دخل مع الصالحين، وجالسهم بصدق ويقين، أصبح في مقام مقعد الصدق: ﴿إِنَّ التَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ (٥٤ القمر) أين؟ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٥٥ القمر).

أين مقعد الصدق هذا؟ الذي نحن فيه الآن، أن الإنسان يجلس بين يدي العارفين والصالحين بصدق نية وصفاء طوية، لا يريد الدنيا ولا الحظوظ ولا الأهواء ولا المطالب ولا المكاسب، لا يريد إلا وجه الله، فيوجد كثير من الأجلة يكون في البداية هكذا، لكن النفس تغيره، والدنيا والأهواء تحيره، لكن إذا نهي نفسه عن ذلك، وصدق في هذا الطلب، فأين يكون؟

في الحال: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، إذا واظب على ذلك، ونهى نفسه عن بوادرها التي تحاول أن تغيره عن ذلك، ولم يلتفت إلى ذلك، جعل الله له قدم صدق عنده: ﴿لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢ يونس). فينتقل إلى مقام قدم الصدق، وأصحاب هذا المقام هم الذين يضعون أقدامهم على قدم الحبيب المصطفى على الدوام، ليست هذه الأقدام، لكن لا يتحركون حركة، ولا يسكنون سكون، ولا يفعلون فعلاً إلا إذا استحضروا حضرة الحبيب ﷺ، وكيف كان يقوم بذلك؟ وكيف كان يفعل ذلك؟ فيقيمهم الله ﷻ، ويجعل لهم مقام قدم صدق عند ربه.

وهكذا يرتقي المرء من مقام إلى مقام، والمقامات في كتاب الله لا عد لها ولا حد لها، يوجد منها عشر مقامات في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥ الأحزاب).

إشادات الجارفين، الباب الثاني (٥٩) مصطلحات أهل الطريقة

ويوجد مقامات في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ
الْمُسْتَخِرُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢ التوبة).

ويوجد مقامات كثيرة منبثة في القرآن، هذه المقامات إذا بلغها المرء ليس بالجهاد
في العبادات، ولكن بجهاده لنفسه، واجتهاده في اتباع نبيه في خُلُقهِ أَقامه الله ﷻ في
هذا المقام، وثبته في هذا المقام على الدوام، فيأمن الفتنة، ويأمن من الإغراءات، ويأمن
من الحيرة، ويخرج من الدنيا وهو في المقام الأمين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾
(٥١ الدخان) لا حجاب، ولا صد، ولا هجر، ولا بعد، ولا فتن .. يجعله الله في أمان الله،
وفي حفظ سيدنا رسول الله ﷺ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

٩- الصوفي والعابد والزاهد

ما الفرق بين الصوفي والعابد والزاهد؟

باختصار شديد الصوفي من صَفَّى نفسه وقلبه لله ﷻ، والعابد من يجتهد في طاعة
ربه بما جاء في كتابه على نهج حبيبه ﷺ، والزاهد من يترك الدنيا ويزهد في مشتيتها
رغبة فيما عند الله ﷻ في الدار الآخرة.

والصوفي يكون عابداً وزاهداً، لكن العابد والزاهد لا يكونان إلا في مقام واحد
خصوصاً به، لأنهم شغلوا بالأكوان عن مكون الأكوان ﷻ.

١٠- الدرويش

من هو الدرويش؟ هل هو مقام من مقامات الصوفية؟



التصوف كان له مجال كبير في بلاد فارس في بداية ظهوره، وكلمة درويش كلمة فارسية، وتعني فقير، فالدرويش يعني الفقير.

ونأخذ منها معنى إشاري ونقول: درويش يعني (دار وشه) إلى الله ورسوله، يعني بدلاً من أن يدير وجهه للعالم وللخيرات وللمسرات، أداره الله ورسوله.

وهذا مقام لا بد للمريد منه، لابتدئ السلوك إلى ملك الملوك، فمن يُرد أن يبدأ بالسلوك إلى ملك الملوك فليخلع الدنيا من قلبه، ويجعلها وراء ظهره، ولا يجعل في قلبه ولا وجهته إلا الله ﷻ.



١١- لغة الأرواح

رأيت بعض الطرق الصوفية يتحدث الشيخ فيها بكلام غير مفهوم!!

فقال البعض أنها لغة الأرواح!!

وقال البعض الآخر أنها علوم سريانية!!، فما صحة هذا الأمر؟



نحن جمهور الصوفية المعتدلين وكل المسلمين نقف عند قول رب العالمين حبيبنا صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥ الشعراء) وقوله ﷺ:



اشتار الحارفين الباب الثالث (٦١) مصطلحات أهل الطريقة

{ أَحِبُّوا الْعَرَبَ لثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ }^٨

وفي رواية أخرى: { كَلَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعَرَبِيَّةُ }^٩

أنتزك لسان أهل الجنة، ونتكلم بالسنة أخرى؟! أنا في بعض المواقف البسيطة أحاول أن أكلم إخواننا المسلمين غير العرب فأقول له: ما دمت ارتضيت الإسلام، فلنكي تفهم القرآن وتفهم كلام النبي العدنان فلا بد أن تتعلم اللغة العربية، فإنك لن تفهم القرآن أو حديث رسول الله بحقيقة الفهم إلا إذا أتقنت اللغة العربية.

فالذي يتمسك بلغته كعصية لقومه، ولا يتعلم اللغة العربية مثل الفرس أو غيرهم، فهؤلاء نعاتبهم على هذا الأمر.

فاللسان العربي الذي اختاره لنا الله، والذي نتحدث به مع بعضنا البعض في الدنيا، وسوف نتحدث به أيضاً مع بعضنا وتحدثنا به الملائكة وربنا في الجنة، فلماذا نترك اللسان العربي ونقول سرياني أو رومي أو غيره؟! فهذا الكلام يسمى نشاذ، والنشاذ لا نحكم عليه، فكل قاعدة لها شواذ، فلا أحكم على القاعدة من خلال هؤلاء الشواذ، وأقول أن القاعدة كلها هكذا، فنحن جميعاً بلسان عربي مبين

هل تجوز خطبة الجمعة باللغة السريانية؟! لا، فالذي يريد أن يتحدث بالسريانية يتكلم بها مع من يجيد السريانية، لكن الذين يجلسون لا يعرفون إلا اللغة العربية فلماذا نتحدث معهم بالسريانية!؟.

فأنت تعلمت السريانية فعليك أن تتحدث بها مع من يجيدها، لكن أنا أتكلم مع المسلمين المؤمنين العرب فبماذا أتحدث؟ باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.

فهؤلاء لا نقرهم على أفعالهم، ولا نرضى عن أحوالهم لأنهم خالفوا هدي نبيهم، فلم يرد عن رسول الله ﷺ في أي رواية - ولو ضعيفة - أنه ترك الحديث باللغة العربية مع المسلمين وتحدث بلغة أخرى، ونحن قال لنا الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

٨ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن ابن عباس رضي الله عنه
٩ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

إشادات الجارفين، الباب الثاني (٦٢) مصطلحات أهل الطريق

حَسَنَةً ﴿٢١ الأحزاب﴾، فما الذي يدفعه لذلك؟ دوافع أخرى ليس لنا شأن بذكرها، لكن نحن لا نقر هذا العمل.



١٢- المدد

ما معنى المدد؟ وما معنى قول: مدد يا رسول الله؟ وهل يصل المدد من الميت للحي، مثل: مدد يا حسين؟



كلمة المدد معناها اللغوي: المعونة، أمدني يعني أعني، والمعونة بحيث ما يطلبه المرء من صاحب هذا الشيء الذي يطلبه منه.

مثلاً: دُعينا إلى وليمة وأوشك الزاد أن ينتهي، فنقول: هات مدد يا فلان، فالمدد هنا هو الطعام الذي نأكل منه، أو الشراب الذي نشرب منه ليكفي الحاضرين.

والمدد كله من الله، لكن الله أقام الكون كله على أسباب، وجعل لكل شيء سبباً، فجعل الكل ينتفع من الكل، والنافع في الكل هو رب الكل ﷻ، لكن الحكمة الإلهية أن البشرية دائماً تحتاج إلى من يُعينها ومن يقويها.

فكذلك الأمر، إذا كان الإنسان في ذنب، ونفسه تؤنبه، وضميره يوبخه، ويحتاج إلى تفريج هذا الأمر، ماذا يفعل؟ نسأل الله: يقول الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وكان يكفي استغفار الله، وهل نحتاج إلى شيء آخر؟ قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ لا بد وأن يرفع الطلب: ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤ النساء).

إذاً عند الوقوع في الذنب أنا أحتاج إلى مدد رسول الله لحو لذنب، وستر العيب، والرجوع إلى الله ﷻ على النهج القويم والهدي المستقيم.



اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٣) مصطلحات أهل الطريقة

إما أن أذهب إليه، وليس الكل يستطيع أن يذهب إليه ويقف أمامه ويناجيه، كما وقف الرجل الذي تحدّث عنه العُتبي الإمام رحمة الله عليه، قال: كنت جالساً في المدينة في الروضة وإذا بأعرابي يدخل ويقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء) اللهم إني ظلمت نفسي، وقد جئتُ رسولك مستغيثاً، فبحقه عندك فاغفر لي، ثم نطق البيتين المشهورين:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

الصوفية لهم أذواق أخرى مع رسول الله، فقالوا: هنا ألفاظ لا يصح أن نخاطب بها رسول الله، وماذا نقول؟ قالوا:

يا خير من وُضعت بالروض أنجمه فطاب من طيبهن الروض والأكم
نفسى الفداء لروض أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

يا خير من وُضعت - وليس من دُفنت - بالروض أنجمه - وليست أعظمه - فالقرآن نزل نجوماً، ونزل على قلب رسول الله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥ الواقعة) وأين مواقع النجوم؟ في قلب رسول الله ﷺ، يعني نزل نجوماً: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (الشعراء)

نفسى الفداء لروض - وليس قبر - فالإمام مالك كان يقول: لا ينبغي أن تقول: قبر رسول الله، ولا أن تقول: زُرْتُ قبر رسول الله، ولكن تقول: زُرْتُ رسول الله، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، فماذا عمن هو سبب في حياة الشهداء؟!.

فانظر للصوفية، فلأنهم مهذبين ومؤدبين ارتقوا بالألفاظ، لكي يكونوا مهذبين ومؤدبين في مخاطبة حضرة النبي ﷺ.

الشاهد أن العُتبي قال: فألقي عليَّ النوم وأنا في الروضة، وإذ بي أرى رسول الله

اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٤) مصطلحات أهل الطريقة

في المنام وقال: الحق الأعراي وبشره بالمغفرة.

ما دام جاء إلى هنا فالله يغفر له على الفور، ومن لا يستطع أن يذهب إلى هنالك فيسأل الله في أي زمان ومكان بجاهه وبقدرة عند الله ﷻ، فإن الله يُجيبه ولا يخيب رجاءه، لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال:

{ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لَأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }^{١٠}

إذاً مدد رسول الله لمن يطلب مغفرة الله؛ أن يتوسل به إلى الله، بجاهه وبقدرة وبمنزله وبشرفه عند الله ﷻ، فيمده الله ﷻ بمدد التوبة، ويحسن له الأوبة.

كذاك الإنسان لو وقع في شدة، ويحتاج إلى من يأخذ بيده ويفرج عنه ضيقه وشدته، فحضره النبي بين لنا السبيل إلى ذلك، قال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَا نَرَاهُمْ }^{١١}

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةٌ أَحَدُكُمْ بِأَرْضٍ فَلْيَنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ }^{١٢}

١٠ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن عمر بن الخطاب ؓ

١١ معجم الطبرانی عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه

١٢ المطالب العالی لابن حجر والطبرانی عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٥) مصطلحات أهل الطريقة

فإذا كان هؤلاء العباد يُغيث بهم الله ﷻ العباد، فغوث كل العباد في الدنيا والآخرة، وفي الحاضر والماضي هو سيدنا رسول الله ﷺ.

من الذي يستغيث به الخلائق بما فيهم النبيين والمرسلين لرفع كرب القيامة وبدء الحساب؟ هو رسول الله ﷺ.

فإذاً عندما يحتاج الإنسان إلى عطاء رباني، وإلى نور قلبي، وإلى فتح عرفاني، فعليه بحضرة النبي، لأن الله قال له في كتابه: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص) هذا عطاؤنا فخذ كله، فقال ﷺ موضحاً لنا هذه الآية:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }^{١٣}

صاحب العطاء هو الله، لكن سر العطاء سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا - كما يدعي بعض الجهال - ليس فيه شرك مع حضرة الألوهية، ولا منازعة للربوبية، لأننا نعرف أن الكل من الله، ولكن هناك أسباباً جعلها الله.

فكما جعل الله ﷻ سبباً لكل الحوائج الدنيوية، جعل سبباً كذلك للهداية، وللعناية، وللإيمان، ولفضل حضرة الرحمن، ولكل بضاعة القرآن، ومن السبب هنا؟ هو حضرة النبي ﷺ، فعندما نطلب المدد منه، يعني نطلب منه ما أمده به مولاه أن يوالينا به ﷺ بشيء من العطاء الذي أفاضه عليه مولاه.

لكن لا نعلم أن هذا العطاء من خاصته، أو من عنده: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ (٧٨النساء) وهذا يتفق مع العقل، ومع النقل، ومع الفطرة السليمة النقية التي عليها خاصة المؤمنين الذين نرجوا أن نكون منهم أجمعين إن شاء الله رب العالمين.

والبعض يعترض على قول: (مدد يا حسين) فهي نفس الأمر، فعندما يقول ﷺ:

{ حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ }^{١٤}

١٣ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
١٤ جامع الترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٦) مصطلحات أهل الطريقة

حُسين منه شيء واضحٌ لأنه ابنُ إبنته الثقية النقية السيدة فاطمة، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ }^{١٥}

أي في أبناء فاطمة، لكن كيف يكون هو من حسين؟ لأن الحسين كان أشبه الناس برسول الله ﷺ في ظاهره وباطنه، ففاز بالعطاء، وكُشف له الغطاء، ويكفي أنه سيد الشهداء، فعندما يقول النبي في الحسن والحسين: { الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ }^{١٦}، وهل في الجنة شيوخ؟ لا، فأهل الجنة عندما يدخلوها كما قال ﷺ:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُلُّ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ }^{١٧}

وقال في حديث آخر: { إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ }^{١٨}

فسيدا شباب أهل الجنة، يعني سيدا أهل الجنة كلهم، فلما يكون الحسين سيد أهل الجنة، فيكون قد أعطاه الله ﷻ من الوراثة الحمديّة التي يقول فيها ﷺ: { إِنَّ النَّبِيَّاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ }^{١٩}

أعطاه من هذه الوراثة العلمية الإلهية والنورانية ما جعله يقوم بالنيابة عن الحضرة الحمديّة من الإمداد والإستمداد والنظرات والرعاية لكل من يطلب منه ذلك من المؤمنين إلى يوم الدين، وراثته لرسول الله، والوارث له حكم مورثه.

ولذلك أذكر في هذا الأمر الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله عليه، وكان من كُمل الصالحين، فقد كان مُعاراً في المملكة العربية السعودية، وعمل أولاً في مكة في جامعة أم القرى، ثم بعد فترة انتقل إلى جامعة المدينة المنورة بعد أن تأسست، والشيخ

١٥ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

١٦ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٧ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨ صحيح مسلم ومسنّد أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

١٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٧) مصطلحات أهل الطريقة

الشعراوي كان من أهل الفيض الإلهي، وكان في نفس الوقت المعني وذكي.

فقدّم في يومٍ لمدير الجامعة بمكة طلباً بأجازه لزيارة رسول الله، وكان مدير الجامعة في مكة من آل البيت ولكنهم متخفين هناك لأن الآخرين غلاظٌ شداد، فالرجل أحب أن يتفكّه مع الشيخ الشعراوي، فاستدعاه وقال له: يا شيخ شعراوي تعرف أن هذا عندنا ممنوع، كان يجب أن تكتب لزيارة مسجد الرسول، فقال له: إذاً فأنا مُغفّل، فقال له: لماذا؟ قال: كيف أترك ثواب المائة ألف هنا وأذهب لثواب الألف هناك؟! يعني الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف، وفي المسجد النبوي بألف، فقال: أنا ذاهب لزيارة حضرة النبي وليس للمسجد، فالموضوع ليس للثواب ولكن الموضوع للجمال وللكمال.

ولما حدث خلافٌ بين عبد الناصر والملك سعود، استدعى عبد الناصر البعثة المصرية كلها التي كانت هناك، فيقول الشعراوي: احترت، فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فقلتُ: يا سيدي يا رسول الله لا أريد فراقك، فقال له: إذا أردت أن تزورنا فعندنا بابٌ مفتوحٌ لنا في مصر، اذهب إلى الحسين، فإذا ذهبتَ إلى الحسين فكأنك زُرْتنا.

هذه رواية الشيخ الشعراوي وموجودة ومسجلة، فيقول: رجعت ومن تيسير الله ومدد رسول الله، بمجرد ما رجعت وكنت أعمل في طنطا في المعهد الديني، قالوا لي: نحن نريدك مديراً لمكتب شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر كان له مبنى أمام سيدنا الحسين ولا يزال كما هو، وماذا يفعل؟ فإذا بهم يوفّرون له شقة تُطل على سيدنا الحسين، ينظر من النافذة فيرى سيدنا الحسين، وكانت هي الشقة العزيزة عنده حتى لما ذهب إلى الهرم، وهذا يبين لنا مكانة الإمام الحسين ﷺ وأرضاه.

فالصالحون أجمعون أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، قال ﷺ في شأنهم: { إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرْشِ، وَرَبُّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفِينِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ }^{٢٠} هناك من قُتل بالسيف في المعركة، وهناك من قُتل بسيف المحبة وصار من الأحياء،

٢٠ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (٦٨) مصطلحات أهل الطريقة

وهؤلاء لهم قدرهم ومكانتهم عند الله عز وجل.

كان رجل من الصالحين يزور رجلاً صالحاً آخر، وكان مريضاً فأوصاه أن يُغسله بعد موته ويكفنه ويدفنه، فبعد أن مات، - والصالحون يعرفون ميعاد لقاء الله ﷻ مسبقاً - وهو يضعه في القبر، وكان من عادة الناس ومن السنة أن يكشف وجهه ويضع تحت رأسه لبنة - طوبة - تحت الوجه، مجرداً من الكفن تذلاًً لله ﷻ، فيقول: وضعت اللبنة، وكشفت الكفن، ووضعت رأسه، فإذا بالرجل يقول: أتدللني بين يدي من دللي؟! فقلت: أحياء بعد الموت؟ قال: أنا حي، وكل محب لله ﷻ بعد موته حي، وعزة ربي وجلاله لأنفعنك بجاهي يوم القيامة إن شاء الله.

فكل أحباب الله أحياء عند ربهم يُرزقون، وهم في حياةٍ نورانية تامة: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ (٣٤ الزمر) وأنا أطلب منهم من هذه، وليس شيئاً من عندهم، ولكن أطلب منهم شيئاً مما يشاءون، وهو كنزٌ إلهي رباني لا عد له ولا حد له.

١٣- الحال ونزكية النفس

ما معنى الحال؟ وما معنى قول أحد الصالحين: (بالحال نزكية النفوس، لا بالفلوس ولا بالدروس)؟

الحال هو عطاء رباني يتجلى على العبد فيدفعه إلى السير في طريق الله في طريق حدده ورسمه كتاب الله ﷻ، ما دافعه؟ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٥٤ المائدة) مثل من يأتي في سكرة الحياة الدنيا ويحس أن خاطراً أتاها ويلج عليه أن يؤدي العمرة، لم يفكر قبل ذلك، ولم يحسب حساباته المالية، لكنها عطية إلهية هيأها له رب البرية ﷻ.

فالأحوال مواهب إلهية يتفضل الله ﷻ بها على الصادقين في اتباع خير البرية،

اشارة الجارفين الباب الثامن (٦٩) مصطلحات أهل الطريقة

فمننا من يُجَمِّله الله بحال المحبة، فلا يكون في قلبه لغير المحبوب حبة، مشغول بالكلية بالله، والقلب دائم الإنشغال بحبيب الله ومصطفاه.

ومنا من يُجَمِّله الله ﷻ بحال التوكل على الله، فيتوكل في كل أموره على مولاه، ويحاول من حوله أن يضغطوا عليه لهذا أو لذلك، فلا يستطيعون الفكك من هذا الأمر، لأن من جمَّله بهذا الحال هو الله جل في علاه.

وتثبت لهم الأيام صدق ذلك، لأن الله ينجيهِ من المهالك، لأنه أحسن التوكل على الله ﷻ.

ومنا من يُجَمِّله الله بحال الرجاء، فتجده دائماً يُحسن الظن بالله، وإن وقع في خطيئة يُدرك تمام الإدراك أن عفو الله ومغفرة الله ستشمله.

ومنا من يُجَمِّله الله بحال الخوف، فتجده مهما تقرب، ومهما قدَّم من صالحات، إلا أنه شديد الخوف من الله ﷻ.

وهذه الأحوال كانت موجودة بين أصحاب رسول الله، ولا زالت موجودة بين الصالحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جمَّله الله بحال المحبة لرسول الله، فكان لا يُطيق فراقه، وكان عندما كاناً سوياً في المدينة يجالسه، وكان يسكن في منطقة تسمى السُّنْح خارج المدينة، ويستأذن منه ليرتكه لراحته، وبمجرد أن يصل إلى بيته يقول: اشتقتُ إلى رسول الله ﷺ!! وهذا ليس تعمُّل ولا تحايل وإنما هبة وفضل من الله، قال فيها الله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٥٤ المائدة) بسر حبه السابق يأتي حبهم اللاحق.

سيدنا عمر كان مجملاً بحال الرجاء في الله، ومعه الخوف من مكر الله جل في علاه، فكان يقول: (لو قيل لكلكم في الجنة إلا واحد لخفتُ أن أكون ذلك الواحد، ولو قيل: لكلكم في النار إلا واحد لرجوت أن أكون ذلك الواحد) خوفه لم يؤدِّ به

اشارة الجارفين الباب الثالث (٧٠) مصطلحات أهل الطريقة

إلى القنوط واليأس من رحمة الله، والرجاء حَجَمَه حتى لا يتقاعس عن طاعة الله، لأن الرجاء إذا زاد سَيِّئَ كل الإنسان عليه ولن يعمل، والخوف إذا زاد فيجعله يقنط، لكن كما قيل: (لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا).

فكان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم على هذه الأحوال، لكن الصالحين قالوا لنا: (دوام الحال من المحال) فيستحيل أن يبقى الإنسان على حالٍ واحدٍ، فكما يقلب الله الليل والنهار، فكذلك يقلب الله الأحوال، حتى لا يسكن الإنسان إلا إلى ربه، ولا يضع قدمه إلا على قدم صدق خلف نبينا ورسولنا ﷺ.

١٤- الطلوع والإنقاذ

ما المقصود بالحلول والإنقاذ؟ ولماذا يتهم بعض مُنكري التصوف الصوفية بالحلول والإنقاذ؟

قد أجبنا على هذا السؤال من قبل، وقلنا أن الحلول عقيدة أن الله ﷻ - حاشا لله - حلَّ في شيء، وهذا تحييز وتحسيم لله، فقالوا: حلَّ في المسيح عيسى بن مريم، ومنهم من قال: حلَّ في السيدة مريم، ومنهم من قال: حلَّ في المسيح والسيدة مريم معاً، ويقولون: بسم الأب والإبن وروح القدس الثلاثة إلهاً واحداً، وهذا كلام ما أنزل الله به من سلطان.

وهي مأخوذة أصلاً من العقائد البوذية، فعندهم شيء اسمه تناسخ الأرواح، وهو أن الروح لا تبلى ولا تفسد، وعندما يأتي الموت يحرقون الجسد، لأن الروح لا تبلى، فتخرج الروح وتحلُّ في مولود جديد وتنزل للأرض مرة ثانية، فيكون المولود والميت لهما نفس الروح.

اشارة الجارفين الباب الثاني (٧١) مصطلحات أهل الطريقة

وهذا يناقضه الواقع الذي نراه، فهل عدد الذين كانوا موجودون على الأرض أيام آدم هل هم أنفسهم الموجودون حالياً؟ الموجود الآن أضعاف أضعاف مضاعفة، إذاً وهل ستحلُّ الروح الواحدة في كذا جسد؟! فهذا دليل على أن هذا الكلام ليس له مصداقية، فالمسيحيين أخذوا هذه العقيدة من عند هؤلاء القوم.

وبعض الحاقدين والحاسدين للسادة الصوفية ادَّعوا أن بعض الصوفية الفلاسفة الذين أخذوا علوم الفلسفة وانخرطوا في التصوف، فكان كلامهم فلسفي مع أنه عن التصوف، فادَّعوا أن هؤلاء يقولون بهذه العقيدة وهي بالحلول وبالإتحاد وأنه حلٌّ فيه الإله، حاشا لله ﷻ.

وفي سبيل ذلك يؤلفون أقوالاً ولا تجد لها دليلاً أكيداً أو سديداً في كتب هؤلاء القوم، وهذا دليلٌ على أنها مؤلفة، فيقولون مثلاً: يقول الحلاج: (ما في الجبة غير الله) وهذه الكلمة ليست موجودة في كلام الحلاج، ويقولون: أبو اليزيد البسطامي قال: (سبحاني ما أعظم شاني) وهي ليست موجودة في كلام أبو اليزيد البسطامي.

فهم من أوجدوا هذا الكلام ليسيئوا هؤلاء القوم، وهؤلاء القوم ليس عندهم دين ولا ضمير ولا أخلاق، فيعملون ما يشاءون في سبيل النكاية بالخصم، وتقبيحه وتشويه صورته، لكن الصوفية بُراء من هذا القول.

بعضهم تكلم عن الصوفية وأيضاً بطريقةٍ أخرى، فالصوفية يصل فيهم المرء إلى مقام: ﴿ فَأَيُّمًا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (١١٥ البقرة) لا يرى من الوجود غلواً وسُفلاً إلا أثر مولاه في هذا الوجود، يعني ينظر للإنسان ولكن بعين القلب فيرى أثر السميع في السمع، والسميع هو الله، ويرى أثر البصير في البصر، والبصير هو الله، ويرى أثر الحي في حياة هذا الإنسان، ولكنه لم يقل أن هذا الإنسان إله، ولكنه ينظر إلى الآثار كما قال الله في القرآن: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ (٥٠ الروم).

وهذه يسميها الصالحين وحدة الشهود، يعني لا يشاهد إلا ما يدلُّ على قدرة وعظمة الواحد الأحد ﷻ.

اشارة الجارفين الباب الثالث (٧٢) مصطلحات أهل الطريق

فالآخرون حولوها أيضاً بطريقتهم وقالوا: وحدة الوجود، فليس في الوجود إلا الله والباقي كله فاني، وهذا ما سيحدث بالفعل، ولكن متى؟ في يوم: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن) صحيح الكل سيفنى هنا.

لكن في الحياة الدنيا التي نحن فيها لا بد وأن نُثبت المشهدين، ونفترق بين الطرفين، فالعبد عبدٌ وإن علا، والرب ربٌ وإن تنزّل.

لكن لن نقول على العبد في يوم من الأيام أنه حلّ فيه الرب، أو أنه - حاشا لله - رب، لكن هذه أقاويل أتهم بها الصوفية من الحاقدين والحاسدين كما شرحت ووضحت، بارك الله فيكم أجمعين.



١٥- نصفية النفس

من تعريفات التصوف: أنه تصفية النفوس فما معنى تصفية النفس؟



هي تصفية النفس، أو تطهير النفس، أو تركية للنفس، فكل هذا بمعنى واحد، ويعني تخليصها من الأشياء التي جُبلت عليها، وخلقَت عليها، وأمرنا الله ﷻ أن نجتّئها ونقتلعها.

كيف؟ خلق الله الإنسان كما قال في القرآن: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج ١٩) فدائماً عنده سرعة في الفزع والجزع والنفرة، فلا بد أن أُخلص النفس من هذه الصفات كلها وأعوّدها على التؤدة والحلم والرزانة والهدوء وتركية الغضب، لكي أظهرها من قلوبهم.

كذلك: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء ١١) دائماً متعجّل في كل أموره، حتى عندما يدعو الله ﷻ يريد أن يجيبه الله سبحانه وتعالى في الحال، ويجزن إذا لم يجبه في

اشارة الجارفين الباب الثالث (٧٣) مصطلحات أهل الطريق

الحال، مع أن سيدنا موسى وسيدنا هارون دعوا الله على فرعون فاستجاب، والدعوة موجودة في القرآن: ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا ﴿ (يونس) وانتظرا تحقيق الدعوة، فتمت بعد أربعين سنة!!.

فهذا يعلمنا أن هذا كليم الله، والثاني وزيره، والدعوة استجيب بعد أربعين سنة، لكن أنا أريد أن يستجب لي في سنة، وإلا فإنه غضبان عليّ أو لا يحبني ويكرهني، لأن النفس عجولة!!.

وقد قيل أن الله أحرّ إجابة دعاء موسى وهارون على فرعون لأنه كان باراً بأمه، فلما ماتت أجاب الله الدعاء، حتى نعرف قدر بر الوالدين، فطالما تعيش فهو محفوظ، ولكن عندما تموت يقولون: (قد ماتت التي كنا نكرمك من أجلها).

فالإنسان عجول ويريد كل شيء أن يتم في لمح البصر!!!

ولذلك يأتيني البعض ويقول: أنا أريد كذا، فأقول له: سادعُ الله لك، و ينتظر الدعوة أن تجاب، وأي دعوة ندعوا بها - والحمد لله - تُستجاب، ولكنه يريد أن تكون الإجابة على حسب ما يحدد هو، وفي الوقت الذي يريده، ولكن الله يستجيب لك كما يريد لا كما تريد، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد، فهل تحكم على الله ﷻ؟؟ حاشا لله.

إذا كنت لا أستطيع أن أحكم على والدي، فأقول له: أريد كذا فيقول لي: انتظر حتى أرى حالي وأعطيك، فهل أحكم على ملك الملوك ﷻ؟؟ فأنا أدعو وهو يستجيب، ولكن متى؟ كما يشاء: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣ الأنبياء).

فإذا لم يجد الإجابة يحزن من الصالحين وبعضهم يأخذ موقفاً، وبعضهم يهجرونا، وبعضهم يخاصمنا، لماذا؟ لأنه طلب شيئاً ولم يتحقق، فهل نملك إلا الدعاء؟! لكن من بيده الأمر كله هو الله ﷻ.

ونحن كما قال الله لحضرة النبي: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ

اشارة الجارفين الباب الثالث (٧٤) مصطلحات أهل الطريقة

﴿الله﴾ (١٨٨ الأعراف) فكيف نملك لغيرنا؟! لا نملك إلا الدعاء، وعلى الإنسان أن يداوي نفسه ويطهرها من العجلة، وطبيعة الإنسان التي فطره الله عليها: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١٧٢ الأحزاب) دائماً ظالم، ولذلك دائماً عنده سوء ظن بالآخرين، وهذه غاية الظلم، ويتلذذ أحياناً بظلم الآخرين.

وجاهول لأنه لا يعرف ما ينفعه وما يضره، فلا بد أن أربي النفس على العدل، وأطهرها من الظلم، وأقول لها إن الحبيب وهو لا يزال يرضع كان الله يدربه على العدل، حتى في رضع الثدي، فكان يرضع من ثدي فتعطيه مرضعته الثدي الآخر فلا يرضي أن يقربه، لأن الله أعلمه أن له أخ في الرضاعة، يأخذ واحداً ويترك الثاني، لماذا؟ لأنه يتوحي العدالة فلا يأخذ حق أخيه، ولا بد أن أستزيد من العلم، قال ﷺ:

{ إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَرْدَادُ فِيهِ عِلْمًا، فَلَا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسٍ ذَلِكَ الْيَوْمُ }^{٢١}

فلا بد للإنسان أن يتزود من العلم كل يوم ليظهر النفس فباختصار تطهير النفس: هو تخليصها من الصفات الجبلية الطبيعية التي خلقت بها، وخلقت بها لكي يجاهد الإنسان، ويظهر آثار هذا الجهاد فيستحق المكافأة من رب العباد، وإلا يستوي الكل يوم التناد، وإلا فما الفرق بين هذا وذاك؟ وقد قال ﷺ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٩٥ النساء).



١٦- الإلهام

ما الإلهام؟ وما علاماته؟

وما السبيل للوصول إليه؟ وكيف أعرف أنني من أهل الإلهام؟



٢١ معجم الطبراني عن عائشة رضي الله عنها

اشارة الجارفين الباب الثالث (٧٥) مصطلحات أهل الطريقة

الإلهام هو أن الله ﷻ بعد أن يصفو قلب الإنسان، وتطهر نفسه، يُلقي الله ﷻ عليه إما في قلبه مباشرة من حضرة الله إن كان قد وصل إلى هذه المنزلة الكريمة، أو عن طريق ملك اسمه ملك الإلهام، فلكل مؤمن ملكٌ يلهمه،

هذا الملك يُذكّر الإنسان مثلاً بأن هذا اليوم يوم الجمعة وصلاة الجمعة على وشك، أو يذكرك بأن عليك لله عمل كذا، وأنت نسيت هذا العمل، أو يذكرك أثناء النوم أن الفجر قد اقترب وهما فَم من النوم وتجهّز لصلاة الفجر ... فعمل الخير الذي تعمله كله الذي يذكرك به ملك الإلهام الذي جعله الله سبحانه وتعالى معك على قلبك.

فكلنا والحمد لله معنا الإلهام الذي يلهمنا به الله، وهذا ما يقول فيه الله في كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١ الأعراف) من الذي يُذكّره؟ ملك الإلهام الذي معه.

إذا ارتقى قليلاً في عالم الإلهام عندما يقرأ في كتاب الله، أو يسمع آيات من كتاب الله فيلهمه الله ﷻ في صدره وفي قلبه وفي فؤاده معاني طيبة في هذه الكلمات، كيف أعرف أن هذا إلهام؟ أعرض هذه المعاني على الشريعة، فإذا كانت هذه المعاني لا تخالف الشريعة فهذا إلهام من الله.

وإذا كانت هذه المعاني مخالفة للشريعة أعرف أنها وسوسة من الشيطان، فأضرب بها عرض الحائط وأستعيز بالله من الشيطان الرجيم.

إذاً الإلهام في باب العمل والأوامر شرطه أن يؤدي إلى خير أو برٍّ أو طاعة لله، فإذا كان يؤدي إلى معصية أو إلى فعل قبيح، فيكون من النفس، أو من الشيطان، فأبتعد عنه واستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

الإلهام في عالم المعاني، إذا كان آيات من القرآن، أو أحاديث للنبي العدنان، فشرطه أن يوافق شرع الله عز وجل، ولا يعارض الشريعة لا في قليل ولا في كثير، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: (إذا تعارض كشفك مع الشريعة فامض به عرض الحائط وقل: إن الله ﷻ ضمنه لي العصمة باتباع الشرع، ولم يضمنها لي في

الكشف ولا في الإلهام).

والإلهام الذي نحتاجه كلنا جماعة المؤمنين أن يُلهمني الله ﷻ بحل مشكلة بين اثنين أو بين جماعتين، وأن يُلهمني الله ﷻ بعمل نافع لنفسي أو لمن حولي، وأن يُلهمني بعمل خير للمسلمين أجمعين .. فهذا كله عبارة عن إلهام من الله مادام في عمل الخير.

أما إذا كان في شرِّ فإما أن يكون من وسوسة الشيطان، وإما أن يكون نزغة من النفس، فيستعيذ المرء من الشيطان الرجيم، ويترك وساوس النفس، نسأل الله ﷻ الإلهام النافع في كل الأحوال.



١٧- حاجز النفس

ما الحاجز الذي يعيق المرید عن الله؟



الحاجز الذي يحجز المرید عن الله هي النفس:

بينك وبين الله نفسك!

فاخلع نفسك تكن أنت وربك، فهذا هو الحاجز الأساسي:

مني أسافر لا من كوني الداني أفردت ربي لا حور وولدان

إذا سافر الإنسان من نفسه، وجد نفسه بين يدي ربه، فالنفس هي الحاجز الأكبر الذي يحجز المریدين عن رب العالمين ﷻ.



١٨- العلم اللدني

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) ما العلم اللدني؟ وكيف نصل إليه؟



العلم اللدني الذي يفاض من الله ﷻ مباشرة على قلب العبد الذي تحقق بمقام العبودية، لأنه وصل إلى مقام عظيم في تقوى الله ﷻ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٦٥ الكهف) تجمل بمقام العبودية وأصبح عبدًا لله، حرًا مما سواه.

فما مقام العبودية؟ أن يشعر الإنسان دومًا بأنه فقير إلى مولاه، جاهل يحتاج أن يُعلّمه العليم، ذليل يحتاج أن يعزه العزيز، ضعيف يحتاج إلى أن يقوّه القوي، لا حول له ولا طول له يحتاج إلى مدد من حول الله وطول الله، وبدون مدد الله لا يستطيع أن يطيع الله، وبدون حفظه وصيانيته لا يستطيع أن يمنع نفسه عن معصية الله.

فيري نفسه بغير مولاه لا يستطيع أن يفعل قليلًا ولا كثيرًا، ولا أن يمنع نفسه حتى عن أقل سفاسف الأمور، لأن الأمور بيد من يقول للشيء كن فيكون.

إذا تحقق بمقام العبودية، جاءته العلوم الوهية مباشرة من الحضرة الإلهية؛ من حضرة اللدنية، لأن هناك أناس يصل إليها علوم من الملكوت، تلهمهم الملائكة ببعض العلوم الملكوتية.. وهناك أناس يفاض عليهم علوم من أسرار الصفات الإلهية عندما ينظرون بعين القلب المضية إلى آيات الله الكونية، فكلما ينظر لآية من آيات الله توضح له ما فيها من أسرار الله جل في علاه.

وهناك أناس يستقوا العلوم من اللوح المحفوظ، وهناك أناس يستقوا العلوم من العرش، وهناك أناس يستقوا العلوم من أرواح النبيين والمرسلين السابقين؛ تأتي له أرواح الأنبياء وتلهمهم بالحكمة العلية، والعلوم الإلهية، لكن أعلاهم وأجلهم قدرًا الذي تأتيه العلوم مباشرة: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) من حضرة اللدنية، ومن الحضرة الذاتية التي لا تباح إلا للواحد بعد الواحد من أهل الخصوصية، لأنها خاصة بالحضرة



اشارة العارفين الباب الثالث (٧٨) مصطلحات أهل الطريقة

المحمدية: ﴿وَلَنْكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل) وكذلك لا ينالها إلا الوارث بعد الوارث، وكمل الورثة هم الذين يحصلون على هذه العلوم الوهية ... وهذه العلوم لا عد لها ولا حد لها، لكن ما نحتاجه معشر السالكين توضيح السبيل الذي نريد أن نسلكه لنصل إلى بر الأمان، وشاطئ الجودي عند رب العالمين، فهم يلهمهم الله بما يلائم أهل عصرهم من علوم المكاشفة، التي بها ينطوي المريد، وينال بغيته من الحميد المجيد ﷻ.



١٩- مقام التجريد

ما مقام التجريد؟ وهل من دليل من القرآن والسنة يؤكد هذا المقام؟



مقام التجريد هو المقام الذي يصل الإنسان فيه إلى تمام الثقة بمولاه، وحسن التوكل على الله، فلا يرى الأشياء إلا بالله، ولا يرى الأفعال إلا من الله، ولا يرى الأحوال إلا بإمداد من الله جل في علاه.

وهذا المقام واضح جداً عندما طلب رسول الله ﷺ من أصحابه البررة الكرام أن يتبرّع كلّ منهم بما تجود به نفسه، فسيدنا عمر في هذا اليوم يقول: وافق عندي مالا، فجنّت بنصفه، فقال لي ﷺ:

{ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلُهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا

أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }^{٢٢}

فلم يُنكر عليه ولم يعترض عليه، كما قال قبل ذلك عندما كان سعد بن أبي وقاص في مرضٍ شديد وليس له إلا ابنة واحدة، فقال: { يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلِّغْنِي مَا تَرَى

٢٢ جامع الترمذي وسنن أبي داود



اشارة الجارفين الباب الثاني (٧٩) مصطلحات أهل الطريق

مِنَ النُّوجِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي لِی وَاحِدَةٌ، أَفَاتَصَدَّقُ بِثُلْثِي مَالِي، قَالَ: لَا، قَالَ: قُلْتُ: أَفَاتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ، قَالَ: لَا، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ { ٢٣

فكان في إجابة النبي أمران، الأمر الأول: أنه سيُشفى من هذا المرض وسيكون له ورثة غير هذه البنت الوحيدة، وقد حدث، فالنبي قال: (ورثتك) والنبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، والأمر الثاني: أنه كلّفه بالألّا يتصدق إلا بالثلث، لكن عندما جاء أبو بكر، ورأى النبي فيه حُسن توكله على الله، وتفويضه الأمور لمولاه، وأنه لن تتغير شعرة منه ظاهرة أو باطنة بما أعطاه، أقرّه على ذلك.

وهذا مقام التجريد الذي كان فيه سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، وهو أن يتجرد الإنسان من كل ما له، ويجعله في أبواب الخير التي يفتحها الله ﷻ له، وهذا ما يقول الله ﷻ فيه في كتابه: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢ الأنعام) وماذا نملك؟ لا شيء، إنا وما نملك وما حولنا وأزواجنا وأولادنا وأموالنا لله: ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (١٥٦ البقرة).



٢٠- الحجب

ما الحُجْب؟ وكيف ترتفع الحُجْب عن القلب؟ وهل هناك حُجْبٌ بصرية مثل الحُجْب القلبية؟ بمعنى: هل البصر يشهد مشاهد مثلما يشهد القلب مشاهد؟



الحُجْب هي الموانع التي تمنع الإنسان عن رؤية حقيقة الجمال الإلهي في الأكوان، أو الستائر التي تنزل على عين البصيرة فلا تستطيع رؤية ذات الحبيب ﷺ مع أنها منيرة ... أو الران - يعني الغطاء - الذي ينزل على نفخة القدس، فيجعلها تُحجَب عن



اشارة الجارفين الباب الثالث (٨٠) مصطلحات أهل الطريقة

جماليات حضرة القدوس ﷺ.

فكل ما يحجب عن أنوار الله، أو جمال رسول الله، أو جمال أسماء الله وصفات الله، أو الجمال الذاتي لحضرة الله، فهذه نسميها حُجب.

وهذه غيوب لا تُرى لمن في قلبه عيوب، ولا تُرى بعين البصر، لأن عين البصر لا ترى إلا المحسوسات الملموسات، والغيوب لا يطلع عليها إلا القلوب، ولا يراها عبدٌ محجوب.

لأنها لو كانت تُرى بالأبصار لرآها كل المبصرين، لكن لا يطلع عليها إلا من انفتحت له أنوار البصيرة ببركة وإذن من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ؓ عندما نزل قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١٧٢ الإسراء) ذهب إلى رسول الله وهو حزين كاسف البال وقال: أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى يا رسول الله؟ فنزل قول الله ﷻ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦ الحج) ففرح واستبشر بفضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه.



٢١- الملامنية

من هم الملامنية أو أهل الملامنية؟



اللامنية قومٌ من السادة الصوفية لا يريدون أن يطلع على عملهم إلا رب البرية ﷻ، فإذا عملوا عملاً لله وصادف أن اطلع عليه نفرٌ من خلق الله حاولوا أن يتملصوا منه، ويتخلصوا منه أمامهم.



اشارة الجارفين الباب الثالث (٨١) مصطلحات أهل الطريقة

وهذه الحالة إسمها حالة الفتوة، فهؤلاء أهل الفتوة، وهم الملامتية.

واحد منهم تبرّع بمبلغ من المال لعمل خيري، فأراد قوم أن يثوثوا الآخرين فقالوا: إن فلان تبرّع بكذا، فجاء مسرعاً وقال: أنا كنت قد أخذتُ هذا المبلغ من أمي، وأمي قالت لي: أعدّه لي مرة ثانية، لأنه لا يريد أن يعرف الناس ماذا فعل، لأن هذا بينه وبين الله، وهذا سلوكٌ شديد.

واحد منهم كان ذاهباً للبيبا في أيام رمضان وبالنهار، ففوجئ بآلاف من الناس محتشدة حوله جاءوا لاستقباله، فأحسَّ بأن نفسه تحركت، فطلب من أحدهم قليل من الماء - و- هو صائم لكن يُباح له الفطر من أجل السفر - وقال أمامهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ورفع الوعاء على فمه، ففوجئ بالموكب كله وقد انفض، وهو يريد ذلك، لأنه لا يريد أن يعرف أحد ما بداخله أو ما يريد أن يعملهُ إلا مولاه ﷺ، وهذا هو المشهد العالى لكَمَل الصالحين، الذين نتعشم أن نكون منهم أجمعين.

فكل إنسان يعمل شيء ويريد أن يُعلن ذلك، ويقال: أن فلان عمل كذا وكذا، وهذا لا ينفع بين الصالحين أبداً، لأن هؤلاء أهل الملامتية وأهل الفتوة الذين يريدون أن يكون عملهم خالصاً لله.

ومثلهم أيضاً سيدنا على زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ أجمعين، لما غسّله بعد موته في المدينة وجدوا في ظهره علامة كبيرة كمن كان يشغل عتلاً، أي يحمل على ظهره، فتعجبوا، لأنه كان رجلاً مرفهاً، وعنده خدم وعنده أولاد، وبعد مدة من الزمن وجدوا أن ثلاثين عائلة في المدينة تكشّفوا، ولم يستطيعوا المعيشة، فذهبوا إليهم وسألوهم كيف كنتم تعيشون؟ فقالوا جميعاً: كان يأتينا رجلاً كل شهر بعد منتصف الليل، ويطرق الباب، وعندما نقول: من؟ فلا نجده، ونجد جوال دقيق وقدر به سمن وصرّة بها نقود تكفينا الشهر، ولا يأتينا إلا بعد شهر، فعلموا أن هذا هو سيدنا علي زين العابدين.

متى عرفوا ما حدث؟ بعد أن مات، وحتى أولاده لم يعرفوا، ولا زوجته، ولا حتى خدمه، لماذا؟ لأنه لا يريد أن يعرف ذلك غير مولاه ﷺ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ

٢٢- السكر والخمر

من عبارات الصوفية السكر والخمر، نرجوا تعريف السكر والخمر عند الصوفية؟



هذه ألفاظ تتشابه في المعنى، لكن تختلف في الشكل، فالسكر في الخمر الحسية يجعل الإنسان يفقد وعيه، أو على الأقل يغيب عقله.

كذلك إذا انشغل الإنسان بأي أمر دنيوي زائد عن الحد، فهذا يكون حالة السكر، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه: (الدنيا خمرة الشيطان، لله شراب منها سلمه سلمة لم يفق منها إلا بعد الموت) الإنسان الذي استعبده الدنيا فاشتغل بها فقط، فكأنه فاقد عقله.

وأشار الصوفية في كلمات السكر إلى بعض الأفراد الذين زادت عندهم محبة الله، أو محبة حبيب الله ومصطفاه، حتى أنه لشدة محبته وكثرة صوابته غاب عما حوله، فلا يعيش إلا في نطاق محبته وهو الله تعالى، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيكون قد غاب عن الدنيا ليعيش في الآخرة، أو ليعيش في رحاب الحبيب، أو ليعيش في القدس الأعلى وهذا يكون بروحه أو بقلبه، لكن الجسم قائم بما ينبغي عليه في الدنيا كما ينبغي.

وأضرب لذلك مثلاً دنيوياً: امرأة العزيز زليخة عندما خاض أهل البلدة من الوجهاء في سيرتها مع يوسف، ويوسف كان يُعتبر بالنسبة لها عبداً عندها، فماذا فعلت؟ دعته وأعطت كل واحدة منهن طبقاً فيه تفاح وسكين، وقالت له: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ فماذا حدث؟ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ

اشتات العارفين الباب الثاني (٨٣) مصطلحات أهل الطريقة

هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف) وماذا تكون هذه الحالة؟ أليست حالة سُكْر؟ فقد سَكروا من رؤية جمال يوسف الحَسِّي، حتى أُنْهِن قُطْعَن أيديهن ونزل منها الدم ولم يشْعُرْنَ، فهذا سُكْر حَسِّي.

فما بال بمن يتمتع بالجمال المحمدي؟! فماذا يكون هذا السُّكْر؟! وهذا ما حدث مع سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان ماشياً مع رسول الله ﷺ في الهجرة، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

{ مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعَالِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لَا أَمَنُ عَلَيْكَ }^{٢٤}، وعَبَّرَ عن هذا حَسَّان بن ثابت وعن حب الصِّدِّيق فقال فيه:

أحبك حباً لو يُفَاض يسيره على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فالحب - وهو حبٌ معنوي - إذا وصل لسيدنا رسول الله أو لحضرة الله لهذه الدرجة نسميها حالة سُكْر، كمن غاب عن وعيه، وكمن غاب عن فكره، لانشغال قلبه بالكلية لصاحب الحضرة البهية، أو بالحضرة الإلهية.

أما الخمر فالصالحين لما عَبَّرُوا عن عشقهم وحبهم لربهم ولنبیهم لم يجدوا ألفاظاً تلائم ذلك يستطيع أن يفهمها الخلق إلا ألفاظ الحيين العادين، والألفاظ الحسّية التي يعرفها الناس، لأن الألفاظ المعنوية لا يدركها الخلق، فَقَرَّبُوا الحقيقة وأعطوها نفس المصطلحات الحسّية، لكن مقصودهم معنوي وعالي وقلبي.

فالخمر ما يُسَكَّر الإنسان، وما الذي يُسَكَّر الإنسان المقبل على حضرة الرحمن؟ هناك أناس إذا رأى أحدهم نور رسول الله يغيب عن الوجود كأنه شرب خمرًا معتقًا، ولا يشعر بمن حوله، كما قال الإمام أبو العزائم:

اشتات العارفين، الباب الثالث (٨٤) مصطلحات أهل الطريق

من خمر نور جمالك ومن رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت وهام أهل كمالك

عندما يرى نور رسول الله يهيم وينسى الدنيا ومن عليها، كمن شرب الخمرة المحسوسة، وهذا تشبيه بليغ أو كناية عن الحال الذي هم فيه.

ومنهم من يُسقيه الحبيب ﷺ من يده كأساً يقول فيه الله: ﴿وَسَقَلَهُمْ زُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١ الإنسان) من يشرب هذا الكأس يغيب:

سقاني رسول الله كأساً مززماً وصيرني طه إماماً مقدماً
فقبلت لما وصلت يمينه وبشرني بعد الشهود بكلمة

والكأس المززم هذا رحيق من حضرة الله ﷻ، إذا سُقي منه المرید لان قلبه، وهام لُبّه، وأصبح يرى بعين اليقين ما غاب عن عالم الطين الذي نحن فيه أجمعين، وهذا أسموه خمرًا.



٢٣- الذوق

يقول البعض من ذاق عرف، ما الذوق؟ وهل يتذوق الإنسان المعاني الراقية بالعقل، أم بالقلب؟



الذوق هو الإحساس بالمعاني الراقية بالقلب المملوء بنور الإيمان، والذوق فوق العلم؛ لأن العلم يُحصّل عن طريق الأذن بالسمع، أو عن طريق العين بالقراءة، لكن الذوق يُحصّل عن طريق القلب.

والقلب إذا صفا ووفى واستنار بنور الحبيب المصطفى يأتيه دائماً وأبداً فيوضات



اشارة الجارفين الباب الثالث (٨٥) مصطلحات أهل الطريقة

والهامات من عالم الغيب الإلهي تجعله عندما يستمع إلى الكلام - أي كلام - يأتيه تفسيره المناسب له من حضرة العليم العلامة رحمته.

فالذوق بالقلوب، ولذلك قيل: (قد يكون على ذوق رجل أمي، وقد يحرم من الذوق عالم كبير أزهرى) معه علوم الشريعة وعلوم التفسير ولكن لا يتذوق معانيها، والآخر رجل أمي ولكنه يتذوق المعاني، لأن الذوق منحة من الله تفاض على قلوب أحبابه رحمته .. ويروي في هذا المجال أن الإمام أبا العزائم رحمته وأرضاه كان أحد تلاميذه يغني قصائده في الأزهر، وذكر قصيدة أولها:

أنا سدرة المنتهى والعرش والكرسي أنا القلم واللوح المعلى على نفسي

فسمع هذا الكلام عالم من علماء الأزهر، فقال له من أين أتيت بهذا الكلام؟! الذي قال هذا الكلام رجل كافر، فهم يسارعون في القذف، فقال له: أنا لا أعرف شيئاً، اذهب لشيخى؛ فذهب لزيارة الإمام أبي العزائم رحمته وأرضاه، لكنه كان ذاهباً إليه معترضاً، والرجل كان أنيقاً، أي ملابسه نظيفة، وحذاؤه لامع، ويهتم بمظهره، فعندما رآه الإمام أبو العزائم داخلاً عليه قال في قصيدة: (إن قلت إني عرش فالعرش مني جميل) وقال في قصيدة أخرى: (فالعرش موطن قدمي) فاستغرب الرجل وقال له: ما هذا الذي تقولونه؟! فقال له: اقرأ معي قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (١٣ الجاثية) فهل قال الله تعالى: سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً إلا العرش؟ لا، هل قال الله تعالى سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً إلا الكرسي؟ لا، إذًا كل ما في الأكوان غير مكوّن الأكوان مسخر للإنسان، فخضع الرجل، فقال له الإمام أبو العزائم رحمته: لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك لفقهت هذا الكلام.

فلا بد من نظافة القلب؛ لكي يتذوق الإنسان المعاني الربانية في الآيات القرآنية وفي الأحاديث النبوية، فلا بد من القلب السليم فهو الذي يتذوق المعاني العلية من الله رحمته في هذه المجالات.

٢٤- بداوة النفس

ما بداوة النفس؟

بداوة النفس تعني الإيحاءات الباطنية الداخلية التي توغز بها النفس للإنسان وتظهر في صدر الإنسان.

فصدر الإنسان يتلقى من ثلاث جهات:

- إما من الرحمن، وهذا يكون توجيهًا بالخير أو فعل البر وعمل الصالحات، وهو خاطر إلهي.

- أو وسوسة للتفريق بين اثنين محبين، أو لغيبة بين المسلمين، أو نغمة لإيقاع الفرقة بين جيران أو غيرهم، وهذه تكون من الشيطان.

- أو بداوة النفس أي هواجس النفس، وهذه تكون شيئًا شهوانيًا، كشهوة أكل وشهوة شرب وشهوة لبس وشهوة جنس، فهذه كلها من النفس.

فالإنسان الذي يكرمه الله ﷻ ويجعله من عباد الله الصالحين، يحفظه من لم النفس وبدائها، ومن وساوس الشيطان، ويجعله لا يتلقى إلا من حضرة الرحمن ﷻ، ويسارع لتنفيذ ما يرد على قلبه من إلهامات من حضرة الله جل في علاه.

٢٥- البث

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (٨٦ يوسف) ما البث؟

اشارة العارفين الباب الثامن (٨٧) مصطلحات أهل الطريقة

البث علم روحاني، أو شأن روحاني، وهو أن الرجل الرباني يعطيه الله ﷻ من القدرة الإلهية ما به يثبت - أي يقذف - في قلوب أحبائه والصالحين من أحبابه الخطرات الطيبة، التي تُطَيِّب حياتهم، وتجعلهم يقبلون على ربهم ﷻ.

﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي ﴾ الذي بث لأبنائه، ومع ذلك جاء الحسد لأخيهم، فغطى على هذا البث ولم يسعفهم من هذا الخلق الذميم، وحسدوا يوسف، وهموا بقتله، وعندما فشلوا بقتله باعوه بثمن بخس، لكن الذي أكرمه الله فقط بهذا البث هو يوسف الصديق عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فالْبث هو العطاء النوراني الروحاني من المرشد الرباني للمريد السعيد، الذي أصبح عنده استعداد لتلقي هذه الروحانيات، قد يكون منامًا، وقد يكون يقظة إلهامًا، في أي موقف من المواقف كأن يكون على المنبر أو يتحدث مع شخص في جماعة؛ فيجد إلهامًا أتى له على الفور ينقذه من هذا الموقف الذي هو فيه، ويوضح له الحجة، ويجعل له الحجة على محدثه ومن حوله، ما هذا؟! هذا هو البث الروحاني الإلهامي من العبد القائم بالله لله إلى أحبابه ببركة رسول الله، ﷺ.

٢٦- الجمع والفرق

ما الجمع؟ وما الفرق؟ وما جمع الجمع؟ وما فرق الفرق؟

هذا السؤال لا يجوز فيه التفصيل إلا لأهله، لكن سنجيب عنه على قدر المستطاع.

اشارة العارفين الباب الثالث (٨٨) مصطلحات أهل الطريقة

الجمع أن يجمع الله ﷻ بمعونته وتوفيقه الحقائق الإلهية التي في على اتجاه واحد نحو الحضرة المحمدية، ولا يجعل إحداها تتفرق، لا في الدنيا الدنية، ولا في أشياء مرضية، ولا في أهواء كونية؛ يجمعها على رسول الله ﷺ.

ثم بعد ذلك يفنى العبد في حبيب الله ومصطفاه عن نفسه وذاته، فيُجمع على حضرة الله جل في علاه، وهذا ما يسمى بجمع الجمع، لأنه جُمع على حضرة الله بعد أن كان مجموعاً على حضرة رسول الله.

فإذا جُمع على حضرة الله ﷻ وظل مجذوباً على الدوام، فلن ينتفع به أحد من الخلق، لأنه في حالة جمع واستغراق، لكن إذا أراد الله ﷻ نفع الخلق به؛ يرده إلى بشريته مع الاحتفاظ بالجمعية الإلهية في روحانيته، فيكون مجموعاً على الله وفي نفس الوقت مع خلق الله، يتعامل معهم كأنه واحد منهم أو أحدهم، ولا يعرفه إلا خاصة الخاصة من عباد الله، هذا ما يسمى بالفرق أو فرق الفرق.

وهذا ما يسمى بأي العينين، وصاحب المشهدين، يشهد حضرة الله، ويشهد حضرة رسول الله، وفي نفس الوقت لا يغيب عنه مشهد الخلق؛ لأنه طبيب رباني لا بد أن يعطي لكل إنسان ما يلائمه من العطاء القرآني ومن الشراب الصمداني، ولو أعطي أحد ما لا يلائمه يعاتب ويحاسب ويلام، فيعطي لكل واحد ما يلائمه لماذا؟ لأنه أعطاه الله ﷻ ذاك وذاك، وهذا الذي كان فيه سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى أثره الورثة والمحقون والصالحون إلى يوم الدين.

فكان سيدنا رسول الله يكون مع أصحابه، وفي لحظة ينزل الوحي ولا أحد منهم يرى شيئاً، أو يسمع شيئاً، وعندما ينفصل الوحي يقول لهم أنه نزل الوحي وأمرني بكذا وكذا، فيكون في حالة الجمع عند نزول الوحي وعندما يذهب الوحي يكون في حالة الفرق.

ويكون في جمع الجمع عند نزول الوحي، وهو يتحدث معهم لا هذا يليه عن ذاك ولا هذا يمنعه عن ذاك، فيكون الاثنان في وقت واحد، كيف ذلك؟! الجهازان



اشارة العارفين الباب الثاني (٨٩) مصطلحات أهل الطريقة

يعملان في وقت واحد، الجهاز الباطني والجهاز الظاهري يعملان مع بعضهما لا هذا يمنع هذا، ولا هذا يحجب هذا، وهذا المطلب الأعظم الذي يقيم فيه الله ﷻ كَمَل وِرْثَة الحبيب المصطفى ﷺ، ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.



٢٧- الإصطلام

ما الإصطلام؟



الإصطلام هو الشوق الشديد الذي يجعل صاحبه لا ينشغل بغير محبوبه طرفة عين ولا أقل، فلو نام يفكر فيه، ولو مشى يكون مشغول به، في كل أحواله مشغول بمحبوبه، فالحبوب هو الله ﷻ، أو رسول الله ﷺ، والإصطلام هو الشوق الشديد، والحب الذي لا ينتهي، وليس له أمل ولا وقت.



٢٨- العشق والمحبة

ما العشق؟ وما الفرق بين العشق والمحبة؟ ويقول البعض: أنه لا يجوز القول بعشق الله أو عشق رسول الله، فهل هناك دليل من القرآن السنة على العشق؟



هذه الأسئلة لا بد لها من كتاب من كتب مصطلحات الصوفية، فيوجد كتب مصطلحات الصوفية مثل ابن عربي، أو القيشاني، أو الإمام أبو العزائم، ويوجد كتاب مصطلحات الصوفية للدكتور حسن الشرفاوي، فهناك كتب كثيرة فيها مصطلحات



الصوفية يمكن الرجوع إليها.

ومصطلحات الصوفية:

ليس لها عبارة واحدة يسطرها كل من يتحدث عن الصوفية، لأن هذه أذواق وأشواق ومواجيد، والوجد يختلف من إنسان لإنسان، والحال يختلف من إنسان لإنسان، فكلها حالات فردية وليست لها تعميم جماعي، ليس قانون مثل القوانين العلمية يطبقها الجميع بل هي حالات إنسانية فردية.

فالعشق أن الإنسان يميل بالكلية لإنسان مثله، وهذا إذا كان عشق إنساني، أو إلى الحبيب الأعظم ﷺ لما يرى فيه من أوصاف خالقه وباريه، فليس يحبه للحم والشحم والدم، بل لأوصاف الله التي ظهرت في حبيب الله، أو عشق لذات الله لنعم الله التي لا تعد ولا تحصى التي أحاطها بنا الله ﷻ، قال ﷺ في ذلك:

{ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ لِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي }^{٢٥}

فهذا دليل على حب الله ورسوله، فالحديث يأمرنا بذلك، والأدلة لا تعد ولا تحد بين أصحاب رسول الله ﷺ وحبهم الشديد لرسول الله، وحبهم الزائد لحضرة الله جل في علاه

الفرق بين العشق والمحبة .. الميل القلبي، والعشق الميل القلبي إذا تحول إلى جذوة في الفؤاد، أو دافع أكثر يدفعه لتحقيق المراد، لأن المحبة تكون في البداية، فإذا زادت المحبة يريد أن يعبر عن شعوره نحو محبوبه إن كان بعبادة، أو كان بمواجيد يتحدث بها، أو كان بصلاة وتسليم على الحبيب ﷺ، أو بأي عمل يناسب هذا المقام



٢٦- مقام الفناء

٢٥ جامع الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما



اشارة الجارفين الباب الثاني (٩١) مصطلحات أهل الطريقة

ما معني قول الحلاج (عجبت منك ومني يا منية الممني، أدنيتي منك حتى ظننت أنك أني، وعجبت في الوجد حتى أفنيتني بك عني)؟

الحلاج كان من أئمة الصالحين، وقد دخل في مقام الفناء، ومقام الفناء أن يفني الإنسان عن شهواته الدنيوية، وحظوظه الكونية، ولا يبقى له إلا شهوته في الإتصال بالحييب، وحبّه لله ﷻ، لأن الله ﷻ من كل عبد يحبه ولي وقريب، وهذه مذكورة في الآيات القرآنية: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ (١٢٢ الأنعام) أي مات عن حظوظه وأهوائه وشهواته، فأصبحت النفس لا تميل لهذا ولا لذاك من لذات الدنيا الفانية التي يتلذذ بها الأقوام.

يوجد أناس عندما يشمون رائحة طعام معين، فإن النفس تشتهيها، أما هؤلاء يضع أمامهم هذا الطعام فيستوي عندهم مثل غيره، لأنهم لا ينظرون إلا للذي يقول للشيء كن فيكون، فماذا يأكلون؟ تشبهاً بالحييب، وعملاً بالسنة، وكما يقول الطب: {حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لِقِيَمَاتٍ يَقْمَنَ صَلْبُهُ} ^{٢٦}

الأكل بالنسبة لهم كالدواء، فالجوع مرض ويداوي هذا المرض بلقيمات يقمن صلبه، وهذه اللقيمات تحتوي على القيمة الغذائية التي يحتاجها كل جسم الإنسان، لا يأكل تلذذاً ولكن كالذي يأخذ الدواء، فيأكل مرغماً لأخذ الدواء لحياة الأجسام، لأن رغبته كلها في القرب من الله وفي حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وهو عندما يأكل يكون مشغلاً في المشاهد الإلهية: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤ عبس) ينظر بعين القلب إلى دورة الطعام التي دارها حتى وصل إليه: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ^(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ^(٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ^(٢٧) وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ^(٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ^(٢٩) وَحَدَاقٍ ^(٣٠) غُلْبًا ^(٣١) وَفَكِكَةً وَأَبًّا ^(٣٢) مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِ كُمْ ^(٣٣) (عبس).

العوام يجلسون على المائدة فينظرون ما هذا الصنف؟ وما هذا؟ أما الخاصة

اشْهَادُ الْعَارِفِينَ الباب الثالث (٩٢) مصطلحات أهل الطريقة

فينظرون كيف وصل إليه هذا الطعام؟ وكم مرحلة مر بها منذ أن كَوَّنَهُ الله حتى وصل إلى يده؟ كيف وضعت هذه الحبة في الأرض، وكيف جاءها الماء من السماء؟ وهياً الله لها من يزرعها، ومن يحصدها، ومن يطحنها، ومن يعجنها، ومن يخبزها، ومن يوصلها إلى ماضغيها، فهذه نظرات الصالحين للطعام، ليس لشهوة الطعام وإنما يروا فيه عطاء الله ﷻ لهم في هذا الطعام، فإذا ذهبت هذه الشهوات من عنده، فأصبح له شهوة واحدة يقول فيها ﷻ: { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }^{٢٧}

فيكون هواه تبعاً لرسول الله، وهنا يبدل الله ﷻ ظاهره وباطنه، يُنَوِّرُ الله ﷻ باطنه، وينوِّرُ الله بنور اتباع شرع الحبيب ظاهره، فيكون ظاهره نور، وباطنه نور: ﴿نورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥).

إذا لم يكرم الله ﷻ هذا العبد فيرده إلى مقام الفرق الذي تحدثنا عنه سابقاً، ربما يغيب في حضرة الربوبية، ويهيم في حضرة الإلهية، وينطق بألفاظ عمية على الحاضرين، وتغيب حتى عن أولي الألباب من الذاكرين، وهذه الألفاظ يتهياً لهم أنه يدعي أنه هو الله، لكنها ألفاظ تجري على لسانه بأمر الله، لمن أراد الله ﷻ لهم القرب منه ورضاه، لكن الإنسان إنسان وإن علا، والرب رب وإن تنزل.

ومهما علا الإنسان في المراتب العلية فلا يترك مرتبة الإنسانية، ومهما تنزل الله ﷻ في رتبة الإلهية لا يحل في البشرية، فالله ﷻ رب والعبد عبد، فليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، فالعبد الذي لم يحصل له مقام الفرق يكون فتنة لمن حوله، لأن الألفاظ الغريبة التي ينطق بها لا يفقهها إلا من كان في مثل حاله، والذي يفسرها بعقله يضل، والذي يفسرها بفكره يذل، والذي يتركها على هواه ربما يحدث له خلل، كالكلام الذي سمعناه للحلاج رحمة الله تبارك وتعالى عليه.



٣- الخلوة مع الله

ما الخلوة؟ وما شروطها؟ وما أرقى مقاماتها؟ وهل يمكن للإنسان أن يكون في خلوة وهو في جلوه؟

كان السابقون يصنعون لأنفسهم خلوة إما في بيته أو في الجبل، وكانوا يجهزونها على هيئة خلوة حضرة النبي في غار حراء، فلا تسع إلا فرداً واحداً فقط، سواء كان واقفاً أو جالساً أو نائماً، ولا يوجد بها فتحات لكي تكون مظلمة تماماً، يدخل فيها بعد أن يعطي له شيخه ورد، ويسير عليه إلى أن يأتي له مرة أخرى فيعطي له ورد آخر.

فلما أتى الإمام أبو العزائم جدد أحوال الصوفية، ورجعها إلى الأحوال النبوية، فقال: نفترض أني جلست في هذه الغرفة ومعني شرائط من الفكر والنفس، وجلست والنفس ظلت تعيد الشرائط، فيكون بذلك خلوة أم جلوة؟ ستكون جلوة، أو جلست والفكر ظل يأتي لي بالمواضيع التي أنا مشغول بها، ماذا أعمل فيها؟ وماذا أصنع بها؟ أكون بذلك خلوة؟! لا.

فما الخلوة؟ قال: الخلوة خلو القلب مما سوى الله ﷻ، تجاهد حتى يخلو القلب مما سوى الله، فإذا خلى القلب مما سوى الله كان:

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات
نفس بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

فيخلو القلب مما سوى الله ﷻ، ولا يعينه على ذلك إلا استحضار صورة المرشد الرباني، فقد قيل: (صورة المرشد تمنح وإدات الحس عن القلب فيكون الحس تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب ﷻ) فإذا وصل إلى هذا الحال فيكون بذلك وهو معنا في خلوة، وهو يسير في الطريق، أو وهو نائم يكون في خلوة، في كل أحواله في خلوة، لأنه أخلى قلبه لربه، وأصبح الساكن فيه هو جلال الله وكبريائه ﷻ، وهذا لا

إشادات الجارفين الباب الثاني (٩٤) مصطلحات أهل الطريقة

يغيب عن ذكر الله طرفة عين.

هذه هي الخلوة التي أمرنا بها الإمام أبو العزائم، فإذا مكثت في بيتي في غرفة منفرداً ولا أريد أن أتحدث مع أحد، فهذه لا تسمى خلوة بل تسمى عزلة عن الناس لكي أبتعد عنهم، أو أكتفي شرهم، أو لكي لا أغير من خيرهم، لكن ليست بخلوة، بل الخلوة أن القلب لا يكون فيه إلا الله ﷻ.

٣- الفناء والخلول والإنحاد

ما الفناء؟ وما الفرق بينه وبين الخلول والاتحاد؟

التناسخ الموجود في الهند الذي يقولون فيه أن الإنسان عندما يموت روحه عندها تنتقل إلى جسم آخر، وبعد هذا الجسم تنتقل إلى جسم آخر، فهذا لا يجوز، وهذه ليس بصورة فريدة بل هي صور متعددة.

أما الاتحاد فهذا أمر داخل في وحدة الوجود التي فسرناها وبينناها تفصيلاً، أنه أصبح - حاشا لله - هو والله شيء واحد.

يوجد ما يُسمى بوحدة الشهود، لكن لا يوجد ما يسمى بوحدة الوجود، فوحدة الشهود أن لا يشهد إلا الله مسيراً للأشياء، وقائم لكل شيء، لكن هل يشهد أن الله نزل فيه واتحد به؟ لا، حاشا لله ﷻ، وكما قال الشيخ ابن عربي:

(لا يقول بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، ولا يقول بالخلول إلا من هو معلول)

فهذا كلام ابن العربي الذي يهتمونه بهذه التهم الذي هو منها بريء ﷺ.



الباب الثالث إزالة اللبس و كشف الغموض



- ١- أقوال ملفقة للبسطامي
- ٢- الخواطر
- ٣- كتاب الطبقات الكبرى للشعراني
- ٤- كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي
- ٥- التفاسير الصوفية ٦- مشاهد الخاصة
- ٧- سماح المبادئ النبوية والتغني بها
- ٨- الذكر بالعدد ٩- الذكر بـ (هو)
- ١٠- ذكر الحضور ١١- سلطان الحقيقة
- ١٢- حسيه مني ... ١٣- أهل السنة والجماعة
- ١٤- الأقطاب الأربعة ... ١٥- تأثير النجوم والكواكب على النباتات
- ١٦- التوبة ومراتب الولاية ١٧- مصطلح الطريق
- ١٨- توقيف الأشياء ١٩- الذكر الإلهي
- ٢٠- الإنتفاع بالأولياء المنتقلين ... ٢١- علوم الأنبياء وعلوم الأولياء
- ٢٢- بين الأنبياء والصالحين في القرب من الله
- ٢٣- إسماءات الصالحين ... ٢٤- الهوائ ٢٥- التمايل في الذكر
- ٢٦- تبرة الحلاج ... ٢٧- الكرامة والإستدراج
- ٢٨- الرؤيات المناهية للسالكين
- ٢٩- رئيسة الديوان ٣٠- رؤية السيدة زينب مكشوفة الرأس

الباب الثالث

إزالة اللبس و كشف الغموض



١- أقوال ملفقة للبسطامي

حكى ابن الجوزي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: إن الله عبادة لو بصقوا على جهنم لأطفئوها، لقد وددت لو قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: لم ذلك يا أبا يزيد؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأني تحنوا فأكون رحمة للخلق، ثم قال اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع مع غيري، وقال: وما النار والله إن رأيتها لأطفأها بطرف مقعدتي، نرجوا من فضيلتكم التوضيح؟



أما المقولة الأولى (لو رأيت النار لبصقت عليها) فهذه مدسوسة على البسطامي لأنه كان من أهل الأدب العالي مع الله، ولا بد أن تزن الكلام، لا يليق برجل حبيب لله، وولي الله أن يقول قولاً يتنافى مع الأدب مع حضرة الله وحضرة رسول الله ﷺ.

أما قوله: (لو رأيت جهنم لانطفأت) فهذه لكل مؤمن، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

{ تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُزْيًا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لِهَبِي }^١

ونار الآخرة تتكلم، وعندها غيظ: ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (المملك ٨) فنار الآخرة



اشارة الجارفين الباب الثالث (٩٨) إزالة اللبس والغموض

ليست كنار الدنيا، نار الدنيا تحرق المؤمن و الكافر، أما نار الآخرة فلا تحرق إلا الكافر، ولولا أن الله خاطب نار الدنيا عندما أُلقي فيها سيدنا إبراهيم لأحرقته، فقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩ الأنبياء)، فهذا ليس لأبي يزيد فقط، بل لكل مؤمن، فكل مؤمن يدخل النار لكي ينظر أو يشفع، فعندما يدخل النار تنطفئ من نور المؤمن الذي يدخلها.

الأولياء والصالحون درجاتهم عند الله بقدر ما نالوا قسطاً من رحمة الرحمة المهداة سيدنا رسول الله ﷺ، لذلك علامة الولاية كيف تعرفها عند الإنسان؟

إذا رأيت عنده رحمة وشفقة خلق الله، فلو وجد شخصاً هارباً من طاعة الله، يرده رداً جميلاً، أو لو وجد شخصاً أذنب يُرغبه ولا يُرهبه ويأخذ بيده إلى الله بطريقة إسلامية يقول فيها ﷺ: {وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا} ٢.

فيكون عندهم رحمة بالخلق أجمعين، حتى بالعصاة والمذنبين من شدة حناهم ورحمتهم، وهذا القول لا ينفرد به أبو يزيد فقط، بل كان لأكثر من رجل من الصالحين، أن يسمن جسمه يوم القيامة حتى يملأ به جهنم ولا يدخلها أحد من خلق الله، وهذا من فرط الرحمة والشفقة لعباد الله ﷺ، لأن النار مع أنها نار إلا أن بها رحمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ (٣٠ ق) يعني هل ستأتي بآخرين؟! كفى هؤلاء، فهي لا تريد آخرين غير هؤلاء، وهذا من شفقة النار!!

فهذا ما فهمه الصالحون من هذه الآية بسر العناية الإلهية.

فكونه أنه نطق بهذا الكلام من فرط رحمته وشفقته وحنانته ورؤيته لفرط رحمة الله ﷺ، لأن أبو يزيد البسطامي بذاته عندما عاين سعة رحمة الله ﷺ قال: ((يا رب لو عاين الخلق سعة رحمتك ما عبدوك، قال: يا أبا يزيد ولو عاينوا حي لك لقتلوك فلا تقول ولا تقول)) لأن هذا سر بينك وبين الذي يقول للشيء كن فيكون.



٢- الخواطر

هناك من العلماء المقربين قالوا: (هناك من الصالحين من يعرف الخاطر قبل أن يأتيه) فكيف هذا؟



الخواطر التي تنزل على الصالحين أنواع: فهناك خاطرٌ من النفس المملوكية وهي بداخل الإنسان، وهناك خاطرٌ من الملك الذي يقول فيه ﷺ فيما معناه:

{ لكل إنسان ملكٌ يسدّده، وشيطانٌ يوسوس له }

وهناك خواطرٌ تأتيه من ملك الملوك ﷺ مباشرةً، فالذي رقى وارتقى حتى وصل إلى تلقّي الخواطر من ملك الملوك ﷺ عندما يأتيه به الملك يكون قد سبق هذا الملك وعرف هذا الخاطر قبل أن يأتي به الملك، لأن الملك لا بد أن يبلغه بهذه الخواطر: ﴿لَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣٤ فاطر).

ولكنه قبل أن يأتي به الملك قد عرفه من ملك الملوك ﷺ، وإلى ذلك يقول الله ﷻ في حبيبهِ ومصطفاه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرَّاءَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (٦ النمل)

وأين جبريل هنا؟ جبريل ليس هنا، ولكن ولا تعجل بالقرآن الذي عرفته: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (١٤ طه) فلا تعجل إلا إذا جاء جبريل بالإذن، ولذلك روى الإمام القشيري رحمه الله في تفسيره (لطائف الإشارات) في تفسير أول سورة مريم: أن جبريل لما نزل قال لرسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿ك﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿هي﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿عين﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿ص﴾ قال: علمتُ، قال: عجباً لك يا رسول الله علمت ولم أعلم وأنا الذي نزلتُ به، فقال: يا أخي يا جبريل: ألم تنزل بقول الجليل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرَّاءَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (٦ النمل)؟ فكان يتلقاه من الله، لكن لا يؤذن بالإخبار عنه ونطقه إلا بعد



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠٠) ازالة اللبس والغموض

نزول أمين الوحي جبريل بإذن من الله ﷻ.

إذا النزول الأول له خصوصية، والنزول الذي يأتي به جبريل لجميع الأمة المحمدية، فكأن هذا الخطاب فيه خصوصية وهو يأتي من الحضرة الإلهية، وفيه عمومية وهذا لا بد أن يأتي برسالة من رب البرية إلى الحضرة المحمدية، وهو نفس الكلام، ولكن فيه معاني خاصة للحبیب المصطفى من ربه، ومعاني عامة لأمة حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكذلك الأمر، فهناك رجال من رجالات الله يقول بعضهم: (إن لله عبداً لا يُحدث في كونه شيئاً إلا بعد أن يستشيره) وإن كان هذا الكلام خاص، فهؤلاء ينزل عليهم العطاءات الإلهية مباشرة، لكن لا يؤمر بالتحدث بها حتى يأتيه ملك الإلهام، وهنا الإذن بأن يُبلغ، لكن ما يأتيه قبل الإلهام فهذا خاصة نفسه، لا يُبلغ به غيره، ولا يفتح به فاه، وإنما يعمل به في نفسه، لأنه شيء خاص به، وإذا أراد الله أن يعم هذا الخير فيأمر ملك الإلهام أن يذكره به ليبيح به لمن حوله، نسأل الله ﷻ أن يعلمنا ذلك أجمعين.



٣- كتاب الطبقات الكبرى للشعراني

ما رأي فضيلتكم في كتاب (الطبقات الكبرى) للشيخ عبد الوهاب الشعراني، لأن البعض يرى أن به الكثير من الضلالات؟



المعتاد أن أتباع الصالحين كثير منهم يبالغ في كرامات شيخه، ويظن أن هذا واجب عليه، ويظن أنه نوعاً من المساهمة في نشر دعوة الله ورسوله على يد شيخه، والشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله صاحب كتاب (الطبقات الكبرى) يذكر فيه مقتطفات من



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠١) ازالة اللبس والغموض

أحول الصالحين وأقوالهم التي نتعلم منها، من أول سيدنا أبوبكر الصديق إلى عصره، فيها معظم الصالحين الذين تواجدوا خلال هذه الأزمنة.

وكانت الكتب في أيامه تكتب بخط اليد فلا يوجد مطابع، وكان هناك أناس يدسون كلام غير كلامه في كتبه، يحكي بنفسه فيقول: أخرجت كتاب عن محي الدين بن العربي أبرؤه مما نسب إليه، وكان حكيماً، فعندما يكتب النسخة الأولى بخطه يطوف على علماء الأزهر لكي ينظرون إلى النسخة، ويجعلهم يوقعون عليها.

وبعد فترة من الزمن قالوا له: الكتاب الذي أخرجته وكان اسمه (الكبرى الأحمر في عقائد الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي) فيه كذا وكذا، فقال لهم: هذه النسخة الأصلية، وهذه توقيعاتكم عليها، انظروا؛ أوجد شيء فيها مما هو منسوب في النسخ الأخرى؟ فقالوا: لا، فقال: طالما دسوا عليّ في حياتي أفلا يدسون علي الشيخ محي الدين وهو منتقل وغيره؟! فكان الدس موجود، لأن الكتب كانت تكتب باليد.

والآن بعض المغرضين الذين يعيدون طباعة الكتب يحذفون ما لا يرغبون فيه، ويطبعوه طباعه راقية لكي يوزعوه يحذفون الجزء الذي ينغصهم ويضايقهم ولا يتقبلونه، لكن كما يقولون: أن الحرامي دائماً يترك بصمة تدل على أنه حرامي.

أنا ذات يوم أتيت بكتب لأولادي تتناسب معهم، كتب علميه ترتبط بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية، كتاب عن السمع في القرآن والسنة والطب، وكتاب عن حاسة الشم، وهكذا، ومن ضمن هذه الكتب كتاب (الكبائر) للشيخ الذهبي لكي يعرفوه، فأحدي بناتي بعدما قرأت الكتاب قالت لي: يوجد بابين موجودين في الفهرس وغير موجودين في نص الكتاب، وهما باب الحب في الله، وباب معاداة أولياء الله، حذفوها من المتن ونسوا أن يحذفوها من الفهرس فأصبحت كاشفة عليهم.

فكتاب الشيخ عبد الوهاب الشعراي (الطبقات الكبرى) قد يكون دُسر فيه ما لا يكتبه من أحباب الصالحين، لكي يرفعوا في نظرهم قدر مشايخهم، على سبيل المثال أتباع سيدي أحمد البدي يضيفون له أشياء أو أحباب سيدي إبراهيم الدسوقي كذلك.



إشادات العارفين الباب الثالث (١٠٢) إزالة اللبس والغموض

قيض الله في عصرنا رجالاً من الصالحين إسمه الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، وهو من رجال الأزهر الشريف المعاصرين، وقد توفي منذ فترة قصيرة، هذا الرجل نقى الكتاب ونقحه وطبعه طبعة ليس بها هذه العثرات التي يشنع بها أعداء الصالحين. ولذلك الذي يريد أن يشتري كتاب (الطبقات الكبرى) يشتري الطبعة المكتوب عليها تحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود.



٤- كتاب نلبيس إبليس لابن الجوزي

ما رأي فضيلتكم في كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي؟



الشيخ ابن الجوزي كان واعظاً له تأثيره العظيم في مجال الوعظ ...

لكنه كان تلميذ الشيخ ابن تيمية، فهو من البداية لا يتقبل الصوفية، ولا أحوال الصوفية، وعندما ألف كتابه (تلبيس إبليس) ركز فيه على قصص وهمية قد يكون سمعها من بعض الأدعياء، ليشنع بها على أحوال الصادقين من الصوفية ...

فهذه الكتابات مغرضة ليست علمية، ولا تتبع المنهج العلمي الذي ينبغي أن يؤسس عليه أي عالم تقي نقي زكي، لأن الإنسان إذا أراد أن يدرس قضية لا بد أن يتبرأ من الهوى، ومن الميل، ويجرد أدوات بحثه، ويبحث القضية على أنه لا سابق علم له بها، ولا يحاول أن يثبت صحة رأي مسبق عنده في دراستها.

فإذا كنت أريد أن أثبت أن رأي هو الصواب فتكون بذلك ليست دراسة علمية، فالدراسة العلمية دراسة للموضوع، ولا يوجد عندي رأي مسبق له، ولا ميل لرأي، ودحض أي رأي آخر،

هذا النهج العلمي لم يطبقه ابن الجوزي، فهو أخذ موقف من الصوفية، فانسحب



هذا الموقف على كل ما أخذه في (تلييس إبليس) لأنه يريد أن ينال منهم، وأن يشنع عليهم، وأن يشوه صورتهم لكل من يقرأ هذا الكتاب، ولذلك نحن دائماً ننصح الشباب أن لا تقرأ مثل هذه الكتب.



٥- النفاسير الصوفية

يؤخذ على النفاسير الصوفية أنها أحاسيس شخصية، فإنها تختلف حسب المذاقات، ومعطيات الأشخاص، ولا تتفق مع معيار عام شامل؟



كل النفاسير الصوفية وغير الصوفية تعبر عن الرأي الشخصي لهذا الإنسان المفسر في الآيات الربانية، فهل رأيه في الآيات - حاشا لله - هو رأي الله؟! هل تفسيره ما كان يريد أن يقوله رسول الله؟! لا ... فكل فرد يقول رأيه، ولذلك الشيخ الشعراوي عندما قالوا له: تفسيرك، فقال لهم، ليس بتفسير بل هي خواطر تأتي، وغيري يقول خواطر، فهذه تسمى خواطري نحو القرآن الكريم.

لذلك نجد تفاسير ليس لها عدد، وتغلب عليها ثقافة الإنسان المفسر السابقة، إذا كان مهتماً بالنحو فنجد في تفسيره مهتماً بالنحو، هذه الكلمة مبتدأ، وهذه الكلمة خبر وهكذا، أما إن كان يغلب عليه البلاغة فنجد يركز في تفسيره على البلاغة، هذه صورة تشبيهية، وهذه كناية، وهذه استعارة وهكذا، وإن كان يميل للقصص والحكايات فنجد تفسيره كله حكايات.

وهذه الكتب موجودة، فمثلاً كتاب الزمخشري نجده كله بلاغة لأنه كان يحب البلاغة، أو تفسير الخازن نجده كله حكايات وروايات لأنه كان يحب القصص والحكايات والروايات.



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠٤) ازالة اللبس والغموض

إذا كان المفسر له رأي خاص فيما يسمونه علم الكلام أو العقائد فتجد ذلك يسيطر عليه، ولذلك تجد أن الزمخشري يميل إلى المعتزلة، فكل تفسيره يتبنى آراء المعتزلة، وهكذا.

فكل آراء المفسرين عبارة عن خاطرة نفسية أو قلبية أو فكرية، إذا كان دارساً ويسيطر عليه الدراسات التي قرأها فهذه الخواطر أتت نتيجة الفكر، وإذا كان مقتنعاً بفكر ويريد إثباته في تفسيره فهذه تكون خواطر نفسية. وإذا كان رجلاً تقياً نقساً ولا يطلب إلا تفسير القرآن بما يرضي الله على حسب مستوى الحاضرين بين يديه، فهذه تسمى خواطر قلبية، يتلقاها مباشرة من الذات العلية.

فكل فرد له منهجه ورأيه في التفسير، ولا يوجد أحد يقول رأيي هذا هو الصواب وغيره خطأ، فنقول له: أنت الخطأ، فأنت قل رأيك وكل شخص يقول رأيه، ولو كان الأمر يحتاج إلى تفسير واحد ليجمع عليه المفسرون لكان فسرهم رسول الله، ولا أحد يفسر بعد ذلك، ولذلك تركه، لأن كل عصر يحتاج لتفسير، وكل فئة يحتاجون لتفسير.

فالعصر الذي نحن فيه الآن عصر علم، فنجد كتب تفسير مصور للأطفال، وهو يأتي بالآيات الكونية، ويعرض فيلمها، ويضع الآية القرآنية والتفسير البسيط لها..

فمثلاً: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨يس) فيأتي بفيلم للشمس وهي تجري، يعرضه على الأطفال، ومعه تفسير بسيط، وهذا ما يحتاجه أطفالنا في هذا الزمان، وهل السابقين كان يوجد عندهم هذه الأشياء؟

لا، ولذلك قال الله لحضرة النبي ﷺ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩القيامة). كيف ذلك؟ يلهم الله أهل كل عصر، وأهل كل مصر بالتفسير الذي يلائم من يعيشون معهم بما يلائم أحوالهم وعلومهم وأفهامهم...



٦- مشاهد الخاصة

هل هناك صلة بين الحقيقة الحمدية والمشاهد الذاتية؟



هناك مشاهد للحقيقة الحمدية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد للأسماء الإلهية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد الاسم الذاتي وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد الهوية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد حضرة كنز العماء وهي مشاهد أخص، وهناك مشاهد حضرة الذات .. مشاهد لا عدَّ لها ولا حدَّ لها يرتقي فيها العارفون، ولكنهم لا يعرفون كيفية التعبير عما شاهدوه للمريدين، فكيف يفسرون ما شاهدوه؟! وكيف يوصلوه لهم حتى برموز وليس بألفاظ للمريدين!؟.

فالعارفون يصلون إلى حال يصف شيئاً يراه، ونحن لم نصل إلى مثل هذا الحال، والناس تقف عند العبارات، فأنا لم أصل إلى هذه المشاهدات فمالي وما لهذه العبارات؟! هذا يحتاج لمن ذاق هذه العبارات بعد أن تمتع بهذه المشاهدات لكي يُفسّر أحوال هؤلاء الأكابر عندما عبروا عن هذه العبارات.

كلُّ يُعبّر على قدره بما أشهده الله ﷻ من نور جماله وكمال وصله، لكن هذه الأشياء لا يستطيع أحد أن يعدّها ولا يحدها لأنها ليس لها نهاية.

كل المشكلة والمعضلة في هذا الأمر أن كثيراً ممن يدعون الصلاح يحاولوا أن يشدوا الناس ليظنوا أنهم صالحين ويتكلمون في هذه المصطلحات بعبارات، وهم لم يتوصلوا إلى حقيقة هذه المشاهدات، فهذا ما يخلط على الناس.

لكن لو أنه قدّم نفسه لحضرة الله، وذبح نفسه على مذبح القدرة، ولم يعد له هوى ولا حظ ولا رغبة في مشيخة ولا شُعبة ولا ظهور، فعلى الفور يتولاه مولاه، فلا يخرج من فمه إلا ما يليق بالحاضرين حوله من عباد الله، فهذا الطعام الذي ينزل لهم طازج من حضرة الله جلّ في علاه، وهو ليس له شأن به، فهو مجرد سفرجي يُقدّم الطعام



إشادات العارفين الباب الثالث (١٠٦) إزالة اللبس والغموض

الذي يُقدمه له المطبخ ... ولستُ أنا صانعه، ولا أنا طاهيه، فانا مجرد سفرجي، فالمطبخ الإلهي يجهز المائدة، وأنا آخذ من هذه المائدة وأقدمه لهؤلاء فقط، ولا أقدمه لأحدٍ آخر، ولا أستطيع أن آتي بطعامٍ آخر لأقدمه لهؤلاء، فانا ملتزم.

فهذا هو الفارق بين العارفين والجاهلين الظاهرين على أنهم عارفين، ولذلك يسموهم قُطَاع طريق الله على عباد الله أجمعين، فهذه هي الحقيقة أنهم يضللون الناس، والناس يحسنون الظن فيهم وهم مساكين ليس معهم شيء ولا يعرفون شيء.

فلماذا تقطع الطريق على عباد الله؟! إما أن تعرف، أو تتركهم لمن يعرف، وأنت لا تعرف فقل لهم: اجثوا عن غيري فتكون بذلك رجلاً أميناً، وبسر هذه الأمانة سيكرمك رب العالمين ﷻ.

٧- سماع المدائح النبوية والتغني بها

ما حكم سماع القصائد، والمدائح النبوية، أو التغني بها؟

يكفي أن نساء الأنصار بنات بني النجار استقبلن حضرة النبي وكن ينشدن (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فقال لهن حضرة النبي:

{ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُجِبُكَ }^٣

أثنى على هذا الأمر، وكان ﷺ يأمر بوضع منبر في مسجده لحسان بن ثابت يقف عليه ليقول قصائده، ويقول له:

{ اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ }^٤

^٣ دلائل النبوة للبيهقي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه
^٤ مسند أحمد وابن حبان عن البراء بن عازب رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠٧) ازالة اللبس والغموض

والنبي ﷺ كان عندما يعمل مع أصحابه في بناء مسجده، أو في حفر الخندق كان يتغنى ويردد حوله المهاجرون والأنصار، وكان يقول ﷺ:

{ اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ }^٥

وهم كانوا يردون ويقولون: ((لأن قعدنا والنبي يعمل لذلك منا العمل المضلل))

وكان ﷺ إذا سافر ومعه النساء يركبن الجمال، والجمال تحب سماع الأناشيد من صوت شجي، فكان من بين أصحاب رسول الله ﷺ أنجشة، وكان ذا صوت عذب، عندما يتغنى تسرع الجمال، حتى كان رسول الله ﷺ يخاف على النساء أن يقعن، وكانت النساء لكل واحدة هودج فيقول له:

{ وَيَحْكُ يَا أَنْجَشَةُ ارْفُقْ بِالْقَوَارِيرِ }^٦

فكانت الجمال تجري عند سماع صوته، وهو ما يسمى الحداء، وكان ﷺ في معاركه الحربية يذهبون ومعهم طبول الحرب ويتغنون بالأناشيد الحماسية، فكل هذه أدلة ثابتة و معتمدة قديماً وحديثاً، وكل من نهي عن ذلك فإنه لا يعلم حقيقة ذلك.

المنهي عنه في الغناء إذا كان بالفاظ فاحشة، أو بالفاظ ماجنة، أو بالفاظ تجعل الإنسان عندما يسمعها يصاب باشمزاز أو بحياء شديد، أو كان الغناء في وقت فريضة من فرائض الله، ويمنع المغني والمستمعين من أداء الصلاة في وقتها، أو يصحب الغناء أمور لا يرضاها الدين كرقص نساء مع رجال، أو نساء بين رجال .. هذه هي الأمور المحرمة.

لكن الغناء الديني الذي فيه تأسي بسيد الأولين والآخرين ﷺ فإن الدين يجبهه، لأن القلوب تتحرك إذا سمعت هذه الكلمات من رجل موهوب بالصوت الحسن.

سيدنا داود عندما كان يتزعم بمناجاته لله ﷻ وهي ما تسمى المزامير، فمن شدة

٥ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
٦ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠٨) إزالة اليبس والغموض

تواجهه كانت الجبال والطيور والحيوانات كلها تلتف حوله ويعملون حلقة ذكر معه ويرددوا معه: ﴿يَنْجِبَالُ أَوْي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (١٠ سبأ).

٨- الذكر بالعدد

ما فائدة الذكر بأسماء الله ألف مرة أو مائة ألف مرة أو أكثر؟

الذكر بالعدد لا يستوجب المدد، وإنما يستوجب حسنات تُكتب للإنسان، ويرى أثرها في الجنات، لكن ذكر الله الذي يصل به العبد إلى القرب من مولاه الذي يستغرق فيه في حضرة الله، حتى أنه ربما لا يدري بنفسه، فكيف يعد؟! الذي لا يدري بنفسه ولا يرى نفسه هل يعد؟! ويرى الصديقون وكُمّل المقربين أن الله ﷻ يحيطنا بنعمه، ولا يعدها علينا، أفينبغي أن نعد ذكره الذي أعاننا عليه على حضرته؟! ونطلب الأجر في مقام عظمتة؟! هل هو عدّ علينا النعم لكي نعد عليه الذكر!!؟

والذكر الذي ينال القبول، ويحوز الرضا من الله، هل علمناه حتى نعدّه؟! فالذي يذكر يذكر الله، والذي يذكر الله يقول فيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَنَّا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ} ٧

فإذا كان القلب منغمس في الدنيا، أو في الشهوات، أو في الحظوظ، ومشغول، فلا يقبل الله منه هذا الذكر! لأن الله يريد الذكر في حال الحضور مع من يقول للشيء كن فيكون:

اذكر الله إن نسيت سواه قل بقلب في الذكر يا الله

٧ جامع الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٠٩) ازالة اللبس والغموض

إذا نسيت كل شيء وذكرت، فهذا هو الذكر: ﴿وَأَذْكُرُّ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (٢٤ الكهف).

قبل عصر الإمام أبي العزائم ؑ كان هناك من الصالحين المجدين في العبادات، هؤلاء المجدين كانوا يجعلون لهم أوراداً من الأسماء والصفات، فيوجد منهم من يذكر الله بسبعة أسماء، فينتقل من إسم إلى إسم وهم السادة الخلوتية، وهناك الذين يذكرون بثلاثة عشرة إسم، فينتقل من إسم إلى إسم بإذن شيخه، وهم السادة البيومية والخليلية، فأني الإمام أبو العزائم ؑ أرضاه وقال كل الأسماء الحسنى للتخلق، وذكره أن يتخلق بهذا الاسم، فلو ذكر إسم (الكريم) مائة ألف مرة، وهو رجل بخيل، سيكون بذلك ذكر هذا الاسم؟! لا، فما ذكر إسم (الكريم)؟ أن ينفق ما يملك الله ﷻ.

إذا كان هو غليظ في المعاملات، إن كان مع زوجته، أو مع أبنائه، أو مع جيرانه، أو غيرهم، وهو يذكر إسم (الرحيم) ملايين المرات، فماذا أخذ من إسم (الرحيم)؟ لم يأخذ شيء، فذكر إسم (الرحيم) فعل، أرحم إبنی، وأرحم بنتی، وأرحم زوجتي، وأرحم الذين حولي، وأرحم نفسي، فالذكر هو التخلق بهذا الاسم.

رجل شديد في الخصومة، ويحاولون أن يصلحوه على شخص فلا يوافق ويرفض، فما ذكرك في هذا الموقف؟ إسم الله (العفو)، فهل ذكر اسم (العفو)؟ لا، فالذكر ليس بالقول، بل الذكر بالحال، فأنت عفو تعفو عن من ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرملك.

الله ﷻ إسمه (اللطيف) فإذا أردت أن تذكر إسم (اللطيف) فلا بد أنت تكون أنت لطيف في كل أحوالك، حتى مع الجمادات تكون لطيف، حتى مع فتح وغلق الباب تكون لطيف ... في كل أمر من الأمور لطيف وهذا هو ذكر إسم الله اللطيف.

فما الإسم الذي نتعلق به لكي نصل به إلى القرب من الله؟ هو إسم (الله) فهو الإسم الوحيد للتعلق، وهذا الذي قال فيه الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿قُلِ اللَّهُ تَرْتَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١٩١ الأنعام).

اشارة الجارفين الباب الثالث (١١٠) ازالة اللبس والغموض

واذا أردنا أن ندعوا، فندعوا بأي إسم من أسماء الله الحسنى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (١١٠ الإسراء) فعندما أدعو أقول: يا رزاق ارزقني، يا شافي اشفني، يا معافي عافني .. فأذهب للأسماء الحسنى الموافقة للدعاء، لكن الذي يريد الله فقط، ولا يريد مصالح دنيوية ولا أخروية ولا كونية، فعليه بما قال الله لرسول الله: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١ الأنعام).

وقال لنا في أكثر من آية: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١ الأحزاب) فهو الإسم الخاص بالذكر، وهذا هو الإسم الوحيد الذي لو حذفت أي حرف من حروفه لا ينتقص من هذا الإسم شيء، فلو حذفت الألف أصبح (لله): ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢٨٤ البقرة) ولو حذفت اللام الأولي أصبح (له): ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (١٣ الأنعام) ولو حذفت اللام الثانية أصبح (ه): ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣ الحديد) لو حذفت أي حرف فيكون الباقي تام، ولا يوجد أحد من الأولين ولا الآخرين سمي بهذا الاسم، حتى فرعون قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٢٤ النازعات) ولم يقل (الله) لأن هذا الإسم خاص بحضرة الإلهية.

وهذا هو الإسم الذي نذكره، كيف نذكره؟ نذكره في حالة استغراق، إلى أن تنكشف الحجب، ويتحقق القرب من حضرة الكريم الخلاق ﷻ، لا يوجد مائة ألف، أو سبعين ألف، أو مليون، ولا شيء من هذا القبيل الذي كان في الأيام السوالف، لكن لكل عصر دولة ورجال.

٩- الذكر بـ [هو]

يؤخذ على الصوفية الذكر بأسماء الله غير المفهومة مثل (هو)؟

اشارة الجارفين الباب الثالث (١١١) ازالة اللبس والغموض

(هو) اسم مفهوم، وهو ضمير غائب، لكن إذا كان ضمير متعلق بالعلي الكبير فلا يكون غائب.

لكن البعض يذكر ببعض الأسماء غير الحقيقية، كبعض أدياء التصوف الذين ينتقصون ذكر الأسماء بسبب حركاتهم التي تصاحب ذكرها، نحن نشترط للذكر وحركات الذكر أن يكون القول بلفظ صريح بلسان عربي فصيح (الله).

لكن بعض المنتسبين للصوفية، وخاصة الذين يذكرون على آلات موسيقية، حتى لا توجد حلقات بينهم، فكل فرد يذكر على حده، ومنهم الذي يظن أنه حدث له حال وجد، فبعض هذه الحالات يظن أنه غاب عن الوعي، أو أنه يمثل أنه غاب عن الوعي على حسب حالته، وبعضهم يصنع بفمه مثل فم الجمل ويخرج رغبة ليبين أنه رجل مجذوب، ويخرج الألفاظ بعبارات غير واضحة، مع أنها أسماء الله ﷻ!! وهذه لا ينبغي أن تكون بين الصوفية الصادقين، لأن أحرص ما نحرص عليه أن يكون اللفظ صريح وفصيح، كما ورد في القرآن، وكما ورد عن النبي العدنان ﷺ ولذلك نحن نقول جميعاً (الله، الله)، فمثل هؤلاء أقوالهم هذه تتنافى مع الصوفية الصحيحة، التي هي على المنهج الكريم، منهج الرؤوف الرحيم ﷻ.



١٠- ذكر الحضور

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ لَكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (٢٤ الكهف) ..

فمتى نسي رسول الله ربه حتى يذكره؟



هذا السؤال أجبناه قبل ذلك، والإمام أبو العزائم رحمه وأرضاه أجاب عن هذا السؤال في بيت من الحكمة، قال فيه ﷺ:



اشتات العارفين الباب الثالث (١١٢) إزالة اليبس والغموض

اذكر الله إن نسيت سواه قل بقلب في الذكر يا الله

ما معني هذا الكلام؟ إذا ذكر الإنسان الله والبال مشغول، والقلب سارح، فهذا الذكر غير مقبول، قال فيه عليه السلام:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَهُ }^٨

يعني قلب مشغول، ومتى يقبل الله ذكره؟ إذا كان القلب حاضراً، ولا يغيب عن حضرته، ولا ينشغل بالدنيا والأهواء والشهوات أثناء الذكر لله ﷻ.

فإذا نسي الإنسان الأكوان، وغاب في محبة الرحمن، وذكر الله ﷻ وهو حاضر بين يدي حضرته، فلا يتأجج في قلبه إلا عظمت حضرته وقال: (الله) والقلب مشغول بالله، فهذا هو الذكر.

فالذكر الحقيقي الذي فيه القبول، وفيه الرفعة، وفيه المقامات العالية، إذا نسيت كل شيء غير الله عند ذكرك لله ﷻ، هذا الذكر الذي ذكره العارفون، وهذا الذي قال فيه الإمام الجنيد رحمته الله:

ذكرتك لا أني نسيتك لحظة وأهون الذكر ذكر لساني

فذكر اللسان هو البداية، لكن ذكر القلب هو الذي فيه العناية، وفيه الرعاية، وفيه الولاية، وأما ذكر الروح ففيه التجليات وفيه الفتوح، وذكر السر في الإكرام، وفيه البر، وفيه المودة التي لا تنقطع من الله ﷻ لمن يذكر الله على هذه الحالات الطيبة.

فالذكر الأكبر هو أن الإنسان يذكر الله في حضور مع مولاه، فهناك ذكر في حالة الغيبة، يعني أنا أذكر الله ولكن لا أرى شيئاً ولا أشعر بأي شيء، لكن هناك من لا يذكر الله إلا ويحضر قلبه، ويتمتع بالنظر - على قدره - إلى وجه مولاه، وهذا شيء آخر، فالذكر ذكران ذكر القلب وذكر اللسان:

الذكر ذكران، ذكر القلب ولساني هما مقام شهودي دار رضواني

٨ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

إشادات الجارفين الباب الثالث (١١٣) إزالة اللبس والغموض

فذكر فؤادي رؤية الوجه ظاهراً وباسم الذي أهواه ذكر لساني

اللسان يذكر ويردد اللفظ، ولكن القلب يرى ما لا يراه الناظرون من أنوار أو أسرار أو جمال رب العالمين على حسب مقامه وقدره.

فمنهم من يشاهد الأنوار: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣٥ النور) ومنهم من يشاهد نور الأسماء والصفات، ومنهم من يشاهد ملكوت رب العالمين، ومنهم من يشاهد أنوار حضرة العزة، ومنهم من يشاهد الأنوار الذاتية، وكل واحد على حسب قربه من ربه، وهذا اسمه ذكر الحضور، وهو ذكر مع مشاهدات.

الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله يقول: قَوِيَ عَلَيَّ الذِّكْرُ يَوْمًا، فرأيت كل شيء حولي نوراً، قال: فأخذني حصر البول، وكان في صحراء، قال: فوجدت ذرات الرمال كلها نوراً تذكر الله، فكيف أتبوء عليها؟! فدعوت الله ﷻ أن يحجيني عن هذا المشهد، فقبل لي: لو دعوتنا بكل أسمائنا وأنبيائنا ورُسُلنا ما حجبناك، ولكن ادعنا أن نقويك، قال: فدعوت الله أن يقويني، فأشهدني المشهدين ونظرتُ بالعينين.

فأصبح هذا المقام الأكمل في هذا المقام، فعين الرأس ترى الرمل، وعين القلب ترى النور الذي في هذا الرمل، وأذن الرأس لا تسمع شيئاً من الرمل، ولكن أذن القلب تسمع ذكر الرمل لخالق الرمل عز وجل، وهذا مقام عالٍ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا إياه أجمعين.



١١- سلطان الحقيقة

يقول القشيري: (الاستهلاك بالكلية يكون له استولي عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد به الأختار لا عيناً ولا أذناً ولا سمّاً) ... نرجو التوضيح؟



اشارة العارفين الباب الثالث (١١٤) إزالة اليبس والغموض

نضرب مثال لتوضيح الحقيقة: قيس ليلي المشهور، عندما اشتغل بحب ليلي وسيطرت عليه، أصبح لا يرى إلا ليلي، ولا يسمع إلا صوت ليلي، حتى عندما ذهب إلى ديارها قال:

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدار
فهو لا يرى الجدار، ولكن لا يرى إلا ليلي:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار
ولم تكن ليلي جميلة، فقالوا له أن ليلي التي أنت مشغول بها ليست جميلة، فقال لهم: أنتم رأيتموها بعينكم أم بعيني أنا؟ قالوا له: بل بعيننا، فقال: لو رأيتموها بعيني لترون ما أنا فيه.

إذاً لو انشغل الحب بالحبيب بالكلية أو كما نقول في العامية: ذاب في الحب، فإذا ذاب في الحب فلن يسمع إلا صوت حبيبه، ولا يتمتع إلا بالنظر إلى حبيبه، وهذا مقام العشق الإلهي.

حتى في الأغاني الشعبية يقربون لنا هذه الحقيقة، فعندما غنى المطرب وقال: (كامل الأوصاف فتني) أحد العارفين هاج عندما سمع هذه العبارة لأن كامل الأوصاف في نظره سيدنا رسول الله ﷺ

فالصالحون أخذوا هذه الأبيات على أنفسهم، وقال: (بتلوموني فيه، لو شفتم عينيه، حلوين أد فيه، هتقولوا انشغالي، وسهر الليالي، مش كتير عليه) فهو يعبر على قدره، والناس أخذوها معاني حسية، لكن الصالحين يأخذوها معاني معنوية، عشق في الذات العلية، وفي الحقيقة الحمدية.

فالذي يعشق الحقيقة الحمدية، ويعشق الذات الحمدية عشق كامل، لا يرى إلا جمال حبيبه، ولا يسمع إلا حبيبه، ولا يتملى إلا بحبيبه، وهذا ما يسمى بمقام الإصطلام، اصطلم أي زاد عن الحد في العشق لحبيبه، إن كان سيدنا رسول الله ﷺ، أو حضرة الله



اشتات العارفين الباب الثالث (١١٥) إزالة اليبس والغموض

تبارك وتعالى، وهذا هو الحال الذي يوصل الصالحين الكمل إلى مقام الوراثة الكلية للحضرة المحمدية.

ما المقصود بوارث له؟ أي هو هو، مات في هواه، ومات في غرامه، ونسى نفسه، وانسلخ من نفسه، وانسلخ من حسه، ولم ير غير حبيبه، وهذه يقول فيها الإمام أبو العزائم عليه السلام:

فتارة أنا عبد ذاته محقت وتارة أنا مخمور أراك أنا

مخمور بخمر الحبة، أي نسي نفسه تماماً، فأصبح لا يرى إلا حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، وهذا مقام عال لا بد منه لمن أراد أن يكون وارثاً كلياً للحضرة المحمدية.



١٢- حسين مني

قال عليه السلام: { حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ }^٩...

فهل كل العارفين من ذرية الحسين؟



سيدنا رسول الله ﷺ من البداية ملتزم بقول الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ (١٣ الحجرات) هل قال: أتقاكم أم قال: ذريتي؟

قال: أتقاكم، ولكننا نكرمهم لأن الله كرمهم، ونحن نكرم من كرمه الله.

ليس كل العارفين والصالحين قديماً أو حديثاً ممن ينتسبون إلى آل بيت النبي.

^٩ جامع الترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة رضي الله عنه



اشارة العارفين الباب الثالث (١١٦) إزالة اللبس والغموض

صحيح أن آل بيت النبي منهم العارفون ومنهم الصالحون، ولكن أحياناً يكون منهم من الآخرين، فهل نكرمه مع ما هو فيه؟! هذا نُكرمه بأن نُهديه ونوصيه ونأخذ بيده إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فنكون بذلك قد أحسنا إلى حضرة النبي فيه...

فالإحسان لذرية النبي أن نقر به إلى الاستقامة إذا كان بعيداً عن الاستقامة، لكن لا أعظمه مع ما هو فيه، لكن على مدى الزمان، مثلاً سيدي أبو الحسن الشاذلي عليه السلام وكان حسناً من ذرية الحسن، أعطى الخلافة لتلميذه أبو العباس المرسي، وأبو العباس المرسي كان من الأنصار من قبيلة الخزرج، فليس حسناً ولا حُسيناً، وقال: خيلتي عليكم أبو العباس المرسي، وغيره وغيره والتاريخ مليء بهذه النماذج وهذه الأمثلة، لكنها كلها عبارات معنوية، فحديث:

{ حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ }^{١٠}

الناس تقف عند المعاني الحسيّة، فحُسين هنا معناها مقام! فحُسين منه ﷺ لأنه قال: { إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ }^{١١} ومعنى قوله: (وأنا من حُسين):

لأن سيدنا الحُسين كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خَلْقَةً وَخُلُقاً وَهَدِياً وَكَمَالاً وَسَمَاحَةً فِي كُلِّ الْأُمُورِ، فكان أكمل الناس في هديه برسول الله ﷺ. فسيدنا رسول الله هو الميزان:

فكل من على هذه الأخلاق الكريمة وهذه الأوصاف العظيمة، نذهب عنده لتتعلم منه أخلاق رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، لأن الحسين انتهى، وكل من يأتي بعده وفيه هذه الأخلاق الكريمة وهذه الأوصاف العظيمة وهذه الهمة العالية فنذهب له ونتعلم منه.

١٠ جامع الترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة رضي الله عنه
١١ معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١١٧) إزالة اللبس والغموض

(أنا من حسين): ... يعني نتعلم ممن يتشبه بالحسين، والحسين خير من تشبه بالنبي ﷺ، طبعاً الخَلقة لا يستطيع أحد أن يتشبه بها، فأصبح ما بقي لنا هو المعني كاخلق الكريم، والوصف الطيب، والأعمال الصالحة، والهمة العظيمة في طاعة الله ﷻ وعبادته، والمنافحة الشديدة في إظهار ما يُحبه الله، وفي التمسك بالمبادئ والقيم التي جاء بها رسول الله، لأنه مات في سبيل مبدءاً من مبادئ الإسلام.

فمن وجدنا فيه هذه المعاني نذهب إليه ونتعلم عنده، لأنه سيُظهر لنا علوم النبي، وأخلاق النبي، وأنوار النبي، وأحوال حضرة النبي، لأنه تشبه التشبه الذي أمرنا أن نتشبه به حضرة النبي ﷺ.

فأصبح الحسين هنا ميزان للرجال الذين نذهب إليهم لنستشف منهم ونستمد منهم أحوال حضرة النبي ﷺ في كل زمانٍ ومكان.

١٣- أهل السنة والجماعة

هناك صراع بين الناس في معرفة أهل السنة والجماعة، كيف نوثق صحة المفاهيم عند الناس؟



نحن علينا بما عليه أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً.

الذي حمل لواء الإسلام والفقه في الدين في الفترة القديمة كلها المذاهب الأربعة، المذهب المالكي والمذهب الحنفي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، وهؤلاء الذين احتفظ بالتدريس فيهم الأزهر الشريف، وهم أصبحوا مرجع الفتوى لأهل الوسطية وأهل السنة والجماعة.

جدد في هذا العصر وقبله بقليل فكر آخر مناوئ لهؤلاء الأربعة، فهذا لا يُعتد به

اشارة الجارفين الباب الثالث (١١٨) ازالة اللبس والغموض

وليس لنا دخلٌ به لقوله ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ }^{١٢}، وروى: { يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }^{١٣}

من يشذ عن هذه الجماعة يكون في النار، فمثلاً: الأئمة الأربعة كلهم يُقرون بالصلاة في المساجد التي فيها أضرحة، ودليلهم على ذلك أن مسجد رسول الله ﷺ فيه غيره أبو بكر وعمر، ولم يُنه عن الصلاة فيه، وأن الكعبة المشرفة فيها في الحجر قبر سيدنا إسماعيل وقبر السيدة هاجر، وفيها كما ورد ما بين الحجر وزمزم والمقام قبر أكثر من سبعين نبياً، ولم يمنعنا الله عن الطواف أو الصلاة في هذه الأماكن المباركة، بالإضافة إلى أن الله ﷻ هو الذي شرع فعل ذلك، والنبى ﷺ أقر ذلك.

فأهل الكهف عندما خرجوا من مدينتهم وذهبوا إلى كهفهم، وعاشوا فيه ثلاثة مائة سنة شمسية، وثلاثة مائة وتسعة سنة قمرية، وهذا إعجاز الله بحسبة ربانية قرآنية، وأهل الكهف اكتشفوا حالياً في بلد اسمها الرقيم، وبينها وبين عمان عاصمة الأردن حوالي سبعة كيلومترات.

وكان الله ﷻ يُقلبهم يمناً وشمالاً، وهذه آية ربانية حتى لا تُصيبهم قرحة الفراش: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ (١٨ الكهف) وهذا يعني أنهم كانوا أحياء، فلو كانوا أمواتاً لما احتاجوا إلى قلب، ولكن يقلبهم ليتعرضوا للشمس، وقد اكتشفوا أن الشمس تدخل على هذا الكهف

ومشى وراءهم كلهم، فوقف على باب الكهف وهم دخلوا: ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (١٨ الكهف) سبحانه الله، ولأنه مشى وراءهم أخذ حكمهم، ناموا فنام مثلهم، قاموا فقام مثلهم، وسيدخلون الجنة وسيدخل معهم، ولذلك قال الرجل الصالح: لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ فكيف لا أفوز بحب آل النبي؟

بعد هذه السنوات أحياهم الله، وكان معهم دنانير، فقالوا لأحدهم: انزل إلى

١٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١٣ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

اشارة الجارفين الباب الثالث (١١٩) ازالة اللبس والغموض

السوق لتشتري لنا طعاماً نأكله، فذهب إلى السوق وأعطى البائع هذه الدنانير، فنظر البائع لها وقال: ما هذه الدنانير، إن صورة الملك التي عليها مرّ عليه ثلاث مائة سنة، ونحن في عصر ملك آخر، والملك الذي كان في عصرهم كان ملكاً ظالماً، والملك الموجود الآن ملكٌ عادل.

فعرّف الناس وأهل السوق فوصل الخبر للملك، وهم كانوا يبحثون عنهم ولم يجدوهم مع أنهم كانوا بجوارهم في هذا الكهف، وانظر إلى عناية الله حيث كان الملك الظالم يبحث عنهم في كل مكان بجنوده ولم يجدهم، وكانوا في مملكته ولم يذهبوا بعيداً لمكان آخر!!.

راحوا واطلعوا عليهم ورآهم الملك، فقبض الله أرواحهم إليه وماتوا، لأن ملكهم الظالم الذي كان في عصرهم كان يُنكر البعث بعد الموت، فكانت إمامتهم وإحيائهم ليعرف الناس بكيفية البعث: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢٩ الأعراف).

قالوا لأنفسهم: ماذا نفعل بهؤلاء الذين ماتوا؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (٢١ الكهف) ولم يعترض عليهم الله على ذلك.

وسيدنا رسول الله ﷺ لما وقّع صلح الحديبية اتفق مع أهل مكة أن من يأتيه من مكة مسلم يعيده لهم، ومن يأتي الكفار من المدينة وقد ترك الإسلام فلا يعيدوه، وهذه الإتفاقية أغضبت سيدنا عمر، ولكن سيدنا رسول الله كان نظره راقى، فمن يترك الإسلام ماذا نفعل به؟! ومن يأتي للإسلام لا بد أن يجعل الله له مخرجاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢ الطلاق).

ولذلك وهم لا يزالون في الحديبية، وكان من يوقع من قريش على المعاهدة سهيل بن عمرو، وله ابنٌ اسمه أبو جندل فجاء فأسلم، وكان لا يزال مقيداً بالقيود، فقال سهيل: هذا أول رجل تعيده لنا، فقال النبي: لم نكتب العقد بعد!، قال: لا، أعده لي، فاستعطفه النبي فرفض، لأنه كان كافراً، فقال النبي لأبي جندل:

{ يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ ۖ جَاعِلٌ لَّكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضَعْفِينَ

اشتات العارفين الباب الثالث (١٢٠) إزالة اللبس والغموض

فَرَجًا وَمَخْرَجًا { ١٤ }

بعد فترة أسلم رجل اسمه أبو بصير، وذهب إلى المدينة، فأرسلوا خلفه من يُعيده من المدينة، وكانا رجلين، فسَلَّمهما لهما سيدنا رسول الله ﷺ، وحملا الرجل على جمل، ونزلوا يستريحون في الطريق، وكان مع أحدهم سيف، فقال له أبو بصير: أنا أرى سيفك هذا سيف جيد فأريد أن أراه، فناوله الرجل السيف فضربه به وقتله، وهرب الآخر، وذهب أبو بصير إلى مكان على ساحل البحر الأحمر وبني لنفسه سكناً هناك، ولحق به أبو جندل، وكان كل من يأتي من المدينة يذهب إليه ويعيش معه حتى صاروا ثلاثمائة رجل.

فكانت كل تجارة قادمة من مكة للشام يأخذوها، والتجارة الواردة من الشام إلى مكة يأخذوها، إلى أن أرسل أهل مكة إلى رسول الله وقالوا له: يا مُحَمَّدُ تنازلنا عن هذا الشرط وخذ هؤلاء القوم يعيشوا معك في المدينة!!

فلما أرسلت قريش إلى النَّبِيِّ ﷺ في أمرهم كتب إلى أبي بصير وأبي جندل ليقدما عَلَيْهِ فيمن معهما فقراً أبو جندل كتاب رسول الله ﷺ وأبو بصير مريض، فمات، فدفنه أَبُو جندل وصلى عَلَيْهِ، وبني عَلَي قبره مسجداً^{١٥}.

ووصل الخبر إلى رسول الله ولم يعترض على ذلك، فلم يأمرهم بإخراجه من المسجد، ولم يأمرهم بعدم الصلاة في المسجد، فكان ذلك إقراراً من حضرته ﷺ بإجازة ذلك، أما حديث شد الرحال الذي يتمسك به البعض، فهم يتمسكون بجزئية معينة، فالحديث يقول: { لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى }^{١٦}

يعني لا تشد الرحال للمساجد إلا لثلاثة، وهناك رواية أخرى: { لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رَحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يَنْبَغِي فِيهِ الصَّلَاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى،

١٤ مسند احمد عن المسور بن مخرمة

١٥ أسد الغاية عن المسور بن مخرمة

١٦ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

اشتات الحارفين الباب الثالث (١٢١) إزالة اللبس والغموض

وَمَسْجِدِي هَذَا { ١٧ }

لكن شد الرحال غير ممنوع أبداً، فلا مانع أن أشد الرحال لطلب العلم في أي بلد، ولا مانع أن أشد الرحال لزيارة أهلي وأقاربي، أو أشد الرحال لزيارة مريض، أو أشد الرحال لعمل خير في أي زمان أو مكان، ولا مانع أن أشد الرحال لزيارة الإمام الحسين، لأنني لم أذهب للمسجد للصلاة فيه، فأنا أعرف أن هذا المسجد مثل غيره، فهم لم يفهموا القضية ولن يفهموها بهذه الكيفية، وبعضهم يتمسك بحديث:

{ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا }^{١٨}

هؤلاء كانوا يعبدونها ويسجدون لها، فهل منا أحدٌ يسجد لقبر؟ لا، الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه كان هو والشيخ عبد العزيز البشري شيخ الأزهر في زيارة لمقام السيد البدوي، وكان الشيخ محمد عبده أيامها يلبس جبّة سمراء، وعمامة سمراء، وأثناء جلوسهم في الضريح جاءت امرأة توزّع طعام، فأعطتهم من ضمن من أخذوا، فالشيخ محمد عبده قال لها وأشار لضريح السيد البدوي: أهذا إلهك؟ فصرخت وقالت له: إلهي وإلهك وإله السيد البدوي الله ﷻ، وإذا كنت قسيس ما الذي جاء بك إلى هنا؟! والشيخ عبد العزيز البشري كان يحب المداعبة، فقال له: كفّرتها فكفّرتك.

فهل يوجد أحدٌ من العوام في الأمة الإسلامية كلها يقول: نويتُ أصلي ركعتين للإمام الحسين؟! لا، هل يتجه للقبلة أم للضريح؟ للقبلة:

{ وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا }^{١٩}

ما دُمتُ أصلي لله فهل يوجد موضعٌ منهّي فيه عن الصلاة؟ لا، إلا المواضع التي فيها نجاسة، أو التي نهي عنها رسول الله ﷺ.

لكن إذا صليت لله، وتوجهت للقبلة والنية لله، فهل هناك شيء؟! لا، فهذه أمور

١٧ طرح التشريب للعراقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

١٩ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٢) إزالة اليبس والغموض

وضعها المتشددون لعدم فقههم في الدين، وهذه قضية أصلها سياسي، قاتل الله السياسة إذا دخلت في الدين، ولكنهم يعرفون ونحن نعرف والعالم الإسلامي كله يعرف أن الدين نأخذه من المنهج الوسطي الذي يُدرسه الأزهر الذي أخذ عن الأئمة الأربعة الفقهاء في الدين.

هل كان محمد بن عبد الوهاب معهم؟ لا، فلماذا نأخذ عنه؟! وهل نترك الأئمة الأربعة ونأخذ من محمد بن عبد الوهاب؟!

البعض يقول إن سيدنا عمر قطع الشجرة التي كانت عليها البيعة حتى لا يعبدوها الناس، وما المانع، لأن الناس كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وكانوا لا يزالون قريبين من عبادة الأصنام، وإن كانت رواية قطع الشجرة مشكوك فيها، فالرواية الصحيحة لها أن عاصفة شديدة أقلعتها، لكن أمور الدين الآن استقرت، فأين المسلم الذي يعبد قبراً الآن؟! حتى أجهل الجهال لا يوجد منهم أحد، فالكل والحمد لله عندهم علم يقين وخاصة في توحيد رب العالمين ﷻ.

ويقول البعض: وإذا دعا وطلب من الولي أليس هذا شرك؟ هذا ليس شرك، ولكن هذا خطأ في اللفظ، فالشرك لا يدخل الإنسان فيه إلا إذا خرج من الذي دخل فيه بالإيمان وهو: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

لكن لو أخطأ الإنسان في كلمة أو في عبارة فلا يكون مشركاً، لأن الله أعلم بالنوايا، وأقول له من الأفضل أن تطلب من الله، الأفضل أن تسأل الله وإذا أحببت أن تتوسل بالإمام الحسين في طلبك من الله فلا مانع، وإذا أحببت أن تتوسل بحضرة النبي فلا مانع، أو تتوسل بكتاب الله فلا مانع، لكن تسأل الله ﷻ، ولكن لا أكفره، فالعوام الذين ينطقون بهذا الكلام ينطقونه عفواً لأن إيمانهم نراه في الصلاة، لأنه يصلي لله، فلا أقول له: أنت مشرك، فهذه مصيبة، فلا يصح ذلك شرعاً ولا عقلاً ولا عرفاً.



١٤- الأقطاب الأربعة



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٣) ازالة اللبس والغموض

ما حقيقة قول بعض الصوفية أن الكون يدّاركه الأقطاب الأربعة؟

هذا الكلام أجبنه من قبل، وقلنا أنه كلام ظاهر البطلان، لأن كلامنا كله نحتاج للبرهنة على صدقه أن يسبقه قال الله، أو قال رسول الله، فهل هناك في كتاب الله ما يدل على ذلك؟! أو هل هناك في سنة رسول الله ما يشير على ذلك؟! لا.

في عصور الدولة العثمانية، والدولة العثمانية احتلت العالم العربي حوالي خمسمائة سنة تقريباً، وانتشر فيها الجهل في كل ربوع الأمة الإسلامية، وكان الذي يُعلّم الناس قليلاً هم السادة الصوفية، ولكن الجهل كان منتشرًا، وفي هذه الأيام الصوفية كان لهم شأنٌ، فاتفق بعضهم وقالوا: إن ما يمسك الكون المدّارك بالكون الأربعة الأقطاب سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي أحمد الرفاعي، وكل واحد منهم يمسك الكون مائة سنة، ويتبادلون مع بعضهم!!.

من أين أتوا بذلك؟! ليست موجودة في التاريخ، وليست موجودة في القرآن، ولا في السنّة، ولا يهضمها العقل، وأهم شيء في ديننا أن يوافق العقل.

وهؤلاء نسألهم: قبل أن يظهر هؤلاء الأقطاب، من الذي كان مدارك بالكون قبلهم؟! وهل الله سبحانه وتعالى ليس عنده أحدٌ غير هؤلاء الأربعة حتى يجعله مدرك بالكون بعدهم؟! فكل زمان فيه أولياء، وفيه أتقياء، وفيه أنقياء.

وماذا يعني المدرك بالكون؟ يعني هم بالنيابة عن إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل والملائكة، حاشا لله ﷻ.

فهذا كلام بسطوه للجهال ليزيد اعتقاد الناس في هؤلاء، وينضموا لهذه الطرق الصوفية، لكن هذا لا يجوز بهذه الجهالة العمياء التي تنافي شريعة السماء، وتنافي السنة السمحاء التي أتى بها سيد الأنبياء، وتنافي طريق الصالحين الصادقين الذين ينشرون الهدى والنور عن رب العالمين ﷻ.

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٤) ازالة اللبس والغموض

وأذكر في هذا المجال: أن الإمام أبو العزائم عليه السلام وأرضاه كان يُفسّر القرآن في المسجد الكبير في الخرطوم، وذات مرة وهو يُفسّر آية من كتاب الله، قال له أحد الحاضرين: هذا الكلام كلام من يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي عبد القادر الجيلاني؟ فقال له الإمام: انتظر يا بني، ثم أكمل وجاء ببيانٍ أعلى وعلومٍ أرقى، فقال له: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي محي الدين بن عربي؟ قال له: انتظر يا بني، ثم جاء ببيان آخر للآية أيضاً أرقى وأعلى من ذي قبل، فقال له: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي أبو الحسن الشاذلي؟ فقال له الإمام: يا بني من الذي أعطى الجيلاني؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى ابن عربي؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى الشاذلي؟ قال: الله، قال الإمام: إن الذي أعطى الجيلاني والذي أعطى ابن عربي والذي أعطى الشاذلي هو الذي أعطاني.

وهل عطاء الله حكر أو حِجر على أحد؟ لا، لكن: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد ٢١) فكما أعطى الأولين أعطى الآخرين، وهو الذي قال هذا: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة) صحيح أنهم قليل، ولكن لماذا قليل؟ للنسبة، لأن الأولين مع حضرة النبي كان عددهم مائة ألف فكانت نسبتهم كبيرة في وسطهم، لكن الموجودون حالياً عددهم حوال اثنين مليار، فنسبتهم قليلة في وسطهم، لكنهم موجودون.

إذاً فتح الله وعطاء الله وإكرام الله لأهل كل زمان وأهل كل مكان فضلاً من حضرة الرحمن عز وجل، فلا يوجد زمان إلا ويوجد فيه عطاء وأتقياء، ولا توجد دولة مسلمة إن كانت ناطقة بالعربية أو غير العربية إلا وفيها صديقين وأولياء، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ (٤ إبراهيم) لا بد أن يكون في كل بلد أناس صديقين وأولياء باللسنة أهل البلد، وعندهم الكشف وعندهم الولاية وعندهم العناية، وذلك فضل الله، والفضل مستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، إذاً هذه المقولة لا دليل عليها من القرآن ولا من السنة، بل هو كلام لا يمت حتى للصالحين ولا للصوفية الصادقين بصلة، وكلام عفا عليه الزمن وينبغي أن نلقي به في سلة المهملات، أو نجعله مع الأموات ولا نحياه بالنطق به على ألسنتنا أبداً.



١٥- تأثير النجوم والكواكب على النباتات

هل للنجوم والكواكب تأثير على اللون والطعم بالنسبة للنباتات؟



هذا الأمر يحتاج إلى دراسة واسعة في علم النبات لم يصل إليها المختصون في كل الجامعات العالمية إلى الآن إلى خبر يقين، لكن الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه له كتاب اسمه (النور المبين في علوم اليقين ونيل السعادتين) كان يتكلم فيه عن سياحة المرید، فالمرید لا بد أن يكون له سياحة في نفسه، وسياحة في الآفاق، وسياحة في مخلوقات حضرة الخلاق ﷻ.

سياحة بروحه إذا صفت ووفت، وبقلبه إذا أنار واستنار، إن كان في عالم النبات، أو في عالم الحيوان، أو في عالم الأفلاك، أو في عالم الإنسان ظاهره وخافيه.

فالإمام أبو العزائم عندما تحدث عن سياحته في عالم النبات أباح شذرة من علوم المكاشفة التي كاشفها الله بما، وهذا الكلام يقال لأهل اليقين، لكن أهل الدنيا يريدون البراهين والأدلة الحسية التي تثبتها الأجهزة الموجودة عندهم.

النبات يتغذى من الأرض، وعناصر الغذاء واحدة، ويتنسم الهواء، والهواء واحد، ويشرب الماء، والماء له طبيعة واحدة، والهواء والماء ليس لهما طعم ولا لون ولا رائحة، والأرض كذلك، لكن مثلاً: أين عرق السكر في الأرض الذي يُغذي القصب بالسكر؟! وهل يوجد في مكان ولا يوجد في آخر؟! ما الذي يُعطي المانجو طعمها؟! وما الذي يعطي التفاح طعمه؟! وما الذي يعطي التين حلاوته؟! وما الذي يعطي البلح حلاوته؟!.... الأرض واحدة لكن لماذا يكون هذا له طعم، وهذا له شكل، وهذا له لون، وهذا له رائحة، وهذا له غلاف يحميه؟! أين مصنع الأغلفة الذي يغلف هذه الأشياء، هل يوجد مصنع أغلفة في الوجود يستطيع أن يصنع للمانجو مثلاً أغلفة كالأغلفة الربانية الموجودة



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٦) ازالة اللبس والغموض

فيها؟! لا يوجد، لا في اليابان ولا في أمريكا ولا غيرها، لا يوجد إلا مصانع حضرة الرحمن ﷻ.

فكما أخبر الله في القرآن، فالنبات هو النبات، وأحياناً يكون صنفاً واحداً، فهذه نخلة وبقوارها نخلة أخرى، ولكن هذه لها طعم وهذه لها طعم آخر، فالطعم لو كان من الأرض لكان الطعم واحداً، ولو كان من الهواء لكان الطعم واحد، ولو كان من الماء لكان الطعم واحد، لكن هذا شيء وهذا شيء: ﴿ صُنَوَانٌ وَغَيْرُ صُنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ (٤الرعد).

شجرة العنب شجرة واحدة، ولكن القطف قد يكون غير القطف الآخر، فتجد هذا له طعمه ولونه وهذا غير هذا، كيف ذلك؟!.

فقال الإمام أبو العزائم رضي الله وأرضاه: إن النجوم لها علاقة بتغذية النباتات والفواكه والخضروات والمزروعات بطعومها وألوانها ورائحتها ولكن هذا أمر حتى نكتشفه علمياً نحتاج إلى أجهزة استكشاف عن بعد، ونظريات علمية، ولكنه أخبر عن ذلك عن طريق علم المكاشفة، وهذا أمر لا يروى إلا لأهل اليقين، أما المتشككين فلا نحكي لهم ذلك، لأنهم يحتاجون إلى أدلة عقلية، وبراهين حسية.

وطبعاً نحن ننبه إلى أن ما قلناه لا ينفي مطلقاً ما وضعه الله من الصفات الوراثية وعلم الجينات في البذرة والنبات مما يؤثر جذرياً في الصفات والخصائص ولكن تأثير النجوم والأفلاك كان من وراء الإدراك وإن كانت أحدث النظريات العلمية في السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة بدأت تظهر أن كم الأشعة التي اكتشفت أخيراً بأجهزة القياس الحديثة جداً جداً والتي تؤثر على الأرض بكل ما فيها قادمة من الفضاء السحيق والنجوم والكواكب هي فوق كل ما كان يتخيله العلماء منذ سنوات قليلة، بل وكل يوم تتطور النظريات العلمية مع ما يصل تباعاً من قياسات السفن الفضائية التي بلغت أعماقاً سحيقة على أطراف المجموعة الشمسية ومازات تنطلق...



١٦- النوبة ومراتب الولاية

ما من أحدٍ إلا وتتداخل فيه مداخل النفس البشرية التي تأمره بالمعصية، أو حبائل الشيطان وكيده له، هل اقتراف الذنب والمعصية يحول بين العاصي وبين بلوغ مراتب الولاية؟ أو أن يكون مراداً، أو مطلوباً؟

الله ﷻ يعلم بعلمه الرباني أننا بشرٌ، وأنا زَكَبَ فينا أصلاً النفس، والنفس داعيةٌ للمعاصي: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٥٣ يوسف) لم يقل آمرة، ولكن (أَمَّارَةٌ) يعني بالمضارع المستمر، وبصيغة المبالغة، فلا تترك الإنسان، وتُلح في سبيل المعاصي، لأنها أَمَّارَةٌ بالسوء، ولذلك فتح الله باب التوبة للتائبين، وكل ما يرجوه الله ﷻ من العبد أنه عند ارتكابه للذنوب يسارع فوراً للتوبة.

وبداية المؤمن لا يخطط للذنوب، فكونه يجلس مع نفسه، ويخطط لفعل ذنب، ويدبره، ويستمر في تدبير هذا الأمر شهراً أو شهوراً أو أكثر أو أقل، فهذا يتنافى مع صريح الإيمان، قال ﷺ:

{ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ }^{٢٠}

وأيّن الإيمان هنا؟ أخذ أجازة في هذه الفترة، لأن الإيمان لو كان موجوداً سيمنعه: ﴿ إِنِّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ ما الذي يذكّرهم؟ الإيمان: ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١ الأعراف).

كونه سيخطط فترة طويلة، وضميره لا يؤنبه، ونفسه لا توجّحه، ولا نفسه مطمئنة

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٨) إزالة اللبس والغموض

ستمعنه، فيكون الإيمان في هذه الفترة قد أخذ أجازة طويلة.

إذا المؤمن لا يُخطط تخطيطاً طويلاً للوقوع في الذنب، وإنما يقع في الذنب فجأة، يعني فجأة يجد نفسه مع فتاة في موقع ما، وهُيئت الأسباب، فتتحول النفس وتُسَوِّل له الوقوع في المعصية، لكنه لم يُهيئ لنفسه، ولم يُخطط لنفسه كيفية جلب هذه الفتاة، أو الإتفاق على الالتقاء معها في موضع كذا ومكان كذا، إنما المؤمن عنده من الإيمان ما يمنعه عن ذلك.

وقد يكون في موضع وفجأة يجد نفسه في مكان فيه مالٌ، ولا رقيب ولا حارس، فتُسَوِّل له نفسه الأخذ من هذا المال، فيقع في هذا الذنب فجأة.

وأثناء الذنب يشعر بالندم، وبالأسف، وبالخجل ممن يطلع عليه ويراه لأنه يعلم علم اليقين أن الله ﷻ يطلع عليه ويراه في كل الأحوال، فلا يغيب عنه طرفة عينٍ ولا أقل.

فيسارع فوراً عند ارتكاب الذنب إلى المتاب، فيقول: تبتُّ إلى الله ورجعتُ إلى الله، ويرجع إلى الله ويعزم على الإقلاع عن هذا الذنب، ويعاهد الله على أن لا يرجع إلى هذا الذنب مرةً أخرى، وهذا حال المؤمن مع الذنب.

فإذا كان المؤمن على هذه الحالة فيكون ممن قال فيه ابن عطاء الله السكندري (رَبِّ مَعْصِيَةٍ أَوْثَرْتُ دُلًّا وَانْكَسَاً، خَيْرٌ مِنْ طَاهِعَةٍ أَوْثَرْتُ عِزًّا وَاسْتَكْبَارًا).

هذه المعصية ...:

جعلته يحس بالذل، ويحس بالتطامن، ويحس بالغبن، ويحس بعدم رضا الله عنه، وانكسرت نفسه، وانكسار النفس هو المطلوب، لقول الله ﷻ لموسى عندما قال: يا رب أين أجذك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُتَنَكِّسَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٢٩) ازالة اللبس والغموض

فهذا هو الذي يجبره الله ﷻ بانكساره، ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك:

اسمعوا فالذنب سرُّ الإقتراب من هو المعلوم في حلِّ الغياب؟
يكسر الذنب القلوب بوقعه كسره قرب إلى نور الكتاب

يعني كسر الذنب هو الذي يُقَرِّب الإنسان إلى حضرة الله ﷻ، ولذلك يقول

ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ
اللَّهُ فَيَغْفِرُ لَهُمْ } ٢٢

هو يريد أناساً يضرعون له على الدوام، ويشعرون دائماً في حضرته بالإنكسار
والفتور والضعف والذلة والقصور والتقصير.

علم أصحاب النبي هذه الحالة، فكانوا مع إقبالهم الشديد على الطاعات إلا أنهم
يحاسبون أنفسهم على القصور الذي يعتورهم في هذه الطاعات، فيسارعون إلى التوبة
بعد الطاعة: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات)
مم يستغفرون؟ هل كانوا يسرقون أو يقتلون أو يغتابون؟! لا، كانوا يستغفرون من
التقصير الذي رأوه في عبادة الله، أي أنهم لم يعبدوا الله العبادة التي يستحقها سبحانه
وتعالى من الإخلاص والصدق والخشوع والحضور، فيقولون: مهما عبدناك فنحن
مقصرين، فهذا حال المؤمن دوماً بين يدي الله ﷻ، ولذلك المؤمن دائماً يتوب إلى
مولاه، فإن لم يثب من المعصية، يتوب من التقصير في الطاعات، حتى الطائع يتوب من
التقصير لأنه يرى أنه مقصّر.

الفين

فإن لم يثب من التقصير في الطاعات فيتوب من اللحظة التي مرّت عليه وهو في

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٠) ازالة اللبس والغموض

غفلة، فكل لحظة مرت عليه في غير ذكر الله يعتبرها ذنب يتوب منه إلى الله ﷻ، دائماً المؤمن في توبة، قال ﷻ:

{ إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }^{٢٣}

والغين يعني الغطاء أو الستارة، فما الغين الذي يأتي على قلب رسول الله؟! أو الستارة التي تأتي عليه؟! الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷻ وأرضاه يقول: احتزت في هذا الحديث، فرأيتُ النبي ﷻ في المنام فقال لي: غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك.

لأن الغين الذي يأتي على قلوبنا هو غين الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء، لكن ما الغين الذي كان يأتي على قلب رسول الله؟ سيدنا رسول الله كان في كل نفس يرتقى مع الله، فكلما ارتقى إلى مقام يرى أن المقام الذي كان فيه كان فيه حجاباً عن حضرة الله، فيتوب إلى الله ﷻ من هذا المقام، لكن لا يتوب من ذنوب لأنه لا يوجد له ذنوب أصلاً: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢الفتح) فلا يوجد له ذنوب، لأنه لم يقع في ذنوب، ولكنه قال ذلك ليستغفر لنا: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١٩الحج).

إذاً المؤمن يتوب إلى الله دائماً، إما من الذنوب، وإما من التقصير في الطاعات، وإما من الغفلة عن ذكر الله طرفة عين أو أقل، وإما من التقصير في متابعة الحبيب في أي نفس من أنفاسه، وفي أي عمل من أعماله، وفي أي لحظة من لحظاته، فداًئماً المؤمن يقف عند قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (٢٢٢البقرة) وليس التائبين ولكن التوابين، يعني باستمرار يتوب إلى الله ﷻ على حسب حاله ومقاله مع الله ﷻ.



١٧- مصطلح الطريق

٢٣ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني ﷻ



الكلمة ٩٩ من المطبوع

فوزي محمد بنعز أبو زيد

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣١) ازالة اللبس والغموض

ما معنى كلمة طريقة أو طرق؟

وهل يجب أن يكون للمسلم طريقة يصل بها إلى الله ﷻ؟

لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالطرق بل هو طريق واحد يقول فيه الله ﷻ:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (١٥٣ الأنعام)

فالطريق الذي أتى به رسول الله هو شرع الله الذي من يعمل به يصل إلى رضوان الله، وينال محبة الله واصطفاء الله جل في علاه.

فإلى ماذا يشير تنوع الطرق؟

لا يوجد أحد من المسلمين السابقين أو المعاصرين يستطيع أن يعمل بكل ما أتى به سيد الأولين والآخرين، فكل شخص يريد أن ينال رضا الله فيبحث له على قدره عن باب واحد يجتهد فيه لكي يرضي به الله جل في علاه، لكن من الذي يستطيع أن يأخذ كل الأبواب!! لا يوجد.

فهناك الذي يختار باب الصيام ويجتهد فيه:

لكنه باب واسع، فيوجد من يصوم يومي الإثنين والخميس، ويوجد من يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوجد من يصوم يوم ويفطر يوم ...

وكل هذا وارد عن رسول الله ﷺ.

وهناك من يختار قيام الليل:

لأن الله وصى به في كتابه، والرسول حرص عليه في سنته وهديه، وأيضًا يختلف القيام، فيوجد من يقوم الليل بتلاوة القرآن، ويوجد من يقوم الليل بالصلاة لله ﷻ، ويوجد من يقوم الليل بمدرسة العلم ويشرح للمسلمين العلم ...

وأنتم تعلمون أن الإمام الشافعي رحمه الله عندما زار الإمام أحمد ابن حنبل، وكان

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٢) إزالة اللبس والغموض

الإمام أحمد يري أولاده بنين وبنات ويفقههم في الدين، فقال لابنته: ما رأيك في الشافعي؟ فقالت له: يوجد فيه ثلاث صفات لا توجد في الصالحين، فقال لها: ما هذه الصفات؟ وكان الضيف كعادتهم يجهزون له أبريق وطست لكي يقوم في الليل ويتوضأ ويتهجد لله سبحانه، فقالت له: نحن أتينا له بإبريق وطست فلم يتوضأ لقيام الليل، وصلى الفجر بدون وضوء، وعندما أحضرنا له الطعام أكل وشبع والصالحون أكلهم قليل.

والعلماء الإجماع كانوا متشككين، أي لا بد أن يتثبت في الأمر، فالذي ضيع المسلمين في هذا العصر عدم التثبت، فمثلاً يأتي شخص يقول لشخص آخر فلان يقول عليك كذا، فيسرع في الأمر ويأخذ موقف من الشخص الآخر ويخاصمه ويهجره!!

لكن هل تحققت؟! هل تثبت في هذا الكلام؟! كما قال الله في كتابه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١٦ الحجرات) وفي قراءة أخرى: ﴿فتثبتوا﴾ لا بد أن تثبت أولاً، فالصالحين كانوا يسرون على هذا الهدي.

فقال لها نسأله بنفسه!

فقال له: ابنتي تقول كذا، فما ردك؟ فقال: أما الأولى فإنني لم أتم وبقيت على وضوء من العشاء حتى صليت الفجر، وأما قيامي فقد حللت في هذه الليلة مائة مسألة كلها تمهم المسلمين، أما الثالثة فقال أكلت وشبعت لأن الحلال في هذه الدنيا قليل، فإذا وجد المرء هذا الطعام فتكون فرصة لكي يملأ بطنه من الحلال، فقد قيل: (من ملأ بطنه زاد الصالحين ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة).

فماذا قام الليل؟ بحل المسائل الفقهية التي يحتاجها المسلمين، فهذه أنفع للمسلمين أم صلاة ألف ركعة؟ صلاة ألف ركعة له وحده، لكن حل المسائل أنفع للمسلمين، ودائماً العمل المتعدي للغير يكون أنفع عند الله وأقوم في تقرير المرء عند مولاه جل في علاه.

فيوجد من يقوم الليل في حل المسائل الفقهية، ويوجد من يقوم الليل في السهر

اشتات العارفين الباب الثالث (١٣٣) إزالة اللبس والغموض

حراسة الحدود، أو حراسة الأفراد والمجتمعات، وهذه الليلة فيها أفضل من عبادة ألف سنة في طاعة الله ﷻ، فالقيام أنواع، ومن الذي يستطيع أن يقوم بهذه الأنواع كلها؟ لا يوجد أحد.

وهناك الذي يريد أن يُرضي الله بذكر الله، سمع قول الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١٤١ الأحزاب) فقال أنا أذكر الله، فاشتغل بالليل والنهار في ذكر مولاه، والذكر أنواع، فيوجد من يشتغل بالاستغفار، ويوجد من يشتغل بـ (لا إله إلا الله) ويوجد من يشتغل بـ (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ويوجد من يشتغل بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ويوجد من يشتغل بقراءة القرآن وهو أعلى ذكر، ويوجد من يشتغل بالصلاة على حضرة النبي ﷺ، والتاريخ مملوء برجال وصلوا لرضا الله في كل باب من هذه الأبواب، هل يستطيع الإنسان أن يجمع هذه الأبواب ويقوم بها كلها مرة واحدة؟ لا.

وهناك من يصل إلى الله بالصلح بين المتخاصمين من عباد الله، فكلما يرى إثنين متخاصمين لا يستريح إلا إذا أصلح بينهم، وهذا يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ }^{٢٤}

فالذي يستطيع أن يصلح بين إثنين متخاصمين في ليلة، ولو في ربع ساعة أفضل من صلاة ألف ركعة لله ﷻ، لأن هذا عمل ينفع المسلمين والمسلمات.

وهناك من يصل إلى الله ويُرضي الله بخدمة المؤمنين، فيبحث عن الفقراء ليعدهم، أو يرى العاجزين ويقضي لهم حاجتهم، أو يبحث عن الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى المسئولين فيشفع لهم ويوصلهم، وهذه عبادة يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقَضْ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

٢٤ سنن أبي داود ومسنند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٤) إزالة اللبس والغموض

ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بِرَاءَتَانِ: بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبِرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ { ٢٥

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَعَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ { ٢٦

وقال في رواية أخرى صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ { ٢٧

فمثلاً هناك جار لي وهو لا يستطيع التحرك ويريد شيء من الصيدلية أو غيرها فذهبت لقضاء حاجته، فهذه تكون أفضل من اعتكاف عشرة سنين!! فانظروا كم نضيع من عبادات بأعمال سهلة؟!

وانظروا للعبادات التي كان يقوم بها سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر رضوان الله تبارك وتعالى عنهما:

فسيدنا أبوبكر كان قيامه يتحسس في المدينة يبحث عن المنقطعين الذين لا زائر لهم ولا أنيس فيزورهم ويأنس بهم ويقضي حاجاتهم، فهذا هو قيام ليله، وسار بعد ذلك على أثره سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

فما أكثر الطرق لله ﷺ، وكلها من شريعة الله، ومن كتاب الله ومن سنة رسول الله ... فالذي سار في طريق من هذه الطرق وأخلص وصدق تأتي له عطاءات إلهية، وفتوحات ربانية، ونرى أثرها هنا في دار الدنيا الدنية، فنرى أن الله وسع عليه مع أن رزقه محدود لأنه معه البركة من الله، أو نرى أولاده وقد أصبحوا في الدنيا وجهاء وبررة وأتقياء، وهذا بفضل الله ليس بشطارة ولا مهارة، أو نرى أنه أصبح له هبة عندما يدخل على الرؤساء ليقضي مصالح الفقراء ولا أحد يعترض عليه ولا يطرده لأنه ذاهب إلى وجه الله، وأمثال ذلك كثيرة، نرى أن الله قد فتح عليه بعلم من عنده إلهامي، أو

٢٥ فوائد بن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٧ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٥) ازالة اللبس والغموض

أعطاه كشاف نوراني رباني في قلبه يعرف به كما قال الحبيب في شأنه وشأن أمثاله:

{ احذروا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }^{٢٨}

رأيت هذا الرجل، ورأيت المواهب التي عليه، فأريد أن أكون مثله، فأسأله كيف وصلت إلى هذا الفضل الإلهي؟ فيقول لي: طريقي كذا، وهي طريقة واحدة أخذها من رسول الله ﷺ.

هذا هو أساس الطرق، واحد من عباد الله سار في طريق رسمه شرع الله، وتأسى فيه برسول الله، ففتح عليه الله، وأعجب به قوم أرادوا أن يفتح الله عليهم كما فتح عليه، فذهبوا إليه، فقالوا له: ما الطريق الذي سرت عليه حتى فتح الله به عليك؟ فقال: هذا هو الطريق الذي سرت عليه.

وكل فرد له مشرب كما قال الله: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (٦٠ البقرة) فالذي وصل إلى فضل الله بالذكر فيقول لهم: هذا طريقي، فنجد أتباعه يسيرون بالذكر، والذي وصل إلى الله بالصيام، فيقول لهم: هذا طريقي بالصيام، والذي وصل إلى الله بقيام الليل، فيقول لهم، طريقي بقيام الليل.

فالاختلاف ليس في المقصد، ولكن الاختلاف في الوسيلة التي توصل إلى المقصد، وهذه الوسائل كلها موجودة في شرع الله، ولا يوجد أحد من الأولين ولا الآخرين يستطيع أن يجمعها إلا واحد فقط وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

فبذلك هل يكون هناك خلاف جوهرى بين الطرق؟

لا، بل هو طريق واحد لأن نهايته:

﴿ إِنِّ إِلَى رَبِّكَ أَلْجِئُ ﴾ (٨ العلق)

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى ﴾ (٤٢ النجم) نهايته الله ﷻ.

اشارة العارفين الباب الثالث (١٣٦) إزالة اللبس والغموض

والوسيلة تختلف، فمثلاً نحن جماعة ونريد أن نذهب إلى القاهرة، فتجد شخص يقول سأسافر في القطار، وشخص آخر يريد أن يذهب في الأتوبيس، وشخص آخر يريد أن يذهب في ميكروباص، وشخص يريد أن يأخذ سيارة خاصة، فهل اختلاف الوسائل هذا له دخل في الوجهة الذهابين إليها؟ لا، فكلنا ذاهبين إلى وجهة واحدة.

فالذي يفرق بين الطرق ليس مدرك لهذه الأمور، لأنه ليس هناك فرق في الوجهة، لكن الخلاف في الوسيلة، والوسيلة الباب فيها واسع:

وكلهم من رسول الله ملتمس رشفاً من البحر أو غرقاً من الدميم



١٨- نوقير الأشياء

بعض الصوفية يقدسون مشايخهم ويرفعونهم لمكانة عالية، ويرون أنهم لا يُخطئون، وأنهم فوق الحالة البشرية، فما رد فضيلتكم؟



هذا الأمر أنا أراه ملتبساً عند بعض الناس نتيجة بعض الشكوك في صدره.

اقتضت إرادة الله ﷻ أن الإنسان في أي مجال إن كان في عملٍ دنيوي، أو إن كان في لهو، أو إن كان في لعب، أو في أي عمل مهم؛ لا بد له من إنسان صاحب خبره سابقه في هذا المجال يتعلم منه ويأخذ خبرته ليمشي في هذا المجال.

وإلا أخبروني هل فينا أو في الأولين والآخرين أحدٌ يستطيع أن يقرأ القرآن من نفسه بدون معلم؟! لا بد وأن يُخطئ، لذلك لا بد له من معلم للقرآن، وهل يوجد منا من يفهم أحكام شرع الله كالصلاة والصيام والزكاة والحج بدون عالم يوضحها له؟ لا، وإلا سيخطئ لأنه يجتهد فيها بفكره، وهذا الإجهاد لا ينفع في شرع الله الذي ورد عن



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٧) إزالة اليبس والغموض

أحكم الحاكمين عز وجل، فلا بد من عالم بالدين.

أنا أريد أن أتعلم أي صنعة كالنجارة، إن كانت نجارة أثاث، أو نجارة باب وشباك أو نجارة أعمال مسلحة، أو أي نجارة، هل ينفع أن أتعلمها من نفسي بدون معلم؟! لا، فأني مهنة لا بد لي فيها من معلم، حتى لعب الكرة، لا تنفع بدون مدرب، وهكذا سُنَّة الله لا بد من معلم يعلم الإنسان.

فأنا أريد أن أصل إلى الفتح الذي وصفه الله في كتاب الله لمن يعمل بما عمل به الصالحون والصحابة المباركون متابعة لسيد الأولين والآخرين، فهؤلاء القوم عندما تقرأ عنهم تجد أن الله فتح عليهم، فبعضهم كان له إكرامات، وبعضهم كان له دراسة نورانية، وبعضهم كان له رؤيات منامية صادقة، وبعضهم كان له علمٌ يُلهمه به الله، وأريد أن أصل إلى هذه الحالة.

إذاً لا بد من معلم تعلّم وعمل وجاءه الفتح فأقول له: علمني كما تعلمت لكي يفتح الله عليّ كما فتح عليك.

يقول البعض القرآن موجود والسُنَّة موجودة، وهذا نقول له: أيضاً الصيدلية موجودة، فالقرآن الصيدلية: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء ٨٢) فهو صيدلية، والسُنَّة أيضاً صيدلية، لكن هل يصح أن أكشف على نفسي وأشتري العلاج من الصيدلية بدون طبيب؟! لا، فكذلك الأمر لا بد لي من طبيب عالم عامل، فتح الله عليه، ورأيت عليه علامات الفتح، فأذهب إليه ليُعلمني السر الذي أوصله لهذا الفتح من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ.

من الذي علمنا ذلك؟ الله، لأنه هو الذي طلب من موسى الكليم أن يذهب إلى عبد يُعلمه مما علمه الله، وموسى نبي الله وكليم الله لكن الله أمره إذا كان يريد العلم اللدني أن يذهب إلى هذا الرجل ليتعلم منه، وكانت المسافة بينهما بعيدة، فذهب إليه ماشياً ليتعلم منه كما أمره الله.

فذهب إليه وعلمنا الأدب: ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾

اشتات العارفين الباب الثالث (١٣٨) إزالة اللبس والغموض

(٦٦ الكهف) فما الأدب الذي أتعامل به مع العالم؟ أدب موسى مع العبد، فلو أخذت بأدب موسى مع العبد فهل أكون قد خالفت كتاب الله؟ لا، أو خرجت عن شرع الله؟ حاشا لله، وهذا هو الأدب الذي نريده.

إذا كان هناك البعض يخرج عن هذا النهج فهذه ليست حُجَّة، وليس بعالم، وليس رجلاً يعرف أين الصواب، ولا يصح أن أقنّدي به، لكن مادام عندي الحُجَّة في كتاب الله فأنا أعلم من هذا العالم.

وكيف يكون الأدب معه؟ أدب موسى مع العبد، وأدب الصحابة مع حضرة النبي، وأدب التلاميذ الجيدين مع الأشياخ العلماء العاملين، وكان في عصر حضرة النبي وما بعده أيضاً مشايخ من أصحابه ولهم تلاميذهم، فسيدنا عليّ بن أبي طالب كان له تلاميذ يعلمهم، وسيدنا عبد الله بن مسعود كان له تلاميذ يعلمهم، وسيدنا عبد الله بن عباس كان له تلاميذ يعلمهم، كل واحد منهم كان له تلاميذ يعلمهم بما فتح الله ﷻ به عليه.

وما الأدب الواجب هنا؟ أني أتأدب معهم كما كان الصحابة يتأدبون مع الصحابة، وكما كان موسى يتأدب مع العبد، وإذا كان هناك أحدٌ يزيد عن ذلك فلا يحق له ذلك، ونعاتبه على ذلك، ولا نقنّدي به في ذلك، لأن هذا هو الميزان الذي أنزله لنا رب العزة ﷻ.

١٩- الكرم الإلهي

ما الفرق بين الوصول لله، والفرق بين الوصول لجنة الله؟

وهل العبادات تكفي للوصول لله؟

لا يوجد شيء اسمه الوصول إلى الله، لأن الله لا يحده زمان، ولا يحيطه مكان،

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٣٩) إزالة اللبس والغموض

ولكن الوصول إلى فضل الله، والوصول إلى إكرامات الله، وإلى عطاءات الله، وإلى منح الله، هذا الوصول الذي تحدث عنه الصالحون من عباد الله.

والوصول إلى عطاءات الله وإكرامات الله غير الوصول إلى الجنة التي جهَّز الله ﷻ فيها النعيم، لماذا؟ لأن الجنة نعيمها حسيّ مثل النعيم الدنيوي مع علوِّ المقام والمقدار، حور وقصور وجنات وأثمار .. كلها نعيم حسيّ.

لكن النعيم الإلهي نعيم معنوي، فتوحات ومكاشفات ومواجهات وموانسات وملاطفات، فهذا هو الفرق بين الإثنين.

ونعيم الجنة، ونعيم القرب من حضرة الله لا يُنال بالعمل، قال ﷻ:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }^{٢٩}

فدخول الجنة برحمة الله، ودخول معية القرب من حضرة الله بفضل الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ باختيار من عنده: ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤ الجمعة).



٢- الإنفاع بالأولياء المنتقلين

ما حاجة المسلم للأولياء المنتقلين؟ وهل يربي الشيخ المنتقل من برزخه؟



حاجة المسلم للأولياء المنتقلين أن يطالع سيرهم، وطريق تربيتهم لأنفسهم وترويضهم لها حتى وصلوا إلى فتح الله، وطرق تربيتهم لمريديهم وأحبائهم حتى وصلوا إلى فتح الله، هذا الذي نحتاجه، والذي يقول فيه الإمام الجنيد رحمه الله:

٢٩ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٠) ازالة اللبس والغموض

(حكايان الصالحين جند لله جنود الله، فهي تجذب المريد إلى فضل الله، وإلى إكرام الله، وإلى عطاياه)

فالذي يطالع سيرتهم؛ تقوى عزيمته، قالوا هل عندك من دليل؟ قال نعم: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠ هود).

فنقرأ سيرهم على قدرنا...

فهي التي تقوي العزيمة وتدفع الإنسان أن يسير في طريق الله ﷻ، ولذلك لا غنى لأي مريد عن مطالعة أحوال الصالحين.

البعض يهتم بالكرامات فقط، لكن الكرامات المكتوبة في الكتب معظمها فيها زيادات وضعها المريدون المغالون في المحبة لشيخهم، ويظن ذلك تعبيراً لحب شيخه.

لكن كما قمنا بعمل كتب كنماذج للصالحين، ركزنا فيها على أمرين، تربية الرجل الصالح لنفسه وتهذيبها حتى بلغ المراد، وتربيته لأبنائه والطرق التي اتبعها معهم حتى يوصلهم للمراد، هذا بالنسبة للصالحين السابقين.

أما زيارتهم واستحضار سيرتهم والتأسي بهم، فنحن نعلم أن الموضوع الذي فيه جسد الرجل الصالح روضة من رياض الجنة، لقوله ﷺ:

{ الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ }^{٣٠}

وقبر الرجل الصالح روضة من رياض الجنة، فيكون مجاب فيها الدعاء، فعندما يذهب الإنسان إلى هذه الأماكن فلحكمة عالية جعلها الله تخفف الهموم، وتزيل الأحزان عن الإنسان، وقد يدعو هناك فيستجيب الله له الدعاء ويحقق له الرجاء؛ إكراماً هؤلاء الصالحين، رضوان الله تبارك تعالي عليهم أجمعين.

هل المكان يكون له إكرام؟ نعم ودليل ذلك ما حدث مع سيدنا زكريا والسيدة

٣٠ معجم الطبراني عن أبي هريرة ؓ

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤١) ازالة اللبس والغموض

مريم عليهما السلام.

فسيدنا زكريا كان هو الذي يكفل مريم، وصنع لها خلوة في المسجد الأقصى عالية لا يصل إلى هذه الخلوة إلا بسلم، وهذا السلم كان من خشب، وكان هو الذي معه مفتاح الخلوة، فكان يضع السلم ويفتح لكي يعطي لها ما تريده لأنه هو المتكفل بها ويغلق الباب، ويغير مكان السلم، ولا أحد يستطيع أن يصل لها، فدخل عليها عددا من المرات فيجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (آل عمران ٣٧) قال لها: هل أتى أحد إلى هنا؟ قالت: لا، قال: فمن أين أتيت بهذا؟

﴿ قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران ٣٧)

فعلم أن هذا المكان مكان مبارك: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ (آل عمران ٣٨) وبعد ذلك: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى﴾ (آل عمران ٣٩) أجب الله له هذا الدعاء.

لكن التربية الروحانية تحتاج إلى جليس وأنيس يجالسه الإنسان، حيّ قائم ويكشفهم، أو أشكوا إليه ما في نفسي فيوجهني، فلا بد أن يكون حيّ موجود أقامه الله وأذن له سيدنا رسول الله ﷺ.

فمن الذي يستطيع أن يتربي علي أيدي الصالحين الذين في البرزخ؟ من وصل إلى درجة الكشف، وعندما يدخل إلى الضريح يرى روح الرجل الصالح ويخاطبه.

لكن إذا لم يصل أحد منا إلى هذه الدرجة فكيف نتعلم منه؟! أنا لا أرى إلا الحديد الذي حول الضريح، فما الذي أتعلمه منه؟ حتى لو أتى لي في المنام مرة أو مرتين، أهذه تكفي للتعليم؟! لا، فالتعليم لا بد له من الاستمرارية، والتربية الروحانية كما قال الإمام أبو العزائم (الله حيّ قائم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم).

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٢) إزالة اللبس والغموض

فالصالحون بأنفسهم، لو درسنا سيرهم أجمعين لم يصلوا إلى الله إلا بشيخ، سيدي أبو الحسن الشاذلي كان شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش، وسيدي عبد القادر الجيلاني كان شيخه سيدي حماد الدباس، وسيدي أحمد البدوي كان شيخه سيدي نعيم بن بري، وسيدي أحمد الرفاعي كان شيخه سيدي منصور الباز البطائحي، والإمام الغزالي كان شيخه الشيخ يوسف النساج .. كل واحد منهم كان له شيخ أخذ بيده إلى أن أوصله إلى الله، فلم يصل أحد منهم بغير شيخ.

كل رجل من الصالحين السابقين واللاحقين لا بد له من شيخ يأخذ بيده ويوصله إلى المنح الإلهية والعطاءات الربانية؛ لأن هذه حكمة الله وسنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



٢١- علوم الأنبياء وعلوم الأولياء

ما الفرق بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء؟



علوم الأنبياء تكون وحى من الله ﷻ، أي لا بد أن يوحى إليه إما من الله مباشرة، أو عن طرق الوحي، وأمين الوحي سيدنا جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ولذلك علومه ليس بها شك وليس فيها تردد، ومن يردّها فيكون بذلك كافر عند الله ﷻ.

أما علوم الصالحين والأولياء تكون إما عن طريق ملك الإلهام، يلهمه بمعنى في الآية، أو معنى في الحديث، وإما فهم يرزقه به مولاه ﷺ، فقد قيل للإمام علي: هل اختصكم سيدنا رسول الله ﷺ بشيء أهل البيت؟ قال: (لا، إلا فهم يحده العبد في كتاب الله) هذا الفهم لنا الأخذ به والعمل به، ولنا تركه وأن لا نعمل به، لأنه ليس



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٣) إزالة اللبس والغموض

بوحى، فنحن مخبرون فيه؛ لأن هذا ليس فيه إلزام.

إذاً علوم الأنبياء يلزم بها أتباع الأنبياء، لأنها وحي من السماء، أما علوم الأولياء فهي إلهامية أو فهم في آيات الله القرآنية والأحاديث النبوية.

وأصل هذا الفهم شينين إما أن يُرزق فهم خاص لنفسه في الآيات والأحاديث، وهذا لا يبيحه لغيره، وإذا أباح شيئاً قليلاً منه فتكون خصوصية له، ونحن لسنا بمطالبين بها.

وإما فهم يرزقه له الله بحسب الجالسين والسامعين، فتكون قضية هم مشغولون بها، وتأتيهم الإجابة من رب العالمين على لسانه، وهذه العلوم لا بد أن توزن بالشرعية، وكل علم يخالف الشرعية يضرب به عرض الحائط، وبعد ذلك لنا أن نأخذ به، ولنا أن لا نأخذ به، ولذلك لا نلزم الأمة جميعاً به، حتى لو ألزمنا لا نلزم إلا أنفسنا فقط.

لكن علوم الأنبياء يلزم الأمة كلها العمل بها واتباعها، فمن رد حديثاً صحيحاً لرسول الله ﷺ يكون قد كفر، لكنه لو رد حكمة قالها أحد الصالحين؛ فليس في ذلك شيء، ربما لم يتحملها عقله، فلم يعقلها، ولم يفهمها لأنه كما قال الإمام مالك رحمه وأرضاه: (ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فعلى العبد والرأس وما جاءنا عن أصحابه فهم رجال ونحو رجال) أي نأخذ به أو لا نأخذ به، فهناك فارق كبير بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء.

والشيخ أبو اليزيد البسطامي رحمه ضرب مثلاً لطيفاً، عندما سئل عن الفارق بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء، قال: (علوم الأنبياء مثل جرة مملوءة بالماء شحنت منها قطرة هي علوم الأولياء) فعلم الأنبياء ليس لها حد ولا عد لها؛ لأنها من الله ﷻ.



٢٢- بين الأنبياء والصالحين في القرب من الله ﷻ

يقول أحد الصالحين: ((جزن بحدًا وقف الأنبياء بساحله)) نرجو التوضيح؟



بعض المعترضين يأخذ هذه العبارة أنها سوء أدب مع الأنبياء والمرسلين، لكنه لو تأنى نال ما تمنى، كما قيل في الحكمة.

قال: أنا ظلمت أعوامًا في البحر، وتعبت إلى أن وصلت الشاطئ الآخر، وعندما وصلت وجدت الأنبياء والمرسلين، مع أي تركتهم على الشاطئ الأول، فكيف ومتى عبروا؟! أي أن ما قطعه بجهاذه هم أخذوه بفضل الله ﷻ.

فهذا هو الفارق بين بذل الجهود، وعين الجود، فهو بذل الجهود، ورأى أن من أخذوا من عين الجود سبقوه بما آتاهم الله ﷻ من هذا الفضل و الكرم والجود.

فعلى كل شخص أن يسأل الخبراء في ميدانهم، كلنا نتفق، لكن المشكلة أن كل شخص يريد أن يفتي في كل شيء، لا بد أن يسأل الخبير في هذا المجال.

الشيخ محمد عبده، رحمة الله عليه، عندما ذهب إلى فرنسا وقالوا هل القرآن فيه كل شيء؟ قال لهم: نعم: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٩٤: الكهف) فقالوا له: نحن نريد أن نعرف جوال الدقيق، كم رغيًا يُخبز منه؟ فأخذهم وذهب بهم إلى مخبز، فقال أين العجان الذي يصنع الخبز؟ فأتوا به، فقال له: نحن نريد أن نعرف جوال الدقيق يخبز منه كم رغي؟ فقال لهم: كذا، فقالوا: نحن نريد من القرآن، فقال لهم: القرآن قال: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٧: الأنبياء) وهذا أهل الذكر في هذا الفن!! هذا هو العلم الإلهي، أن أسأل كل صاحب شأن في شأنه، هل هناك عالم مهما كان شأنه في علم الفقه، يستطيع أن يفتي في الحالات المرضية دون الرجوع إلى الأطباء؟ لا، فلا بد من رأي الأطباء، فإذا أتى رجل مريض يقول: أنا أفطر أم أصوم؟ فأقول له: هذا يقرره طبيبك ليس أنا، فأنا أقول لك الحلال والحرام



إشراق العارفين الباب الثالث (١٤٥) إزالة اليبس والغموض

فلو رجعنا للتخصصات، وكل من لا يعرف شيئاً، ما دام في غير تخصصه، يرجعه لأهل التخصص ويسألهم، فبذلك تكون الأمور مستقرة تماماً بتمام.

بالإضافة إلى ذلك المشكلة التي جدت في عصرنا، أن جعلوا التصوف مادة من مواد الدراسة الفلسفية في الكليات الجامعية، وأصبح يدرس دراسة شكلية وليست دراسة عملية، والتصوف مبني على الأذواق فالدكتور الذي يقرأ الكتب ويتكلم عن التصوف، ماذا يدري عن هذه الأحوال؟! وما الذي ذاقه منها؟! فيحكّم فيها عقله، لكن الأحوال الصوفية يحكّم الإنسان فيها قلبه وذوقه.

فهذا الذي زاد المشاكل في هذا الزمان، أنهم حكموا العقل فيما لا يحكم فيه العقل، بل الذوق الرفيع والحال الصحيح والمتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ.



٢٣- إسرءاء الصالحين

يؤخذ على الصوفية الإسرءاء والمعاريج، ويقصدون بها حضور روح الولي إلى العالم العلوي وجولاتها هناك، والإتيان منها بشئ العلوم والأسرار، فما قول فضيلتكم؟



ما الذي يُنكره أي إنسان على أي إنسانٍ صفت نفسه، وارتقى قلبه، وساحت روحه وهو نائمٌ في الأكوان، أو في ملكوت حضرة الرحمن ﷻ؟! هل يوجد من يُنكر مثل هذه الأحوال؟! فإسرءاء ومعراج العارفين يكون مناماً:

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الصراح صرفاً أسكرت عالٍ وسافل

والذي يحدث للعارفين مناماً قد يحدث للكامل يقظة، فتتسلخ الروح من الجسم،



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٦) ازالة اللبس والغموض

وهو بيننا، وتذهب إلى عوالم الملكوت الأعلى لتشهد من جمالات الله وكمالات الله وقدرة الله ما يستطيع تحمله من نور حضرة الله ﷻ وبهاه.

لكن ما يفرق بين رؤية كل من الأولياء والأنبياء أن إسراء الأولياء ومعراجهم قد يكون مناماً، أو قد يكون يقظة بأرواحهم، أما الحبيب ﷺ فكان بالروح والجسم، وهذه هي الخصوصية التي تميز بها خير البرية ﷺ.

ألم ير عمر وهو على منبره في المدينة جيشه في بلاد فارس؟! وبينه وبين المعركة أربعة آلاف كيلومتراً، هل رأى بعين البصر أم بعين البصيرة؟ رأى بعين البصيرة، لأن البصر له حدود، هذه الحدود واضحة في الوجود فلا يستطيع أن يرى خلف الجدار، ولا يستطيع أن يرى ما وراء الجبال، ولا يستطيع أن يرى ما في السماء إذا كانت مغطاة بالسحب، لكن عين البصيرة لا شأن لها بذلك.

فالإسراء والمعراج بالروح مناماً أو يقظة بدون الجسم لا حرج فيه، وهذا المعراج والإسراء هو الذي أشار إليه حضرة النبي ﷺ عندما سأل حارثة:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أَبْرَزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدُ نَوْرٍ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَانْزِمْ }^{٣١}

وهذا هو المعراج، رأى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها، ورأى أهل النار وهم يتعاوون ويصطرخون فيها، فهل رأى بالعين الحسية أم بالعين الباطنية؟ رأى بالعين الباطنية، وهذا دليل على أنه معراج بين أصحاب الحبيب ﷺ.



٢٤- الهوائف

يُؤخذ على الصوفية أنهم تأتيم هوائف علوية مثل سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو من الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواء كان مناماً أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأذن، فما قول فضيلتكم؟

هذا الكلام أو هذا السؤال يحتاج إلى دليل، لأن المتعارف عليه أن النداءات التي تأتي للصوفية تكون إلهاماً عن طريق الملك الموكل بإلهام الإنسان، فيقذف في روعه ويشعر كأنه سمع صوتاً يقول له كذا، من أين هذا الصوت؟ ترجمة لكلمات ملك الإلهام الذي يقول فيه الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ }^{٣٢}

لكل إنسان ملكٌ يُسدده، وشيطانٌ يوسوس له، الملك الذي يُسدده يلهمه، أي يكون الإنسان ليس على باله هذا النوع من الخير، وإذا بهذا الملك يقذف في روعه هذا الخير، فيحسُّ لشدة حضوره أو استحضاره كأن شخصاً يناديه ليفعل ذلك، ومن هذا الشخص؟ الملك الموكل بإلهام هذا الإنسان.

في هذه الزحمة التي استمعنا إليها تتدخل الشياطين لتُغوي السالكين، وتُغرّر بالصادقين، لتبعدهم عن رب العالمين ﷻ.

فبعضهم يدّعي أنه يسمع كلاماً في أذنه، ومن الذي يوشوش في الأذن؟ الشيطان، لكن الرحمن لا يوشوش في هذه الأذن، الرحمن ﷻ يُلهم أذن القلب، وليست الأذن الظاهرة، فمن يقول لك: أنا سمعتُ بأذني هذه هاتفٌ يقول كذا، فاعلم أن الشيطان يضحك عليه.

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٨) ازالة اللبس والغموض

فإذا لم يستطع الشيطان أن يُغريه عن طريق المعاصي والسيئات، يدخل له عن طريق الصالحات أولاً لِيُذِلَّهُ له، ويُخضعه له، ويُملِي عليه ما يريد أن يفعله به في إبعاده عن حضرة الله ﷻ.

ولذلك هذه الأمور كلها لا بد أن تُعرض على عارفٍ خبير، لا يستمع الإنسان منها بنفسه، وينكفأ على نفسه، وربما يتباهى على من حوله أنه تأتيه الهواتف المنامية، أو الهواتف في عالم اليقظة، لكن يجب أولاً أن تُعرض هذه الأمور.

الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله وأرضاه عندما كان في الخلوة ورأى نوراً يمتد من العرش إلى الأرض، وسمع: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي - سمع بأذنه - قال: إني أبحثُ لك المحرمات، قال: اخساً يا ملعون، فوجد النور وقد تحوّل إلى دخان، ثم قال: كيف عرفتني؟ قال: إن الله لم يُحرِّم شيئاً على لسان نبي ثم يُبيحه لولي، قال: لقد نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد خرَّجتُ قبلك سبعين رجلاً من أهل الطريق بهذه الكيفية.

أعرفتم ماذا يفعل الشيطان؟ يقول: أبحثُ لك المحرمات، فيظن أنه قد أخذ تفويضاً أن المحرمات كلها مباحة له، أو يقول له: رُفع عنك التكليف، فيقول: أنا لم أعد مُكلفاً بصلاة ولا بصوم ولا بشيء، فيقول لكم حوله: أنتم المكلفون وأنا رُفع عني التكليف!!، لكن كل هذه الأمور تحتاج إلى: ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٩ الفرقان).

فهلاوس النفس، وهواجس الشيطان هي التي تحوم حول الصادقين حتى تقطعهم عن حضرة الرحمن، وعن النبي العدنان، لا يستطيع الإنسان بنفسه أن يتغلب عليها، فيحتاج إلى رجلٍ من أهل الإيقان وصل واتصل وأذن، حتى يكشف الله له به عن ذلك.

الشيخ أبو عساكر، وكان رجلاً معاصراً، كان داخلاً ذات اليوم القبلية فوجد في القبلية مكتوب بالنور: (لا إله إلا الله أبو عسكر ولي الله) فقال: يا ملعون وهل هذه تُرى بالعين؟!.

لأنه يعرف أن من يراها بهذه العين ليست حقيقة، وبماذا تكون الحقيقة؟ تكون

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٤٩) ازالة اللبس والغموض

بعين البصيرة، ولذلك عندما يقول أحد: أنا رأيتُ كذا، فنقول له: كيف ذلك؟ أغمض عينيك فهل ترى ما رأيت أم لا؟ فإذا كنت ترى وأنت مُغمض فيكون هذا بعين البصيرة، وإذا كنت ترى وأنت تفتح عينيك فيكون هذا شراك وضعه لك الشيطان، وأنت الآن في خطر.

لا بد أن ينتبه الإنسان لكل هذه الأمور، ويعرضها على إمام من أئمة الطريق حتى يحدث له التوفيق.

أحد تلاميذ الشيخ الجنيد رحمه الله انقطع فترة، فقال لإخوانه: اذهبوا لأخيكم لتعرفوا لماذا لم يعد يأتي؟ فذهبوا إليه وسألوه: لماذا لم تعد تأتي؟ فقال لهم: أنا في غير حاجة للشيخ، فكل ليلة أنام في الجنة، فماذا أفعل بالشيخ بعد ذلك؟ فقالوا ذلك للشيخ، فقال لهم الشيخ: اسألوه وكيف تكون هذه الجنة؟ فقال: جماعة تأتيني كل ليلة يأخذوني فأحضر حلقة ذكر، فأشعر وكأني في الجنة على الفور، فقال لهم: قولوا له: عندما تدخل حلقة الذكر هذه فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فجاءوه وأخذوه وحملوه وأقاموا الذكر، فقال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ففوجئ بالضرب عليه من كل مكان، حتى أنه فقد الوعي، ولم يستيقظ حتى لسعته حرارة الشمس، فنظر فوجد نفسه في مزيلة بغداد فعرف أن من كان يحمله هم جن، وهم يريدون بذلك وبأي كيفية أن يسيطروا على المريد.

الصادقين كالإمام الجنيد رأى إبليس قادماً ولونه أصفر ومريض، فقال له: مالذي أتعبك؟ فقال له: القوم الجالسين في مسجد الشنزية، ومسجد الشنزية كان للإمام الجنيد والمريدين وكان بجوار المقابر، فذهب الشيخ قبل الفجر بساعة ودخل فوجد في المسجد أربعة، وليس عدد كبير، أحدهم جالس وواضع رقبته بين ركبتيه، والآخرين يجلسون كل على حدة، وكل واحد منهم سابح في ملكوت الله، فرفع أحدهم رأسه فقال للإمام الجنيد: لا يغرّنك كلام الحبيث، لأنه يريد أن يُغويني.

فالتهريج والتمريج الذي يحدث في مثل هذه المجالات يحتاج من الإنسان أن

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٥٠) ازالة اللبس والغموض

يَضْبُطُ أَحْوَالهَ، وَيُنَسِّقُ أَحْوَالهَ عَلَى يَدِ خَيْرِ رَبَّانِي: ﴿الرَّحْمَنُ فَسَقَلَ بِهِ خَيْرًا﴾
(٥٩ الفرقان).

٢٥- النمايل في الذكر

يُؤْخَذُ عَلَى الصُّوفِيَةِ التَّمَايِلُ فِي الذِّكْرِ، فَهُوَ أَشْبَهُ بِالرَّقْصِ، وَلَمْ يَرِدْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
وَلَا صَحَابَتِهِ أَنْ تَمَايَلُوا أَوْ تَرَاقِصُوا عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ، فَمَا قَوْلُ فَضِيلَتِكُمْ؟

مَنْ سَأَلَ السُّؤَالَ حَكَمَ بِحُكْمٍ لَيْسَ فِي مُكْنَتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى كُلِّ مَا وَرَدَ عَنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَدْ رُوي عَنْ سَيِّدِنَا مُعَاوِيَةَ ؓ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ فِي حَلَقَةِ ذِكْرٍ مَعَ
أَحْبَابِهِ الْخَاصَّةِ، وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَوْا قَالَ: مَا أَحْسَنَ لِعِبَادِكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ:

{ مَهْ يَا مُعَاوِيَةُ، لَيْسَ بِكَرِيمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ ذِكْرِ سَمَاعِ الْحَبِيبِ }^{٣٣}

وَنَحْنُ نَحْفَظُ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ الَّذِي يَرَوِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَقَوْمٌ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَوْمٌ يَتَذَكَّرُونَ الْعِلْمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

{ كَلَّا الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ، أَمَّا الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ فَإِنْ شَاءَ
أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا }

فَالذِّكْرُ كَانَ مَوْجُودًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَسَيِّدُنَا الْإِمَامُ عَلِيٌّ ؓ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ
كَانَ يَصِفُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (كَانُوا عِنْدَمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ يَمْدُونَهُ - يَعْنِي
يَتَمَايَلُونَ - كَمَا تَمِيدُ الرِّيحُ وَرَقُ الشَّجَرِ) أَيِ يَتَمَايَلُونَ كَمَا تَمِيلُ الرِّيحُ وَرَقُ الشَّجَرِ

٣٣ صفوة التصوف لأبو زرعة طاهر المقدسي عن أنس ؓ

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٥١) إزالة اللبس والغموض

.... والقرآن واضح، ألم يقل الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١ آل عمران) إذاً الذكر أولاً من قيام، ومن عجز فمن قعود، ومن عجز فعلى جنبه، وهذا الذكر الوارد عن أصحاب رسول الله ﷺ.

فإذا كان الصوفية يصنعون حلقات الذكر ففيها من الأسانيد ما لا يُعد ولا يُحد، ومملوء به كتب السنة الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ، والحركات التي يتحركونها كحركة الركوع والقيام من الركوع، ولا نخرج عن ذلك لأن النبي ﷺ قال لنا:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ }^{٣٤}

فلا بد أن تكون حلقة بالكيفية التي على هيئة الركوع والقيام من الركوع، ونحن عندنا أصل في علم الأصول: نحكمه في كل النقول، وهذا الأصل يقول: (الأصل في الأشياء الإباحة مالم يلك هناك مانع) وهل هناك نص في القرآن أو في السنة يمنع من هذا الذكر؟ لا. ... إذا كان رأياً فليس لنا شأن بالآراء، ولكن نريد نصاً في القرآن أو في سنة من اختاره الله وجعله صاحب الشريعة المطهرة وأنزل عليه القرآن، فما دام لا يوجد أصل للمنع، فالأصل بالإباحة.



٢٦- نبرة العلاج

هل العلاج كافر كما يدعي بعض المتشددین؟



أظن أننا أجبتنا على هذا السؤال قبل ذلك، وقلنا: لا نستطيع ولا يستطيع أحد

٣٤ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أنس رضي الله عنه



اشارة الجارفين الباب الثالث (١٥٢) ازالة اللبس والغموض

أن يحكم على رجلٍ نطق بالشهادتين أنه خرج عن دين الله.

فأي مسلم نطق بالشهادتين ولو مرةً واحدة فهو مسلم، والإيمان محله القلب، ولا يطلع عليه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

وقلنا أن فتنة الحلاج فتنة سياسية، والدكتور عبد الحليم محمود وضّح هذا الأمر بعد أن بحث ذلك في رسالة كبيرة شرحها ووضحها، وقال: أن الحلاج عندما ظهرت عليه معالم الإشراقات الإلهية، فاجتمع الناس من حوله، ودائماً ولادة الأمور يخافون من أي إنسان يجتمع الناس حوله حتى لا ينافسهم في الكرسي، أو يعمل انقلاب عليهم، فدبروا مؤامرةً للحلاج وقولوه ما لم يقله ليقتلوه، لكنها مؤامرة سياسية وكلامه يدل على ذلك.

وما نُسب إليه فهذا تزوير، كما يحدث في أي زمان ومكان، سياسيين يريدن أن يجلدوا واحداً أو يسجنوه فيلّفقون له أي كلام، فلفقوا له مثلاً (ما في الجبّة إلا الله) وهذا كلام ألصقوه له، لكنه لم يقل هذا الكلام، ولم يرد في كتابٍ صحيحٍ من كتب القوم، والذين ينشرون هذا الكلام هم القوم الذين يشنعون على الصوفية ويتلمسون هذه الأمور.

لكنه رجلٌ مؤمن، وإلا بالله عليكم كيف تظهر على يديه الكرامات وهو غير مؤمن بالله ﷻ كما يدّعون؟! فكرامات الحلاج لا تُعد ولا تُحد، والذي جمع الخلق عليه الكرامات الكثيرة الموجودة.

لكن هذا موضوع سياسي، ويحدث في كل زمان ومكان، فلفقوا له التهمة ليقتلوه ولينفض الناس من حوله خوفاً على الصولجان والملك، وكان ذاك في عصر الدولة العباسية.



٢٧- الكرامة والإسندراج

ما الكرامات؟

وما الفرق بينها وبين الإسندراج؟ ولماذا يُظهر الله على يد الولي كرامات؟

الكرامة للولي كالمعجزة للنبي،

وكل كرامة لولي معجزة للنبي الذي يتبعه هذا الولي.

لو انتفت الكرامات لتشكك الناس في ديننا الإسلامي، لكن في كل عصر يرون رجالاً صادقين في اتباع سيد الأولين والآخرين، ومع أنهم في هذه العصور المظلمة تظهر عليهم أسرار إلهية نسميها إكرامات.

ونحن كلنا - كل المؤمنين - لهم كرامات، ولكن لا نذكرها، من منا حدث له في يوم من الأيام ضرورة ودعا الله فاستجاب له مولاه ولبّاه؟ كلنا، ومن منا لم يتعرض لشدة واستغاث بالله فأعانه مولاه وذهبت الشدة في الحال؟ كلنا، من منا أراد أن يذهب إلى مكان والمواصلات غير مُهيأة، فأرسل الله له مواصلة له لا يعلم كيف جاءت ولا كيف أتت توصله إلى مكانه؟ عندنا كلنا مثل هذه الكرامات الحسية.

لكن الكرامات التي نقف عندها للصالحين هي الكرامات المعنوية، كالإستقامة، ولذلك قالوا: (الإستقامة خيرٌ من ألف كرامة).

سألوا أحد الصالحين:

رأينا جماعة يطبّرون في الهواء؟

فقال لهم: ما زادوا عن طير، فالطيور تطير في الهواء!!

فقالوا: ورأينا جماعة يمشون على البحر!

اشارة الجارفين الباب الثالث (١٥٤) إزالة اللبس والغموض

قال: مازادوا عن سمكة، فالسمكة تمشي على البحر!!

قالوا: رأينا جماعة يذهبون إلى الكعبة في لحظة، أو يقطعوا بين المشرق والمغرب في لحظة، فقال لهم: الشيطان يفعل ذلك!

قالوا: فما الكرامة؟

قال: الكرامة الاستقامة.

الإستقامة:

- هي أن يستقيم الإنسان على منهج الله.
 - وتأتيه دائرة الحفظ، فالأنبياء لهم العصمة، والولي تأتيه دائرة الحفظ الإلهي، حتى ولو هم بمعصية فلا يجد الدواعي التي تُعينه على فعلها، فهذه عناية من الله، وهذه كرامة.
 - فإذا فُكّر في المعصية وخطّط لها، وفي اللحظة الأخيرة رب العزة يُهيئ له الأسباب التي تُبعده عن هذه المصيبة، فهذه عناية الله:
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾
(٢٠١ الأعراف).

الكرامة الثانية التوفيق.

وهي أن يوفقه الموفق في كل حركاته وسكناته، فلا يفعل إلا ما يُرضي الله، ولا يمشي في طريق إلا برضاء الله، ولا يجمع المال إلا من حلالٍ أحلّه الله، ولا يُنفقه إلا في موضع مباركٍ يستثمره له الله، فهذا التوفيق، ولقلة التوفيق ولرفعة شأنه لم يذكره الله في القرآن إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٨٨ هود) فالتوفيق أعلى درجات الكرامات.

وأعلى الكرامات شأناً أن يختتم الله للعبد بالإيمان، فيخرج من الدنيا من أهل (لا

اشارة العارفين الباب الثالث (١٥٥) ازالة اللبس والغموض

إله إلا الله محمد رسول الله) وعلامة ذلك أن يُبعده الله عن الكبائر والفتن ما ظهر منها وما بطن.

ما الذي يجعل الإنسان عُرضة لعدم الختام بالإيمان؟ إذا وقع في كبيرة ولم يتب منها، وجاء الأجل، كعاق لوالديه وجاء الأجل فيُختم له بسوء الخاتمة، أو يغش في كيل أو في بيع ومات ولم يتب فهي نفس الأمر، أو يشرب الخمر ولم يتب ولم يرجع إلى الله .. أي كبيرة من هذه الكبائر نفس الأمر.

فكون الله يحفظه من الكبائر، ويوفقه للفرائض فقد ضمن الله له حُسن الخاتمة. والكرامة الأعلى من ذلك أن يؤيد الله له دعوته إلى الله، ويجعله ببركة رسول الله، وبسر رضاء الله يجمع أهل الخير على الله ﷺ، لماذا؟ قال ﷺ:

{ وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهُدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ }^{٣٥}

فهذه كرامات الصالحين وإكراماتهم التي يبحثون عنها وهذه هي المهمة.

أما الكرامات الظاهرية: فقد يتشبه بها السحرة، وقد يصطنعها البوذيون في الهند باليوجا!!! وقد يتظاهر بها من يخاوي الجن وينبئ الإنسان بما حدث بالأمس أو بما قاله اليو !!م، لكن الكرامات التي يهتم بها الصالحون: هي الكرامات المعنوية التي ذكرناها، نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها أجمعين.



٢٨- الرؤيات المنامية للسالكين

بعض الصوفية يعيشون على الرؤيات المنامية، ويخططون حياتهم عليها، فلا يفعلون شيء أو يتركون شيء إلا برؤيا، فما حقيقة ذلك؟

٣٥ سنن أبي داود عن سهل بن سعد



اشتات العارفين الباب الثالث (١٥٦) إزالة اللبس والغموض

الرؤيا المنامية هي أول عطاء من الله ﷻ يُبَشِّرُ به من استقام على منهج الله، لأن الله بَشَّرَ أهل الإستقامة: ﴿لَهُمُ الْبَشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٦٤ يونس).

وأول بشرى لهم في الدنيا قال فيها ﷺ:

{ لَا يَبْقَىٰ بَعْدِي مِنَ النَّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِنَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟
قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تَرَىٰ لَهُ }^{٣٦}

لكن هذه الرؤيا تحتاج أولاً لمُؤَوِّلَ عِلْمِهِ الله ﷻ علم تأويل الرؤيا لكي يفسرها لي،
وثانياً لا أقف عندها، لأنها ستكون حجاباً للمقام الذي بعدها.

سيدنا رسول الله ﷺ يُعرفنا قدر الرؤيا من علوم النبوة، فقال ﷺ:

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ }^{٣٧}

والسيدة عائشة تحكي عن الرسول ﷺ في أول ما بُدئ به من الوحي فقالت:

{ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا
إِنَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ }^{٣٨}

كم استمرت هذه الحالة؟ قيل: ستة أشهر، وبعد ذلك انتقل إلى شيء أرقى في
علوم الأصفياء، وفي علوم الأتقياء والأولياء، وفي علوم الرسل والأنبياء.

فسيدنا رسول الله ﷺ مكثت معه هذه الرؤيات ستة أشهر، ومدة النبوة كلها ثلاثة
وعشرين سنة، ثلاث عشرة في مكة وعشرة في المدينة، وستة أشهر من ثلاثة وعشرين
سنة تكون ست وأربعين، كما أخبر النبي ﷺ:

٣٦ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

٣٧ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٣٨ صحيح البخاري

إشادات العارفين الباب الثالث (١٥٧) إزالة اللبس والغموض

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ }^{٣٩}

فهل أستمروا على هذا الجزء في حياتي كلها؟!

هنا أكون قد حُجبتُ أو قُطعتُ أو أخطأتُ، من هذا الذي يجعل همُّه كله ليرى رؤيا؟!! تسأله: لماذا تقوم الليل؟ يقول لك: لكي أرى رؤيا صالحة عندما أنام، فهنا العبادة ليست لله ولكنها للرؤيا الصالحة.

وعلى سبيل المثال:

يُصَلِّي على حضرة النبي ﷺ بعد أن يصلي الفجر كل يوم ألف مرة

وتسأله: لماذا تصلي على النبي ﷺ ألف مرة؟

يقول لك: لكي أرى في المنام رؤيا صالحة، فهذه العبادة لعلّة وليست خالصة لله. لكن لو أنا عبدتُ الله، فأصلي وأصوم وأصلي على حضرة النبي وأتصدق وأذكر، فهذه العبادة لله لأنه أهلٌ للعبادة....

فإذا تفضّل عليّ بالرؤيا فخير، وإذا لم يُرني رؤيا فالعبادة ليست للرؤيا، ولكن العبادة لله ﷻ.

فالذي حُجب بالرؤيا هو الذي وقف ولم يجد رجلاً عالماً عاملاً يُخرجه من هذه الورطة فأصبحت عبادته معلولة، وما علتها؟ الرؤيا، وهذه عبادة غير خالصة لله ﷻ، ولكن لا بد أن يعبد الله لذاته، ولا ينبغي من وراء العبادة إلا رضاء الخالق البارئ ﷻ، فإذا تفضّل الله بعد ذلك عليه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢١ الحديد).



٢٩- رئيسة الديوان

ما حقيقة قول بعض الصوفية عن السيدة زينب أنها رئيسة الديوان؟



السيدة زينب عندما نزلت إلى مصر أنزلها والي مصر ضيفاً عنده في بيته، وكان بيته يُعقد فيه الديوان، والديوان كان مجتمع الوالي ومن حوله من الأكابر لبحث الأمور المهمة التي تهم ولاية مصر في هذا الوقت، فكان اسمه الديوان.

فطلب منها الوالي تبركاً بها أن تحضر معهم من خلف ستار وتسمع حوارهم، وتُدلي برأيها ليستنبروا به في هذا الأمر.

فجاء بعد ذلك المتصوفة المتعجلون قالوا: إذاً هي رئيسة الديوان!

وجاء من بعدهم فاختلط الحابل بالنابل!!

وأدخلوا التصوف في الخرافات!!

وقالوا: أن هناك ديواناً للصالحين، وأن هذا الديوان يُعقد في جبلٍ (قاف) أو يُعقد في غارٍ حراء مرةً كل أسبوع! ويجتمع فيه القُطب الموجود، والأفراد الأبدال، ومعهم حضرة النبي، ومعهم أكابر الصحابة، ورئيسة هذا الديوان هي السيدة زينب!!

فهل هذا الكلام يُعقل!؟

وهل يوجد من يقبل هذا الكلام!؟

نفرض أن هذا الديوان يُعقد، فكيف يكون حضرة النبي موجوداً وتكون الرئيسة السيدة زينب!؟

وقالوا: إن سيدنا الحسين يكون موجوداً أيضاً، فهل يقبل أن يكون الحسين موجوداً وتكون السيدة زينب هي رئيسة الديوان؟

لكن - كما قلتُ - أن الديوان كان ديواناً حسياً، يبحثون فيه أمور الرعاية، وأراد

إشادات العارفين الباب الثالث (١٥٩) إزالة اللبس والغموض

الوالي منها أن تحضر معهم من وراء ستار، لأنه كان يأتس بها ويعتقد أنها من الصالحات لأنها من آل بيت النبي، وهي فعلاً كانت من الصالحات، لتدلي برأيها وهذا كل ما في الأمر!

لكن الديوان يُعقد كل أسبوع، والديوان في غار حراء، وهو الذي يُخرج الأحكام التي تحكم الدنيا كلها، وأن الأحكام التي تخرج من هناك هي التي تُنفذ، فهذه زيادات ما أنزل الله بها من سلطان، وخرافات ليست في دين الله عز وجل، ولا في شريعة الله، ولا عند الصوفية الصادقين، فهي خرافات يجب أن نطهر منها التصوف في كل زمان ومكان.



٣- رؤية السيدة زينب مكشوفة الرأس

يدّعي البعض أن رؤية السيدة زينب في المنام بشعرها أو بملابسها العادية دلالة على أنه من أهل البيت، وليس غريباً عليها، فما رأي فضيلتكم في هذا الأمر؟



هذا تعميم!

الذي ورد في هذا الأمر رواية يحكيها الشيخ فُحْد متولي الشعراوي رحمة الله عليه عندما كان طالباً بجامعة الأزهر:

أنه كان يسكن بجوار السيدة زينب وقتها ...

وكان أبوه يحب آل بيت النبي، وقد رأى الشيخ الشعراوي السيدة زينب في المنام وهي غير محجبة، وكان أبوه عنده في زيارة، فحكى لأبيه هذه الرؤيا، فقال له: يا بني لأننا من آل البيت، ولذلك أنت رأيته بشعرها!

لكن هذه قصة أو حادثة لا تُعمَّم، ولا نجعلها قانوناً، لأن أبوه فسَّرها له بذلك.



اشتاتل الجارفين الباب الثالث (١٦٠) إزالة اللبس والغموض

فهل كل إنسان يرى السيدة زينب يُفسّرُها بذلك؟

لا، فالرؤيا كما قال ﷺ:

{الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَابِرٍ}

وكل رؤيا لها تعبيرها.

فلا نأخذ تعبير شخص واحد على كل الرؤيات.

لكن كثير من أَدعياء الصوفية يتوقف عند مثل هذه الكلمات، ويُخرج منشورات ويُعمّمها، في حين أنه مسكين!

والصوفية أغنياء عن مثل هذا، فعندهم من العطاء الإلهي ما يغنيهم ويكفيهم، ويأخذ بأيدي محبيهم، ولا يحتاج إلى مثل هذه الأشياء.



إشادات العارفين
الباب الرابع (١٦١) التصوف والصوفية

الباب الرابع حول التصوف والصوفية

- ١- كيفية عرض التصوف الصحيح
- ٢- التصوف ونهضة الأمة
- ٣- الصوفية والشرعة
- ٤- الصوفية والعزلة عند الناس
- ٥- التصوف والفلسفة ٦- مصادر التلقي عند الصوفية
- ٧- جهاد النفس عند الصوفية
- ٨- علامات معرفة الله تعالى
- ٩- الصوفية والمجتمع ١٠- الصوفية في حجب الحق
- ١١- الموالد ١٢- الشافعي والصوفية
- ١٣- الحرب مع الله على أعداء أوليائه
- ١٤- أمثلة الصالحين ١٥- آداب زيارة الأمثلة
- ١٦- سمات المنهج الصوفي المعتدل
- ١٧- مصطلحات التصوف ١٨- الصوفي والآخي
- ١٩- حال التصوف الآن ٢٠- سر الهجوم على التصوف والصوفية
- ٢١- الصوفية والحياة السياسية ٢٢- الصوفية ولبس الصوف
- ٢٣- التصوف الحقيقي ٢٤- تعدد الطرق الصوفية
- ٢٥- دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات
- ٢٦- الصوفية ونشر الإسلام في العصر الحديث
- ٢٧- التصوف والسلية



الباب الرابع

التصوف والصوفية



١- كيفية عرض النصوص الصحيحة

مدارس التصوف كانت دائماً تصنع الرجال الذين ينهضون بالأمة، لكن لكثرة الدخلاء والأدعياء في التصوف أصبح الغث فيه أكثر فيه من الثمين، فكيف يمكن للصادقين عرض التصوف الصحيح؟



عرض التصوف الصحيح لا يحتاج في هذا العصر إلى تجمعات، ولا إلى كتب، ولا إلى محاضرات، ولا إلى إذاعات، وإنما يحتاج إلى رجال يتجملون بهذه الأحوال، فقد قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله:

(حال رجلٍ في ألف رجلٍ، خيِّره كلام ألف رجلٍ في رجلٍ واحد).

ولذلك يقول الحكماء للمقبلين في يزمننا على عدِّ ختمات القرآن التي يقرأون:

((لا تقمأ القمآه فحسب، ولكه كه أنت آية يقرأها الناس جميعاً مه القمآه))

يعني جمّل نفسك بصفة آية من آيات القرآن، عندما يراها الخلق يرون فيك أوصاف القرآن، فعلى سبيل المثال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣ الفرقان) هذه الآية تحتاج إلى رجلٍ فيه هذه الأوصاف، وتجلّت فيه هذه الصفات، فيعطيه الله ﷻ ما خصّ به أهلها من





خصوصيات وهبات ...

فكل من يراه يشعر بأن هذا الرجل له شيء عند حضرة الله، فينجذب قلبه إليه، وإن لم يحدثه بشفتيه، لكن يحس بأنه ينجذب إليه من غير كلام ولا غيره، فنشر التصوف في هذا الزمان يحتاج إلى رجال أجلاء يعملون بما علموا حتى يُورثهم الله علم ما لم يكونوا يعلموا، فيجذبون الناس بصدقهم، وإخلاصهم، وإخباتهم، وخشوعهم إلى ربهم، وحضورهم القلبي الدائم مع حضرة حبيبهم.

فهؤلاء الأقوام يكونون بمثابة مغناطيس نوراني رباني يجذب حديد القلوب التي تكون كالحديد، فيلبيها ويهذبها ويصفيها ويرقيها ويدخلها على حضرة علام الغيوب ﷺ، ولذلك أنت تجد هذا في الكون:

فهناك أناس يملأون الدنيا محاضرات وعظات وعلى المنابر وفي المساجد ولا يوجد من يمشي معه، لماذا؟

لأنه أصبح كالمغناطيس الذي فقد القوة المغناطيسية التي فيه، فتضعه في وسط المسامير فلا يمسك أي مسمار.

وهناك رجل آخر عندما ينزل إلى أي مكان يلتف الناس حوله، وأنت نفسك تتعجب كيف أتى إليه هؤلاء الناس؟! ومن الذي أتى بهم؟! ولماذا أتوا؟! ولا تدرك أن الرحمن ﷻ بإسمه الجامع جمل هذا الرجل فصار إسمه الجامع، يجمع له الأخيار، وينتقي له الأبرار، فهو كما قلت مغناطيس يجذب الأخيار، ويقرب الأبرار، ويدخلهم نار المجاهدة: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٧٨ الحج) ليصفي نفوسهم، ويظهر قلوبهم، ثم يدخلهم على حضرة الله ﷻ.

فنحن في أمس الحاجة إلى هؤلاء الرجال وإن شاء الله سيحدث هذا الأمر في هذا الزمان ببركة رسول الله ﷺ.



٢- النصوص ونهضة الأمة

كيف يمكن أن يساهم التصوف في نهضة الأمة وبعث المهمة؟



التصوف يجعل الصادق في اتباعه دائماً عنده همة عالية، لأنه لا يرضى بالدون من المقامات، ولا بالدني من الدرجات، حتى ولو كان في الجنات، لكن همته تدعوه إلى أن يبلغ أعلى الدرجات وأرقى المقامات، ولا يرضى بغير ذلك من الله ﷻ.

سيدي عمر بن الفارض رحمه الله عندما كان في النزع الأخير ورأى مكانته في الجنة - وهي مكانة عالية - بكى وقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت روعي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

أنا أمنيقي ليست هذه ولكن أمنيقي أنت، لا يريد إلا وجه الله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٥٢ الكهف).

وهؤلاء القوم لعلو شأنهم وعزائمهم، لا يرضون بالدون من الدنيا، ولا يرضون في الدنيا إلا أن يكونوا أعزّة، لأن الله ﷻ ألبسهم ثوب العزة، فإن العزة كما قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨ المنافقون.....)

فلذلك طلبوا من الله أن يعزهم فلا يمدّوا أيدهم إلى سواه، أو يجعلهم يحتاجون طرفاً إلى عداه، بل إنهم لا يرجون من الله إلا الغنى الكامل في الدنيا، والسعادة الراقية يوم لقياه جل في علاه.

سيدنا موسى عندما أمره الله أن يبلغ رسالات الله، قال: يا رب تتركني إلى خلقك هذا يطعمني يوماً، وهذا لا يطعمني؟ والنبي إذا كُلف بالرسالة فوراً يترك السعي في الدنيا ويتفرغ لرسالة الله، فقال الله تعالى: (يا موسى أما ترضى أن ندخل كل يوم رجلاً الجنة من



أجلك؟) يعني من يطعمك اليوم طعاماً ندخله الجنة، مع أن هذا الطعام الذي أرسله هو الله أحكم الحاكمين ﷻ.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما جاءه النداء في شاذلة في تونس: يا علي أنزل إهد الناس إلينا، قال: يا رب تُحوجني إلى عبادك هذا يُعطيني وهذا لا يُعطيني!! فقال: يا علي أنفق وأنا المُلِيّ، إن شئت من الجيب، وإن شئت من الغيب.

وهكذا أولياء الله الكُمل إلى يوم الدين لا يرضون إلا بالعزة، فهؤلاء يطهرون المجتمع من الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، والعزائم الطينية، ويجعلون الناس يستعلون، فيُعلي ﷻ شأهم، ويرفع الله ﷻ قدرهم.

كما حدث مع أصحاب الحبيب ﷺ:

فقد كانوا خُفأة عُرّة وبعضهم كانوا عبيداً، لكنهم عندما سلّموا أنفسهم لله ورسوله وتربوا على يد النبي التربية الصحيحة، لم تمضي عدة أعوام حتى صاروا كلهم أمراء، وقادة للجنود، مشهودٌ لهم بحُسن القيادة، وعدالة الولاية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وهذا وعد الله في كل زمان ومكان:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (٥٥ النور).

وعدٌ من الله أن كل من سيمشي في هذه التربية لا بد أن يُمكنه الله في أرض نفسه، ويُمكنه الله في أرض القلوب غير المعيبة، وغير المحجوبة عن علام الغيوب، ويُمكنه الله ﷻ من نشر الفضائل الإلهية والتعاليم الربانية التي يقول فيها الإمام علي عليه السلام: ((عَلُّوْهُمُ الهمة من الإيمان)) ونحن نحتاج إلى هذا الأمر في زماننا هذا.



٣- الصوفية والشرعية

يؤخذ على الصوفية أنهم يتركون التكليف الشرعية بحجة أن الله أسقط عنهم التكليف، ما قول فضيلتكم؟

هذه حجة داحضة لا يقع فيها إلا الأدعياء، الذين لا ينتسبون للصوفية من قريب ولا من بعيد، لأن الصوفية الصادقين أشد الناس تمسكاً بالشرعية الإلهية، فهم أولى الناس بالإتباع لسيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك عندما سمع الإمام الجنيد رحمه الله هذه الفرية وقالوا له: إن قوماً يدعون إسقاط الأعمال ويقولون: إنهم سقط عنهم التكليف، فقال رحمه الله: (إن الذي يفعل الفواحش فيسرق أو يزني خيبر هذا، لأنه لو كان هناك ترك للتكليف لكان أولى بذلك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وصحابته المباركين المهديين).

ويقول الإمام أبو العزائم رحمه الله: (من قال لك أنني قد وصلت، وترك الصلاة، فقل له: وصلت ولك إلى سقر) لأن هؤلاء أهل سقر: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ قالوا: لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴿١٢﴾ (المذثر).

أما قضية إسقاط التكليف كما قالها البعض هي إسقاط المعاناة، وإسقاط التعب والعناء في أداء التكليف، لأنه يؤديها بتلذذ ومحبة وأنس بالله ﷻ.

فمثلاً بعضنا وهو يؤدي الصلوات يجد فيها مشقة بالغة، ولكن نجد بعض القوم يظلُّ منتصباً بين يدي الله من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر يُصلي لله، وعند اقتراب الفجر يقول: لماذا مرّت هذه الليلة سريعاً؟! أنا لم آخذ حظي بعد من عبادة الله ﷻ!! لماذا؟ لتلذذه واستلذاذه وذوقه لحلاوة هذه الطاعة لله ﷻ.

وهذا إن قاله بعض الصالحين على لسانه، فإنما يقصد بذلك أنه في تلذذه بالعبادة، وذوقه لحلاوة العبادة، فلا يشعر بكلفة، يعني مشقة ولا تعب ولا عناء في هذه

العبادة، ولذلك كان منهم الإمام الجنيد، فقد كان يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة، فما حدودها؟! نحن لو صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة ستجد الناس متضررة، ويقولون: لماذا لا تجعلوها ثمانية؟! لكنه كان يصلي ثلاثمائة ركعة وليست كصلواتنا هذه، بل يطيل في القراءة، ويطيل في الركوع، ويطيل في السجود، لماذا؟ تلذذاً وتفكهاً بطاعة الله كأهل الجنة إن شاء الله رب العالمين.



٤- الصوفية والعزلة عند الناس

يؤخذ على الصوفية اعتزال الناس والمجتمعات، والإنغلاق على أنفسهم، ولذا يرى البعض أن هذا أشبه بالرهابية، فما قول فضيلتكم؟



الناس الذين ينغلقون على أنفسهم ويتعدون عن الناس، فهؤلاء ليسوا صوفية، فهم إما زهاد أو عبّاد، ومنهم من يبحث عن مكان يختلي فيه ويتعبّد لله ﷻ. لكن أفضل نوافل للعبد التي تتعلق بخلق الله، والصوفية يعرفون هذا المقام، ويعرفون هذا القدر.

ولذلك الصوفية كانوا قبل الحياة العصرية هم القائمون مقام وزارة الأوقاف، ومقام وزارة الشؤون الاجتماعية، ومقام وزارة الصحة، قبل وجود هذه الإدارات.

فكان كل واحد منهم يعيّن نفسه لله، فهذا مؤذن مسجد كذا، وهؤلاء يتنافسون على نظافة المراحيض المساجد لوجه الله، ولذلك كم خرّجت هذه الوظيفة من أولياء الله ﷻ، لأنه تطامن على نفسه، وخدع نفسه، وكان ينظف المراحيض، ولم تكن المراحيض بالهيئة التي نراها حالياً، ولكنها كانت بيئة أخرى لا تصلح نهائياً، لكنهم كانت هذه وظيفتهم.



ويُروى في هذا المجال أن الشيخ عبد الوهاب الجوهري وهو من بلدة محل مرحوم بجوار طنطا، وكان تاجر ذهب، ذهب لبتبع سيدي أحمد البدوي رحمه الله وأرضاه، وتاجر الذهب يعني رجلاً مُرفَّه يعيش حياة المترفين، ولكي يدخل في دائرة وأحباب الصالحين لا بد أن يترك هذا الترف ويتخشَّن، فكما قيل:

(اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم).

فقال له الشيخ: أتريد أن تمشي معنا، فقال له: نعم، وكان هناك ساقية تُخرج الماء من البئر ليتوضأ الناس منها، والذي يُشغِّل هذه الساقية ثورٌ يدور بها، فقال له: إن كنت تريد أن تمشي معنا، فعليك بتشغيل هذه الساقية مناوبة مع الثور.

الشيخ يريد أن ينزله من العلياء التي يعيش فيها ويخشوشن، ويختبره إن كان صادقاً أم مُدَّعياً، لأنه لو كان مدعياً فلن يقبل هذا الأمر، وإن كان صادقاً سيقبل هذا الأمر، فمشى على هذا المنوال، وذات مرة حَدَّثته نفسه بأنه ترك العز والترف، وجاء ليعمل بهذا!!، وبمجرد أن خطر في باله هذا الكلام وإذا بالشيخ أمامه، وقال له: ماذا تقول في نفسك؟! إذا كنت تريد أن ترجع لما كنت فيه فاذهب ونحن لا نريدك، فقال له: أنا تُبْتُ بين يديك عن هذه الخواطر النفسية، وبعد فترة قال له: نريد أن نرقيقك، نريد منك أن تغسل المراحيض.

فكان هذا نظام الصالحين، فالكنَّاس الذي كان يكنس بيت سيدنا أحمد البدوي أصبح ولياً من الأولياء وله طريقة إسمها الطريقة الكُنَّاسية، لماذا؟ لأنه تواضع وكان يكنس مكان المريدين.

والراعي الذي كان يرعى الحيوانات التي كان يأتي بها للأحباب عنده أصبح من الصالحين وله طريقة وهي طريقة الشيخ الراعي، وهي موجودة إلى وقتنا هذا.

فالصوفية يتلاحمون في المجتمع، ويشتغلون في المجتمع، من الذي كان يقوم بالمساجد كلها في العالم الإسلامي قبل وزارة الأوقاف؟ الصالحون، أحدهم يهب نفسه للإمامة أو اثنين أو ثلاثة ينظمون أنفسهم مع بعض، واثنين ينظمون أنفسهمم للآذان،

وثلاثة أو أربعة ينظمون أنفسهم للخدمة، ولا يريدون من أحد شيئاً لأنهم يعملون ذلك لله ﷻ، من الذي كان يبحث عن المساعدات الإجتماعية والعطف على الفقراء والمساكين والمرضى وذوي الإحتياجات؟ الصالحين، كانوا يتعرفون على أحوالهم، وإذا استطاعوا أن يعطوهم مما معهم، وإلا كانوا يذهبون لأهل الخير الذين يتوسمون فيهم الخير ويأخذون منهم المساعدات ويعطوها لهؤلاء الفقراء والمساكين.

رأينا عندنا في طنطا رجلاً مجذوباً، وكان في الأصل من كبار الأغنياء، وأصابته جذبة إلهية فترك غناه ومشى سائحاً في الله، ورأيناه في عصرنا، وله حالياً ضريح في كفر الزيات في بلدة تابعة لطنطا، ماذا كان يفعل هذا الرجل؟ كان يذهب للتجار حول السيد البدوي ويقول: هات خمسة جنيهاً أو اثنين أو ثلاثة جنيهاً، فلا يستطيع أحد أن يردّه.

ذات مرة تتبعه أحدهم، ففوجئ أنه أخذ هذه النقود واشترى طلبات لإمرأة تلد ولمولودها، وأجر حنطوراً وذهب به إلى بيت، وطرق الباب، وكان بداخل البيت امرأة تلد ولا تملك شيئاً من الدنيا لا هي ولا زوجها!!.

من الذي كان يتحسس أحوال هذه الناس ويتجسسها؟ هؤلاء الصالحين، من الممكن أن يكون في وزارة الشؤون الإجتماعية حالياً بعض المجاملات، وأحياناً محاباة، وأحياناً تدليس، لكن هؤلاء ليس عندهم هذا، ولكن عندهم أحاسيس تأتي من عند الله، ويضعون الشيء في موضعه تقرباً من الله، ولا يرجون من الخلق مدحاً ولا ثناءً: ﴿ إِنَّمَا نَطْبَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩١ الإنسان).

فكان من يقوم بالأعمال الخيرية كلها للأمة الإسلامية هم الصوفية، وهم من يبحثون المنافع التي يحتاجها الناس، فإذا إحتاج الناس إلى سبيل ماء، فيعملون لهم سبيل ماء، وإذا إحتاج الناس مكاناً للعلاج، يهيئون لهم مكاناً للعلاج.

ولذلك عندما ننظر للمساجد التي عندنا في أغلب البلاد، من الذي بناها؟ هل الدولة بنت مساجد؟ لا، لكن الذي بناها أهل الخير.

فأهل الخير هم القائمون برعاية أحوال المحتاجين والفقراء والمساكين وذوي الإحتياجات الخاصة للأمة المحمدية من عند أنفسهم، ويرون أن ذلك تكليف في أعماقهم من الله ومن رسول الله ﷺ، ولا يبيغون من وراء ذلك جزاءً ولا شكوراً.

سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله وأرضاه، ما العمل الرئيسي في طريقته؟ خدمة الفقراء والمساكين، ولذلك كنت تجد الجماعة الرفاعية في المساجد الكبرى كل واحد منهم يحمل قربة على ظهره ويدور على المصلين ويسقيهم لوجه الله، فيأتي الواحد منهم بثلج، ويأتي بماء زهري لكي يكون الماء معطراً ومثلجاً، ولماذا هذا كله؟ لله ﷻ، لأن طريقتهم بُنيت على الخدمة، ولأن سيدي أحمد الرفاعي قال: (طهرت سبعين باباً فلم أدخل إلا من باب الدل والتواضع لله ﷻ) فهذه أحوال الصوفية الصادقين، وليس لنا شأن بالأدعياء والمتحلين.



٥- النصوف والفلسفة

يؤخذ على الصوفية اختلاط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار الحلول والإتحاد ووحدة الوجود على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه فإنها صورٌ زائفة وأوهامٌ وخيالات، ما قول فضيلتكم؟



الصوفية نبعها من الحضرة المحمدية، والشرعية الإلهية التي جاء بها المصطفى خير البرية ﷺ، ومن ينسب التصوف إلى الحكمة الهندية، أو الفارسية، أو الفلسفة اليونانية، فهؤلاء قومٌ يتجنوا على التصوف ليقولوا أنه غريبٌ عن الإسلام، لنبعد عنه، وللرد على هؤلاء بردود فاحمة نحتاج إلى وقت آخر، وهذه الردود موجودة في كتبنا.

فهؤلاء الذين تجنوا على الصوفية نسبوا إليهم أنهم أخذوا من اليوجا الهندية ما



يُستَـمَى بالحلول والإتحاد ووحدۃ الوجود، مع أن هذه الأشياء أنكرها كُـمَل الصوفية بالكلية، ونحن وضعنا فصلاً كاملاً لها في كتاب (المنهج الصوفي والحياة العصرية) بيّناً فيه كيف أن ابن عربي نفسه تكلم عن هذه الآراء، ومن جملة كلامه: (من قال بالحلول فحالُه معلول) وكلام كثير ذكرناه، واستشهدنا به على هؤلاء القوم.

فما معنى الحلول؟ الهنود يعتقدون أنه إذا مات منهم أحدٌ فإن روحه تحلُّ في إنسان آخر، والآخر عندما يموت يحلُّ في واحد آخر، ويسمون ذلك عقيدة تناسخ الأرواح أو الحلول، وهل يصح هذا الكلام؟!.

وهم أخذوها من النصارى الذين حرقوا أفكارهم، وقالوا: أن الله حلَّ في المسيح، أو حلَّ في السيدة مريم، فحلَّ في الأب والإبن، ولذلك يقولون بسم الأب والإبن وروح القدس إلهاً واحداً، يعني الثلاثة إلهٌ واحد، فهل هذا الكلام عندنا؟! لا، حتى جُـهَّال الصوفية لا يقولون بذلك، فهذه أشياء تجبى بها أعداء الصوفية، والمتلمسين الأخطاء، والذين يحاولوا أن ينكروا عليهم ويشنعوا عليهم.

لكن الصوفية باختصارٍ شديد هي معرفة للشريعة الإسلامية، ثم العملُ بها بإخلاص طلباً لرضاء الذات العلية.



٦ - مصادر التلقي عند الصوفية

يُؤخذ على الصوفية أن مصادر التلقي عندهم تعتمد على الكشف، ويدخل تحت الكشف تلقيهم من رسول الله ﷺ يقظةً ومناماً، أو من الخضر، أو الفراسة أو الإلهام، فما قول فضيلتكم؟



القواعد الإلهية القرآنية لتلقي العلوم ذكرها الحى القيوم في قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ



وَالْبَصَرُ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوراً ﴿٣٦﴾ (الإسراء) فالإنسان يتلقى من السماء، ومن العلماء العاملين، أو من النظر في كتب الصادقين، أو من النظر في آيات الله في الكون، أو يُلهمه الله ﷻ في قلبه علماً إلهياً لدنياً، هذا العلم جعل له السادة الصالحون شروطاً، وأول شرط من شروط هذا العلم أن لا يخالف الشريعة، لأنه ليس شيء والشريعة شيء آخر، فهو ليس مصدر والشريعة مصدر آخر، فالشريعة كاللبن، عندما نُخَضُّه يخرج منه الزبد.

فالشريعة إذا خَصَّها الإنسان بالعمل خالصاً لله، يقطف ثمارها وهي علوم الحقيقة، قال ﷺ: { مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ وَرَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }^١

نفرض أنه جاءه شيئاً من الإلهام يخالف الشرع، ولنفرض أنه رجلاً من أهل الكشف، وكشفه خالف الشرع، فالأساس الذي اتفق عليه الصالحين، وقوانين الصادقين هو الذي يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: (إذا خالف كَشَفَكَ اللهُ شرع الله فاضرب بالكشف عرض الحائط وقل: قد هدمت لي العصمة في الشريعة ولم يضمنها لي في الكشف).

فأهم شيء هو الشريعة، وحقيقة الكشف كثير من الناس لا يفقهها جيداً، فالتناس تفهم أن الكشف هو الإطلاع في البيوت، ويرى ما خفي، ويعلم الكلام الذي دار مع فلان وفلان بالأمس، ويعرف استباق السمع كالشياطين، ويعرف متى ينزل المطر وأين ينزل.

فهذا كله قد يكون كشفاً شيطانياً، لأن الشيطان يستطيع أن يفعل ذلك كله ويوسوس للإنسان في أذنه بذلك، وكثير من الذين يسخرون الجن يقول له: إن فلان قادمٌ لك، ويقول للخادم: أول ما يصل فلان الفلاني أدخله على الفور، فالآخر يقول: وكيف عرف أنني قادم؟ من الذي بلغه؟ شيطانه الذي يخاويه، والذي يوسوس في أذنه.

أو يقول له: يا فلان نريد منك كذا من المال، فيقول له: ليس معي شيء، فيقول

١ كشف الخفا للعجلوني وبحر الفوائد للكلاباذي

له: معك مال تحبئه في مكان كذا، فيقول: إن الشيخ يطلع عليّ ويعرف عني كل شيء!!، وهل هناك شيخ ينشغل بهذا الكلام؟! هذا عمل إبليس إذا كان شيخاً حقيقياً فسيكون مشغولاً بالله، ولا ينشغل طرفه عينٍ بسواه جل في علاه.

إذاً فما الكشف؟ هو كشف المعاني في الآيات القرآنية، وكشف المعاني في الأحاديث النبوية التي ثلاث المريدین الصادقين والسالكين المحققين في هذا العصر وفي هذا الزمان وفي هذا الأوان، وكشف المعاني هو الكشف الحقيقي الذي يبحث عنه الصالحون، والذي يبحث عنه الصادقون من عباد الله ﷻ،

وحق هذا الكشف إذا خالف الشريعة فيعرف أن هذا وارد من النفس، أو خاطر من الشيطان، فيضرب به عرض الحائط، ويتمسك بسنة النبي العدنان وشريعة حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

والكشف ليس معتمداً عندنا في شيء، وإنما هو زيادة فوائد تأتي عوائد من الله نتيجة الإخلاص ونقاء السريرة، وشرطه أن يكون موافقاً لشريعة الله، لا يتخلى عنها طرفه عينٍ ولا أقل.



٧- جهاد النفس عند الصوفية

يؤخذ على الصوفية التشديد على النفس مثل الإمتناع عن الطعام والكلام والمنام، ويرى البعض أن هذا غلو في الدين، لأن رسول الله ﷺ قال: { أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }^٢ فما قول فضيلتكم؟



٢ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه



الصوفية لا يمتنعون عن شيء من مُتَع الحياة الدنيا، ولكن يعملون بقول الله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١ الأعراف) كيف نفعل ذلك؟ قال ﷺ في ذلك: { حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقِيْمَاتٌ يَقْمَنُ صَلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، قَتَلَتْ طَعَامًا، وَتَلَّتْ شَرَابًا، وَتَلَّتْ لِنَفْسٍ }^٣

هل من يمشي على هذا المنهاج يكون قد حاد عن الشريعة المطهرة؟ أم أنهم أقرب الناس إبتاعاً للحبيب ﷺ؟ هم يمشون على هذا المنهاج، وقال ﷺ في حديث آخر: { كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرْفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ }^٤

أن لا يُسرف الإنسان في الأكل، وأن لا يُسرف الإنسان في الطعام، وأن لا يُسرف الإنسان في المنام، يعني ما دام الإنسان قد استيقظ فيهِبُ لطاعة الله وعبادة الله، وحتى إن لم يستطع أن يقوم فيذكر الله وهو نائم، فينشغل بذكر الله، لكن لا يوجد أحد من الصوفية يتقلب يميناً وشمالاً ولا يأتيه النوم، ويحتاج لشيء يأتي له بالنوم، لكن نومهم غلبة، فإذا غلبه النوم نام، وإذا أخذ حظاً من النوم قام لطاعة الله ﷻ كالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فالصوفية لا يحرمون شيئاً، وإنما يتبعون الحبيب ﷺ في منهجه الذي كان عليه في حياته، والذي أمرنا الله ﷻ أن نقتدي به في قوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١ الأحراب).

فلا نجد في الصوفية من يواصل الصيام، لأن النبي نهي عن المواصلة في الصيام، فعندما أرادوا أن يواصلوا قال لهم: { إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أُبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمَنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ }^٥

والصوفية يحفظون ما فعله الثلاث شباب عندما ذهبوا لحضرة النبي، وقالوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا، فَإِنِّي

٣ سنن النسائي وابن ماجه عن المقدم بن معدي

٤ الحاكم في المستدرک ومسنَد أحمد عن عبد الله بن عمرو

٥ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

أَصْلِي اللَّيْلُ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزُّ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:

{ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }^٦

حضرة النبي ﷺ نهاهم عن ذلك، فاستوعب الصالحون والمتقون والصادقون هذا الدرس إلى يوم الدين، فهم يصلون وينامون، ويصومون ويفطرون، ويأكلون ولا يسرفون، ويلبسون بغير خيلاء ولا كبرياء، وإنما هم دائماً وأبداً بحضرة النبي ﷺ متشبهون، وللصحابة الكرام الأجلاء متبعون.



٨- علامات معرفة الله تعالى

ما معني قول ذو النون المصري: (آية معرفة الله ثلاث، أولها: لا يُطفئ نور معرفة الله نور ورعه، وثانيها: لا يتكلم بباطن في علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة، وثالثها: لا تحمله الكلمات على هتك أسرار محارم الله)؟



هذا الكلام كلامٌ عظيمٌ جداً، فهي مقاييس وضعها الشيخ ذو النون المصري لمن ادَّعى أنه وصل واتَّصل وظهرت له الحقائق الإلهية.

الورع

الأمر الأول: (لا يُطفئ نور معرفة الله نور ورعه)

ما دام أصبح من أهل المعرفة والبصيرة فينبغي عليه أن يزيد في الورع، لأن الورع

٦ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه



الإحتياط من الوقوع في محارم الله ﷻ.

بمعني أنه إذا ظهرت عليه المعرفة، ولاح لمن حوله أنوار المعرفة، قد يذهب إليه الناس وبعضهم يجود بماله، فهو لا بد أن يكون عنده ورع، فلا يقبل مما قُدِّم له إلا الذي يكشف بنور بصيرته ويتحقق أنه حلال.

فلو جاءه أحدهم بمالٍ فيه شبهة فيردُّه، أو مال جاء عن طريق سرقة فيردُّه، أو مال عن طريق غزو فيرده ... وهذا الذي نراه في بعض الصالحين الصادقين، فليس كل شيء يأخذه، لكن يأخذ ما يتأكد بنور بصيرته أنه من طريقٍ حلال، فلا يُطفئ نور ورعه نور معرفته ويأمنه الناس على بناتهم ونسائهم، فلا يسمح لنفسه بخلوة شرعية مع أي منهن، وإن كان يعلم علم اليقين أنه أصبح محفوظاً بحفظ رب العالمين ﷻ، لأنه لو تأكد من حفظ نفسه فهل تأكد من حفظ غيره التي تجالسها؟! فعليه هنا إتباع الشرع الشريف، فيقول لها: أين محرمك؟ فإن أتت به فأهلاً وسهلاً، أو تجلس معه في مكان عام مفتوح، فهنا لا يطفئ نور معرفته نور ورعه الذي يحجزه عن الشبهات، فينتبه لهذه الشبهات جيداً.

الرشد

الأمر الثاني: (لا يتكلم بباطنٍ في علمٍ ينقضه ظاهر الكتاب والسنة).

إذا فتح الله عليه علماً من علوم الباطن، وشرط هذا العلم الإلهامي أن لا يخالف شريعة الله طرفة عينٍ ولا أقل، فما جاء عن طريق الشريعة فهذا هو الحق والحقيقة.

فإذا تكلم بعلم ظاهره باطن، لكنه يناقض شرع الله ﷻ، فيردُّ عليه، لأنه يفعل فتناً لا ينبغي أن تحدث في الأمة المحمدية، فقد قيل: (من أظهر ما لا يطاق أوقع غديره في النفاق) وقال الإمام عليّ عليه السلام وكرَّم الله وجهه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أريدون أن يُلذَّب الله ورسوله؟!).

ما يعرفه الناس تكلم فيه، ولكن ما لا يعرفه الناس فلا يجب الكلام فيه، على

سبيل المثال: نظرتُ في الفيس بوك في بداية العشرالأواخر من رمضان، فوجدتُ رجلاً - نحسبه على خير - كتب لنفسه ولتلاميذه ولغيره أن ليلة القدر هذه السنة ليلة الثالث والعشرين، فلا يبحث عنها أحدٌ، وهل يصح هذا الكلام؟! فأنت بذلك تمنع الناس من العمل بعد ذلك، لأنهم سيحيون ليلة الثالث والعشرين ثم ينامون بعدها.

إذا كان الحبيب نفسه ﷺ لم يُخبر بها الناس ليحيوا الليالي العشر، فأنت حتى لو عرفت حقيقة أنها ليلة ثلاث وعشرين فلا ينبغي أن تقول ذلك، حتى لا تُحبط الناس في بقية الأيام العشر، لأنها حكمة رسول الله ﷺ.

فقد خرج ﷺ ليقول للناس عليها، لكن إثنان تحدثا بصوتٍ عال، فقال ﷺ:

{ إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاَحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَّكُمْ }^٧

لكنه من البداية لم يكن يريد أن يقول للناس عن موعدها، حتى لا يتكاسل الناس عن إحياء الليالي العشر الأخيرة من رمضان.

لا يقول علماً باطنياً يناقض الظاهر الذي جاء به الحبيب، إن كان في كتاب الله، أو في سنته صلوات ربي وتسليماته عليه.

أدب أهل المكاشفات

الأمر الثالث: (لا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله)

نفرض أن إنسان رزقه الله بعين الكشف، فهل يفضح الناس؟! ويقول لأحدهم أمام الناس: يا فلان: لماذا فعلت الجريمة الفلانية بالأمس؟ لماذا فعلت كذا بالأمس؟ لكن عليه أن يعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }^٨

صحيح أحياناً بعض المجاذيب يفعلوا هذا الكلام لحكمة إلهية، لكن هؤلاء مجاذيب لا ينبغي أن نفتدي بهم.

لكنني أتكلم عن العلماء العاملين الوارثين لسيد الأولين والآخرين ﷺ، حتى لو أحب أن ينصح واحداً فيكون ذلك فيما بينه وبينه، لأن النصيحة على المالأ فضيحة.

لكن فعل شخص فيما بينه وبين الله شيئاً، وأنا عرفته فلا ينبغي أن أذكره إلا إذا ذكره لي، وهذا منهج الصالحين الوارثين لرسول الله ﷺ.

كثير من الأحباب يقول: أن الشكوى لصاحب البصيرة عيب فهو يعرف، نعم يعرف ولكن الشرع يقول لي: أن لا أقول إلا إذا أنت قلت، لأننا متبعين للشرعية المحمدية، ومأمورين بالستر على جميع خلق الله ﷻ.

أنت تريد العلاج فأنت الذي تكشف، عندك جزء في جسمك تشكو منه ومغطى، فلمن تكشفه؟ للطبيب ليكتب لك العلاج. ،،،، لكن فلان عمل كذا بالأمس، وفلان عمل كذا أول أمس، فليس هذا منهج الصالحين، فهذا شغل الشياطين، ولذلك من يفعل ذلك نقول عنه أنه مخاوي الجن، ودائماً يذكر الأشياء الماضية، لأن الجن يوشوشوا له في أذنيه ليقال عنه أنه رجل من الصالحين.

فالصالح حتى لو رأى رجلاً على ذنب وشاهده بعينه بمفرده يتغافل ويتصنع أنه لا يراه، لأنه لكي يقيم عليه الحد يحتاج إلى شهود معه، لكنه رآه بمفرده، فالأحسن أن يتغافل.... فحتى لو رزقه الله ﷻ وفتح له نور البصيرة، وكشف له الستائر، فهل هو متفرغ ليطالع على عورات الخلق، أم يتمتع بجمال الحق؟! فهذا شيء غريب، فمن يتمتع بجمال الله، وجمال وبهاء حبيب الله ومصطفاه، هل عنده وقت ليرى ما في البيوت وماذا يفعلون؟!.... فسيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام سحر له الله كل شيء، لكنه كان مشغولاً بالله بالكلية، وعندما جاء عرش بلقيس - وكان يستطيع

٨ سنن ابن ماجه ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن يأتي به في طرفة عين - لكنه ليس عنده وقت لهذا، لشغله بالله، فقال لمن حوله: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرِيْشَهَا ﴾ (٣٨ النمل) هو مشغولٌ بحضرة الله جل في علاه، والتمتع بنوره وجماله وبها، لذلك كلّف أحد رجاله ليأتي به.

ولذلك الكرامات تظهر لصغار الصالحين والعارفين، لأنهم لا تزال نفوسهم حية وتحب الظهور، لكن الكمّل من عبيد الله ليسوا مشغولين بهذه الأشياء كلها، وليسوا مشغولين إلا بوجه الله ﷻ.



٩- الصوفية والمجتمع

كيف نجعل من التصوف مذهباً اجتماعياً؟



هذا السؤال أجابنا عليه من قبل، وقلنا أن الصوفية هم المسئولون، أو من يحملوا أنفسهم المسئولية للفقراء والمساكين والمنقطعين والعجزة من الأمة الحمدية، ويرون أن هذا تكليف من الله ورسوله لهم، ولا أحد يكلفهم من أهل الدنيا، لكنهم يرون أن هذا تكليف من الله ﷻ ورسوله، ولا يبغيون من وراء ذلك إلا رضا الله، ومودة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

ما الذي جعل الصوفية يقطعون القيافي والصحاري الإفريقية الشاسعة ويذهبون للسنغال ونيجيريا وغانا وتنزانيا لكي ينشروا الإسلام؟ هل كان هناك واحدٌ منهم يبحث عن إغارة؟ أو عن عقد؟ وكم يأخذ فيه عندما ذهب إلى هذه البلاد؟ ولماذا ذهب إلى هناك؟ ذهبوا لوجه الله ﷻ، ولذلك هم من أنشأوا الإسلام في هذه الأماكن، لأنهم متطوعين حسبةً لوجه الله ﷻ.

وأيضاً هم من حمل الأمانة بالنسبة للفقراء والمساكين، ولولاهم في هذا الزمان



لعجزت الدولة، لأن الدولة مواردها محدودة، وميزانياتها معدودة، لكن القائم بالجانب الأكبر هؤلاء القوم: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩ الحشر).

الجانب الإجتماعي الذي يقوم به الأحاباب في الجمعيات التي عملناها في البلاد، والتي تتجلى بالمساعدات والمعونات وأنواع الخيرات التي لا عد لها ولا حد لها، وكلها ابتغاء وجه الله ﷻ من منا سيتقدم للإنتخابات لأنه فعل ذلك؟ هل هناك من يعمل ذلك لأخذ الأصوات في الإنتخابات؟ لا أحد نهائياً، ولماذا تعملوا هذا الخير؟ لله، فلا أحد منا سيرشح في الإنتخابات ولا المحليات ولكن سيرشح عند رفيع الدرجات ﷻ، وعند سيد السادات ﷻ ... فالعمل الإجتماعي هو أكبر النوافل وأعظم القربات التي يتقرب بها الصوفية في كل زمان ومكان.



١٠- الصوفية في حبر الحق

ما معنى قول الشيخ البسطامي: (الصوفية أطفال في حبر الحق)؟



الطفل الصغير في حبر أمه ليس له يد تدفع، وليس له سن تقطع، وليس له إرادة، وليس له سعي، وكل شيء متوكل فيه على أمه، وكذلك أهل الصوفية الحقيقيون يصلون إلى مقام يُحسنون فيه التوكل على رب العالمين، فلا يدفع الإنسان منهم عن نفسه، ويدخل في قول الله: ﴿ إِنْ أَلَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٣٨ الحج) أو في القراءة الأخرى: ﴿ إِنْ أَلَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لأنه لا يدافع عن نفسه، ولا يبحث عن شئون رزقه لكمال ثقته في ربه ﷻ، فيسعى سعياً حسيماً، فإذا جاءه القليل بارك الله ﷻ في القليل وجعله أكثر من الكثير حتى يتعجب مَنْ حوله من حياته.

سيدنا إبراهيم وهو يحفر البيت وجد حجراً مكتوب عليه: (أنا الله رب البيت



أرزق الضعيف من القوي حتى يتعجب القوي) هذا الرجل كيف يعيش؟! فأنا دخلي في الشهر كذا وكذا ولا يكفيني، وهذا كيف يعيش؟! نسي أن البركة التي تنزل من الله ﷻ للناس الذين يحسنون التوكل على الله، وعملوا بقول الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣الطلاق) وحسبه يعني كافيه، يعني لا يهتم إلا بأمر الله الذي طلبه منه في كتاب الله، أو الذي أمره به حبيب الله ومصطفاه، والله يتولى كل أموره وشئونه، سر قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٩٦الأعراف).

لا يدبر لنفسه أمراً، بل يعرض أموره كلها على الله، ومن أحسن تدبيراً له من حضرة الله جل في علاه؟! فهؤلاء القوم وضعوا بالكلية كل حولهم وطولهم واعتمدوا في كل حركاتهم وسكناتهم على رحم ﷻ، ولهم أسوة في ذلك بنينا ﷺ وصحبه الكرام والصالحين من بعدهم إلى يومنا هذا.



١١- الموالد

ما رأي فضيلتكم في الموالد؟ وما الحكمة من عمل مولد لولي مع ما يحدث من اختلاط في الموالد وبدع ومنكرات، فكيف يكون الاحتفال الشرعي بمولد الولي؟



مولد وذكرى الولي أن أذكر الصالحين، وأحوال الصالحين السابقين والمعاصرين، ونوضح لأنفسنا وللحاضرين كيف وصل هؤلاء إلى فتح الله وإلى رضوان الله ﷻ، وهذه هي الغاية الأساسية من الموالد.

أين تكون؟ في بيت الله، بشرط أن لا يوجد فيها شيء يغضب الله، ولا مانع من وجود النساء بشرط أن يكون هناك مكان مخصص لهم، فلا يحدث اختلاط بين الرجال والنساء، فאלكل يسمع، لأنهن مطالبين كما نحن مطالبين، من أول ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ



وَالْمُسْلِمَتِ إِلَى (وَالَّذِكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالَّذِكْرُ لِلَّهِ) (١٣٥) فلا يجوز لنا أن نتركهم في أي مقام من هذه المقامات، لأن الله فرض لهم كل هذه المقامات، فمن حقهم أن يحضروا لكن في مكان خاص بهم.

لا يدار في بيت من بيوت الله موسيقى، لأنه مكان له حرمة ووقار، لكن يجوز فيه الإنشاد الذي ورد عن الصحابة الأعمام عندما كانوا ينشدون لرسول الله، لكن لا تكون معه أدوات موسيقية لكي لا نرتكب حرمة في بيت الله، لكن لو أردت أدوات موسيقية فتكون خارج المسجد.

فإذا ذكرنا الله في المسجد فلا بد أن يكون ذكرًا شرعيًا، عبارة عن ركوع وقيام من ركوع، فلا يصل إلى ما يشبه الرقص.

ومن الممكن أن تكون هذه المجالس تلاوة قرآن، أو شرح ما تيسر من كتاب الرحمن، أو صلاة على رسول الله، أو ذكر الله، أو نصائح ووصايا مع بعضنا في الله والله، أو حل مشاكل بيننا لكي يظل التواد والتراحم بيننا في الله، فهذه هي أساس موالد الصالحين.

أما الذي استجد في هذا الزمان فهو عمل تجاري، فالتجار وأصحاب الألعاب كالمراجيح وغيرها عرفوا أنه يوجد ميلاد لأحد من الصالحين في مكان ما، فيذهبون مسرعين لكي يأخذوا المكاسب الدنيوية، فما دخل المولد بهذه المواقف؟! وصاحب الليلة ما دخله بهذا الشأن؟! هذه تحتاج إلى الجهات الأمنية والمدنية فتجعل لهم مكانًا خاص بعيداً عن ساحة المولد.

والبائعين عندهم بضاعة يريدون عرضها لكي يكسبوا فيها، والتجارة حلال، فلا شيء فيها، وهو لا يفرض على أحد أن يشتري.

فما المحرم في هذا الأمر؟ لو كان هناك ملاهي يدار فيها ما يغضب الله، وينافي شرع الله، وهذه التي يجب أن يقف الكل أمامها، وينهى عن حدوثها.

لكن التجارة، كأن يبيع طعام، أو يبيع شاي، أو يبيع حمص، أو يبيع حلويات،

فما دخل هذا بالمولد؟! هو ذاهب لكي يتكسب وينتفع، والشرع لا يجرمه ولا يجرمه ما دام هو يبيع بضاعة حلال، ويرجو الرزق الحلال.

اختلط الأمر على بعض الناس لذين يعترضون على هذه الأمور، وجعلوا الموالد عبارة عن ملاهي وبضاعة وتجارة، ونسوا الأساس الذي تكلمنا عنه والذي نحتفل به.

لكن الحمد لله أنا أرى في السنوات الأخيرة هناك صحوة عظيمة، فكثير من موالد الصالحين تحدث بالصورة التي تكلمنا عنها، فمثلاً الإحتفال بمولد الإمام الدكتور عبد الحليم محمود في بلبس في شهر يونيو يحدث بهذه الكيفية، ومولد الشيخ محمد ذكي إبراهيم في الدراسة بالقاهرة يحدث بنفس الكيفية، ومولد الشيخ عبد الفتاح القاضي في شبلنجة بينها يحدث بهذه الكيفية، وموالت الصعيد العظمى مثل الشيخ أحمد رضوان، والشيخ علي النوي، والسادة الأدارسة وغيرهم كلها بنفس الكيفية.

فأصبحت الأمور - والحمد لله - ترجع إلى مسارها وصوابها وهي الأصل الذي من أجلها فعلت، لجمع الناس على طاعة الله، وتعريفهم بأحوال الصالحين والصادقين من عباد الله، ومحاولة الأخذ بأيديهم لتقريبهم إلى الله ﷻ.

كانت الموالد في الزمن الفاضل - وسيرجع إن شاء الله هي الموسم الأكبر لتوبة البطالين والبلطجية والمغتصبين وغيرهم، فكان يؤنبه ضميره فيقول: أنا أريد أن أتوب، فيقولون له: اذهب إلى المولد الفلاني وبه الشيخ فلان والشيخ فلان فتب على أيديهم، فكانت أكبر ثمرة تخرج في الموالد التوبة على العصاة والمذنبين والبلطجية وغيرهم في هذه الموالد، وينتظم بعد ذلك في طاعة الله وذكر الله على الدوام، ألا تكفي هذه الفائدة؟!.

ففوائد الموالد الشرعية التي نتحدث عنها لا نستطيع عدّها ولا حصرها، أما الأمور الأخرى فهي تحتاج إلى تعاون من جميع الجهات، الطرق الصوفية مع وزارة الأوقاف مع الجهات الأمنية ومع مجلس المدينة لإبعاد المناهي التي فيها ما يغضب الله، وتنسيق الأسواق التجارية وجعلها تجارة رائجة حلال ترضي الله جل في علاه.



١٢- الشافعي والصوفية

ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله وأرضاه أنه قال: (صحبَت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتيه: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلنك بالباطل) فيحتج بعض منكري الصوفية بهذه العبارة، بأن الإمام الشافعي لم يجد إلا هاتين الكلمتين في التصوف، فما قول فضيلتكم؟



نحن لا نريد أن ندخل في الجدل، فأهل الجدل يحاول أحدهم أن يحرف ولو كلمة واحدة لكي يؤيد حجته، فالكلمة التي وردت عن الإمام الشافعي في الروايات الصحيحة في الكتب المعتمدة ليست هكذا، قال: (صحبَت الصوفية سننهم فتعلمت منهم كلمتيه) هم حرفوها إلى: (فما تعلمت منهم إلا كلمتين) أي لم يستطع أن يتعلم شيء آخر.

كلمة (ما) غيرت المعنى، فالذي وضعها يريد أن يؤيد رأيه معترضاً على هؤلاء القوم وهم الصوفية.

ومن هم الصوفية؟ هم المسلمون، فكل مسلم لا بد أن يكون صوفي كيف؟ أنا لي عمل بظاهر الجسم في أي عبادة لله، كالصلاة، ركوع سجود، تلاوة، تسبيح، تحميد... فكل هذا بالظاهر، ويوجد عمل باطن لا تصح الصلاة إلا به، خشوع، حضور، خشية، خوف من الله... أليس هذا أساس قبول الصلاة؟ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿المؤمنون﴾ وهذا المعنى الباطني هو نتيجة التصوف، ونتيجة الصفاء، والمعنى الظاهر شريعة.

فكل مسلم ظاهره شرع، وباطنه صفاء وحق وحقيقة، وكل مسلم بهذه الكيفية، فلماذا نعترض على بعضنا؟! فهناك من يتغلب عليه عمل الظاهر فيكون كل هم، لكن



لا يصلح بدون الباطن، وهناك من يتغلب عليه عمل الباطن فيكون كل همه خشية الله، ومراقبة الله، لكن لا يتم صلاحه إلا بالعمل الظاهر، لكي يكون قائماً بشرع الله، فلا بد من الإثنين مع بعض، فالإمام الشافعي قال:

(صحبَت الصوفية سننِيه فتعلمت منهم كلمتيه: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلك بالباطل)

ومعنى: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) أي اجعل الوقت كله في طاعة من يقول للشيء كن فيكون، ولهذا فإننا نقول دائماً للأحباب: لا بد أن يكون وقتك دائماً في شيء من إثنين إما في عمل نافع لك ولأهلك في دنياك، وإما في عمل رافع لك عند الله في أخراك، ولا يوجد طريق آخر غير هذا، فطريق اللهو واللعب ليس طريقنا.

فوقتك إما في عمل لك ولأولادك نافع لهم في الدنيا، لكي لا تمد يدك إلى الناس، وتغنيهم عن سؤال اللئيم، وإما عمل رافع لك، إن كان شكر، تلاوة قرآن، صلاة، تواد، تراحم، صلة أرحام، وغيرها من الأعمال التي قررها الحبيب العدنان ﷺ، فهذا هو كلام الإمام الشافعي.

الأمر الهام الثاني قال: (ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلك بالباطل) فلو عمل الإنسان بهذه الحكمة، واستقام عليها فوراً يكون من الصالحين، أي لا بد أن تأخذ بالك من نفسك، وأهم شيء تبحث عنه نفسك، وهذا الذي قاله النبي ﷺ:

{ أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ }^٩

فهي التي توسوس، وهي التي تأتي لك بالهواجس والوسوس، فماذا أفعل؟ تعرضها على شرع الله فلا تتبعها وتسير على هواك، لكن سر على ما يريد نبيك ومولاك ﷺ... فهذه النفس التي تحتاج للجهد، ولذلك عندما كان حضرة النبي راجع من غزو الروم في تبوك قال:

٩ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا
الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }^{١٠}

فهذا هو الجهاد الأكبر الذي يحتاجه الإنسان، فالإمام الشافعي كان حكيماً،
ولذلك كان شعره كله حكمة، فلخصّ الذي رآه كله في كلمتين حكيمتين جامعيتين
مانعتين، لو سرنا على هداهم سنصل إلى المنى إن شاء الله..، لكن العبارة التي ذكرت
خوّرت لتلائم غرض في نفس كاتبها هداه الله جل في علاه.



١٣- الحرب من الله على أعداء أوليائه

يقول الله جل في علاه في حديثه القدسي: { مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ
بِالْحَرْبِ }^{١١} فكيف يحارب الله أعداء أوليائه؟



هذا أمر واضح في كتاب الله ﷻ، أولاً: المعادة ليست معناها الخلاف ولا
الاختلاف، لكن معناها أنه يعلن الحرب على هذا الولي، ومن هو الولي؟ كل مسلم من
المسلمين ولي لله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٥٥ المائدة) كل مسلم
ولي لله، ونقصد بذلك الولاية العامة وليست الولاية الخاصة.

فكل مسلم أو مؤمن يعلن عليه غيره الحرب، أي يكيد له، أو يدبر له الشرور، أو
يصنع له محاضر كيدية، أو أن يحرض الناس عليه ويشنع عليه بما ليس فيه، قال ﷺ:

{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةً بَاطِلٍ يُشِينُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ

١٠ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر رضي الله عنه
١١ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عن



يُذِيبُهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا { ١٢ }

لأنه كيف يشنع على أخيه بما ليس فيه؟!

حتى لو رأى فيه عيب يجب أن يستره، قال ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } { ١٣ }

ولو استمر فيه ينصحه سراً فيما بينه وبينه، فلا يفضحه على رؤوس الأشهاد.

فالذي يعلن الحرب ويتجراً على ذلك، فإن الله ﷻ يعلن عليه الحرب، وهذه مثل الحرب التي أعلنها الله على المنافقين في كتاب الله الذين عادوا سيدنا رسول الله، فهؤلاء أعلنوا الحرب عليه وإن كانوا ظاهراً يصلون معه ويحاربون معه ويجلسون معه، لكنهم كانوا يحاربوه، فمرة يشنعوا على زوجته الفاضلة، وهم يعلمون أنهم كاذبين، فهل هؤلاء يُتركوا؟! لا بد من حربهم، ومرة يجرضوا اليهود عليه، وهي خيانة عظمى، فما عقاب هؤلاء؟ انظر إلى عقاب الله: ﴿ فَأَعْقِبْتُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (٧٧ التوبة).

الناس البسطاء والسذج يعتقدون أن الذي يحارب أولياء الله يحدث له شيء مثل أن تنكسر رجله، أو يحدث حريق في منزله، أو يحدث له شيء ما، لكن هذه ابتلاءات لمن يجبه الله، فيريد أن يخلصه من الذنوب، لكن العقاب الصعب الذي ذكره الله عقاب قلبي: ﴿ فَأَعْقِبْتُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٧٧ التوبة) ليس عنده صدق في الإيمان، ويصاب بمرض البعد عن الله، يصاب بداء القسوة على خلق الله، ويصاب بداء الصدود عن طاعة الله وعن ذكر الله، ولذلك قال فيهم الله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُولَاءٍ ﴾ (النساء) يوجد صدود عنده عن ذكر الله ﷻ.

هذا عقاب الله لأعداء أولياء الله، الذين يعلن عليهم الحرب بمثل ما ذكرناه،

١٢ الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٣ سنن ابن ماجه ومسنده أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه



١٤- أضرحة الصالحين

ما الحكمة من عمل الأضرحة للأولياء والصالحين؟



الأضرحة هي في الأصل علامات وُضعت لتدل على من في هذه القبور، وأصلها أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما حضر دفن سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكان النبي يحبها فقال:

{ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ، ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي }^{١٤}

لأعرف قبر أخي عندما أزوره، ثم تطوّرت الأمور وتشابكت القبور، فبدأ الناس بدلاً من وضع الحجر يكتبون على الحجر، حتى لا يتوه، فهذا قبر فلان وهذا قبر فلان.

وهناك أناس رأوا أن هؤلاء الصالحين حياتهم فيها أسوة، وينبغي لمن بعدهم أن يدرس حياتهم ويتأسى بهم ليصل إلى ما وصلوا إليه، مثل أهل الكهف، الذين خرجوا وكانوا مؤمنين وكان في عصرهم الملك الموجود ملك ظالم، فكان يقتل كل من آمن بالله، فخرجوا، وكم كان عددهم؟ القرآن وضّح ذلك ولكن بطريقة لطيفة لا يدركها إلا ذو عقل وذواق: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ (٢٢ الكهف) هذا وذاك رجماً بالغيب، فكل هذا تخمين: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ هذه أثبتها القرآن: ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾



ولذلك سيدنا عبد الله بن عباس قال: أنا من القليل، فهم سبعة وأسماءهم فلان وفلان وفلان وذكر أسماء السبعة، فالآية فيها وضوح، فالأولين رجماً بالغيب، فلماذا تقف عندهم؟! والتالين أثبتهم عالم الغيب والشهادة ﷻ.

خرج السبعة ومشى خلفهم كلب، والكلب لأنه مشى خلفهم أخذ حكمهم، ودخلوا الغار والكلب وقف على باب الغار، أماتهم الله وأمات الكلب معهم، ومكثوا في الغار ثلاثمائة سنة شمسية، تعادل ثلاث مائة سنة وتسعة قمرية، وأيضاً هذه وضحاها الله: ﴿ وَلِئْتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾ (٢٥ الكهف) ثم أحياهم الله وأحيا الكلب معهم، ولذلك قال الرجل الصالح:

لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ فكيف لا أفوز بحب آل النبي

الكلب لما مشى خلف أهل الكهف أخذ حكمهم، ولما ناموا أنامه الله معهم، ولما أحياهم أحياه معهم، فمن يمشي خلف آل بيت النبي فماذا يكون حاله؟ يأخذ أيضاً نفس الحكم.

وطوال هذه السنوات - ولأنهم أحياء - حتى لا تأتيتهم قُرحة الفراش من طوال النوم، فكان يُهيئ الملائكة لتقلبهم: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ (١٨ الكهف) لأنهم لو ناموا على الظهر أو على الجنب مدة طويلة فسيصابوا بقُرحة الفراش، فانظر إلى الحكمة الإلهية.

بعد هذه السنين استيقظوا، ولا يعرفون أن الملك مات، أو أنهم ناموا ثلاثمائة سنة، وظنوا أنهم ناموا نومة طويلة يوماً أو بعض يوم، أو أطول من اليوم، وجاعوا فقالوا: ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ (١٩ الكهف) والورق هي الفضة، وكانت العملة عملة فضية، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة لي جلب لهم طعامهم، والعلة هنا لينكشف أمرهم، فظفر أهل المدينة للعملة فوجدوها للملك فلان الفلاني، وكان الملك الموجود ملكاً صالحاً، غير الملك الظالم الذي كان في عصرهم.

فضرب الله ﷻ المثل لأهل زمانهم، بأن الله سيُحي الموتى، كما أحياهم بعد ثلاثمائة سنة، فعندما رأوا العملة القديمة قالوا: هؤلاء السبعة الذين سمعنا عنهم أنهم هاجروا وفروا من الملك الظالم، ولم يعرف أحدٌ مكانهم، مع أنهم في مملكته، لكن إرادة الله أعمت جُنده عن المكان الذي هم فيه، فبحثوا هنا وهناك ويمرون على الموقع ولكن لا أحدٌ منهم فكَّر أن يدخل هذا الكهف، لأنها عناية الله:

وَإِذَا الْعَنَافَةُ لَاحِظَتَكَ عِيُونَهَا نَمُّ فَالْمَخَافُوفُ كُلُّهُمْ نَأْمَانٌ

فذهبوا إلى هناك، وبمجرد أن وصلوا وتعرفوا على الملك أماتهم الله ﷻ الموتة الحقيقية، وانتهت حياتهم، فاحتاروا ماذا نفعل هؤلاء؟ ﴿ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ وهم الملك والأكابر، فقالوا: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (٢١ الكهف) لماذا؟ ليكونوا علامة باقية على قدرة الله، ولمن أراد أن يتمسك بالعقيدة رغم ظلم الظالمين واضطهاد المضطهدين، وأن الله يحميهم من ظلمهم واضطهادهم.

فأخذ القوم من هذه الآية القرآنية أنه إن كان هناك رجلٌ قدَّم للمسلمين في عصره وزمانه منافع لا تُعدُّ وأشياء لا تُحصى من فضل الله وإكرام الله، ولتعضيد دين الله ونشر السنة السمحاء التي أتى بها رسول الله، ونحن نريد أن نجعل الذكرى لنذكره ونتأسى به لنا ولمن بعدنا، فماذا نفعل له؟ نعمل له ضريحاً، يعني مكاناً على هيئة مسجد صغير وهي علامة فوق قبره ليعرف الناس أن فلان مدفون في هذا المكان.

من هو؟ ليس العوام، ولكن لأنه رجلٌ كان له وضعه، وكان له شأنه، وكان له جهاده، وكان له فتحه، فهذا رجلٌ يجب على الناس أن يبحثوا عن أفعاله وعن أحواله ليتأسوا به ويحتذوا خُذوه، وينالوا الفتح كما ناله، وهذا سر هذا الأمر بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات.

هل لهذا شاهدٌ في عصر النبوة؟ لأنه قد يقول قائل أن هذا كان قبل حضرة النبي، لكن سيدنا رسول الله ﷺ لما وَقَّع صلح الحديبية مع أهل مكة واتفق معهم أن من أسلم وجاءه يردُّه إليهم، ومن كفر من عنده وذهب إليهم لا يردُّه إليهم.

وبعض الصحابة ومنهم سيدنا عمر وجد أن هذا الشرط ظالمٌ، لكن حضرة النبي كان يجد فيه مغام، لماذا؟ لأن من ترك الإسلام وذهب إليهم لا نريده، لأنه لو بقي فسيكون منافقاً، ونحن نريد أن نُبعد المنافقين كلهم، ومن كان يريد الإسلام وأعدناه إليهم فسيجعل الله له مخرجاً: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢٠الطلاق).

وهم أثناء كتابة الصلح وكان النائب عن أهل مكة في كتابة الصلح سهيل بن عمر، فجاء ابنه وكان لا يزال مقيداً ومسلماً، فقال سهيل: هذا أول رجل، فقالوا له: لم نكتب الشرط بعد، قال: لا، وردَّ ابنه، وكان اسمه أبو جندل بن سهيل وقال: يا رسول الله أتركوني أذهب للكفار بعد أن فعلوا بي كذا وكذا؟ قال: { يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ جَاعِلًا لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا }^{١٠}

بعد فترة أسلم رجل اسمه أبو بصير، وذهب إلى المدينة، فأرسلوا خلفه من يُعيده من المدينة، وكانا رجلين، فسيدنا رسول الله سلّمه لهم، وحملوا الرجل على جمل، ونزلوا يستريحون في الطريق، وكان مع أحدهم سيف، فقال له أبو بصير: أنا أرى سيفك هذا سيف جيد فأريد أن أراه، فناوله الرجل السيف فضربه به وقتله، وهرب الآخر، وذهب أبو بصير إلى مكان على ساحل البحر الأحمر وبني لنفسه سكناً هناك، وكان كل من يأتي من المدينة يذهب إليه ويعيش معه حتى صاروا ثلاثمائة رجل.

فكانت كل تجارة قادمة من مكة للشام يأخذوها، والتجارة الواردة من الشام إلى مكة يأخذوها، إلى أن أرسل أهل مكة إلى رسول الله وقالوا له: يا مُحمَّد تنازلنا عن هذا الشرط وخذ هؤلاء القوم يعيشوا معك في المدينة!! فانظروا إلى بصيرة النبوة.

في هذه الفترة كان أبو بصير قد مات، وهذا الكلام موجود في كتب السيرة المعتمدة، فماذا يفعلون؟ بنوا له مسجداً ودفنوه فيه، وجعلوا جزءاً منه للصلاة فيه، فلم يُنكر عليهم النبي ذلك، ولم يأمر بهدم هذا المسجد، ولم يأمر بهدم هذا القبر ولا بهدم هذا الضريح، فكان هذا إقراراً من رسول الله ﷺ بهذا الصنيع، وهي الحجة التي أخذها السلف الصالح في هذا الأمر.. بعد ذلك جاء الخوارج بوجوب هدم هذه الأضرحة،

وقالوا هذا تشبه بالمشركين، لكن الخوارج مشكلتهم أن آيات القرآن التي نزلت في الكفار والمشركين - والعياذ بالله - يطبقوها على المسلمين، وهي مصيبة المصائب!! لكن هؤلاء شيء وهؤلاء شيء آخر.

فهذه الأدلة السديدة على أضرحة الصالحين، وعلى المساجد التي بها أضرحة للصالحين، ولذلك اتفق أهل المذاهب الفقهية المعتمدة أجمعين ما عدا الخوارج وجزء من الوهابية على أنه لا حرمة للصلاة في أضرحة، ولا المساجد التي فيها أضرحة، ولا زيارة الأضرحة لأنها قبور، وكل ما عليها علامة، بدلاً من الحجر صنعوها من الخشب، أو جعلوها قبة، وكلها علامة على أن هنا فلان العبد مقبور، ونعتقد لأن عمله كان صالحاً فمكانه روضة من رياض الجنة.



١٥- آداب زيارة الأضرحة

ما أدب المؤمن عند زيارة الولي في ضريحه؟



آداب المؤمن عند زيارة الأضرحة هي نفس الآداب عند زيارة القبور، يُلقى السلام للقبور كلها، قال ﷺ:

{ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكَرَةٌ }^{١٦}

ماذا نقول؟ كما قال ﷺ عندما أتى المقبرة:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ }^{١٧}

والأدعية المتواترة كثيرة في هذا المجال، فنلقي عليهم السلام، ثم ندعوا الله ﷻ،

١٦ سنن أبي داود ومسلم عن بريدة بن الحبيب رضي الله عنه
١٧ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه



والدعاء في هذه المواضع إذا كان أهلها من المباركين دعاءً مُجَابٌ ومستجاب.

وإذا شئنا قرأنا ما تيسر من القرآن، لقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه الإمام عليّ عليه السلام وكرّم الله وجهه:

{ مَنْ مَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ وَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ وَهَبَ أَجْرَهُ لِلْأَمْوَاتِ

أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ الْأَمْوَاتِ }^{١٨}

ولذلك عندما ندخل ضريح أي ولي من الأولياء، أو نزور حتى المقابر العامة نقرأ: (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة كما ورد في الحديث، ونهب ثوابها لهذا الولي، وكل ولي، وكل من يتبع أمة النبي، ويذهب ثوابها للكل، وكل واحد منهم له حساب خاص به، فلا تُقسّم عليهم، وكل يأخذ من فضل الله بحساب خاص به.

وندعوا الله ﷻ، ونقرأ الفاتحة على أي شيء نريد تحقيقه من الله، والفتحة لماذا؟ لأن الله قال ذلك في الحديث القدسي:

{ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَشْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }^{١٩}

فعندما أقرأ الفاتحة فإن الله يلي كل ما يطلبه العبد، وهذا سبب قراءة الفاتحة، وهذا يرجع إلى النية، فأقرأ الفاتحة إن كان لزوجتي أو لأولادي أو لأحبابي أو لأحد من المؤمنين، لأن الله يقول: (هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) فكل ما يطلبه اعطوه له، وهذا

١٨ التدوين في أخبار قزوين للرافعي وفضائل سورة الإخلاص للخلال
١٩ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه



الكلام للملائكة الموكلين بقضاء مصالح الخلق بأمر رب العالمين ﷻ.



١٦- سمات المنهج الصوفي المعتدل

ما سمات المنهج الصوفي المعتدل الذي يجب على المسلم أن يبحث عنه؟



المنهج الصوفي هو المنهج الذي يوصل الإنسان إلى أن يعيش في حالة صفاء بينه وبين من حوله من خلق الله، وبينه وبين مولاه.

بينه وبين خلق الله؛ أن يجاهد نفسه إلى أن ينزع من نفسه الحقد والحسد والبغض والكراهة والأثرة والأنانية والشر لجميع خلق الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَدِّمِينَ ﴾ (٤٧ الحجر) فإذا تحرك فيه شيء من هذا يمارس الجهاد ويواصل الجهاد لأنه عرف أنه لم يصل بعد إلى المنهج الأصح في هذا الواد.

وبينه وبين الله؛ أن ينفذ التعليمات التي طالبنا بها الله في كتاب الله على هدي سنة رسول الله، فعندما يؤديها يشعر بارتياح البال، وراحة في النفس، وسرور في الصدر، لأنه أرضى الله، وعمل بما طالبه به مولاه، ويطمع أن يدخل في قول الله: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٢٢ المجادلة).

فهذا باختصار المنهج الصوفي، فيكون الإنسان في صفاء فيما بينه وبين الخلق، وفي تمام الرضا بما أداه من أعمال كلفه بها الله ﷻ على منهج الحبيب المختار، وبذلك يدخل في قول الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء).



١٧- مصطلح النصوص

لماذا لم نسمع عن كلمة التصوف في عصر رسول الله وصحابته؟



كل العلوم الإسلامية أخذت أسمائها بعد عصر الخلفاء الراشدين بفترة، لأن أيام حضرة النبي لم يكن هناك إلا القرآن والسنة، وبعد ذلك جاءت العلوم التي تخدم القرآن والسنة.

سيدنا علي وجد الناس في عصره بدأوا يحرفون في نسخ القرآن، فجاء برجل اسمه أبو الأسود الدؤلي وقال له: أنا أريد أن تحاول أن تضع نَقْطاً للقرآن، لأن القرآن كان بغير نقط، فنَقَطَ القرآن، ولم يزل الناس يحرفون، فقال له: شَكَّلَ القرآن، فشكَّلَ القرآن، ولا زال الناس يحرفون، فقال له: اعمل لي مبادئ لحفظ القرآن حتى يتعلم الناس القرآن على الوجه الصحيح، فعمل علم أسمائه: (علم النحو) فهل علم النحو كان موجوداً أيام حضرة النبي؟ لا، لكن تم عمله خدمةً لكتاب الله ﷻ.

وبدأ الصحابة يحكون ما حضروه مع حضرة النبي، وما رأوه من حضرة النبي، وبدأ بعض العلماء بجمع هذا، وأسموه (علم الحديث) ولم يكن في أيام حضرة النبي.

وبعضهم جمع حياته وسيرته وسموها: (السيرة النبوية، وهذا أيضاً علمٌ أُستحدث بعد حضرة النبي).

وأراد بعض العلماء أن يُظهرُوا الجمال الذي في القرآن، فقالوا: إن فيه ما شاء الله تشبيهات عظيمة، وفيه كنايات قديرة، وفيه استعارات تحتاج إلى وقفة عندها، فأَسَّسُوا علم جديد اسمه: (علم البلاغة) ولم يكن موجوداً أيام حضرة النبي، ولكن الهدف منه خدمة القرآن.

وبدأ بعض القراء الذين يحفظون القرآن الكريم، وسمعوا من حضرة النبي أن القرآن



نزل على سبعة أحرف أي سبع قراءات، فبدأوا يتعلمون ويعلمون هذه القراءات وأوصلوها لسبعة قراءات، ثم أوصلوها لأربعة عشر قراءة، لكن المعتمد منهم السبعة فاسموها: (القراءات السبعة) فهل كانت موجودة أيام حضرة النبي؟ كانت موجودة كقراءة، ولكن كعلم لم تكن موجودة.

فكل العلوم التي تخدم كتاب الله، والتي تخدم سنة رسول الله ظهرت في القرن الثاني والثالث الهجري بعد انتقال رسول الله ﷺ، وبعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين.

وهكذا مشى على ذلك علم التصوف، فالصوفية الذين مشوا على منهج رسول الله اختاروا أولاً إسماً نبوياً وهو (الزهد) أي الناس الزاهدين في الدنيا وعدم التطاول فيها، والتكالب عليها.

بعد ذلك قالوا: نريد أن نكون في حالة الصفاء، والإنسان عندما يعاشر غير الأتقياء يكون عنده شيء من الجفاء، وشيء من الغلظة من فلان، وشيء من الحقد على فلان، وشيء من الحسد على فلان، فنحن نريد الصفاء فوضعوا: علماً سموه: (علم التصوف) فأصبح شأنه شأن علم النحو، شأنه شأن علم البلاغة، وعلم السيرة، وكلها علوم تخدم كتاب الله، وتبين سنة رسول الله، وكلها ظهرت بعد العصر الأول بعد الصحابة والتابعين.

فمن يسأل: لماذا لم يكن التصوف موجوداً أيام حضرة النبي؟ نقول له: ولماذا النحو لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا الحديث لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا علم التفسير لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا علم البلاغة كذلك؟! هل كان هناك علم من هذه العلوم أيام حضرة النبي؟ لا لماذا؟ لأنها وجدت بعد ذلك لخدمة كتاب الله وسنة رسول الله ودين الله ﷺ.



١٨- الصوفي والدعي



كيف نفرق بين الصوفي الحق ومدعي التصوف؟



الصوفي الحق هو السائر على قول الله: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ (٣١ آل عمران) يتابع رسول الله ﷺ في ظاهره وفي باطنه على حسب استطاعته، ويتجمل بأخلاقه ويتكامل بمقام العبودية الذي فتحه عليه رب البرية:

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ (١١ الإسراء)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ (١١ الفرقان)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (١١ الكهف).

والعبد لا يرى لنفسه حالاً ولا قالاً ولا عملاً ولا أملاً إلا بفضل من المتفضل ﷺ، والعبد لا يحب الظهور، ولا يحب أن تكون له منزلة عند الخلق، لأن كل ما يطلبه أن تكون له منزلة كريمة عند الحق ﷺ، يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }^{٢٠}

إذاً علامة الصوفي الصادق:

- أنه لا يريد شهرة ولا منزلة بين الناس.
- ويتجمل بالعبودية تشبهاً بسيد الناس ﷺ في التواضع وفي المسكنة وفي الإنكسار والذل لله وليس خلق الله، والتطامن بين عباد الله، والإخبات الدائم لمولاه.
- ويحسن متابعة رسول الله ﷺ في كل أحواله؛ في منامه وفي يقظته وفي سره وفي علنه وفي أكله وفي شربه وفي نومه، كأنه صورة مصغرة لسيدنا رسول الله ﷺ على قدره.



أما المدعي فيحب الظهور، ويريد أن يجتمع حوله الخلق، ويظهر بينهم أنه شيخ، وأن له عندهم وجاهة، وأن له منزلة، ولذلك يحب الثناء عليه، ويحب أن يجتمع الخلق عليه، ويحب أن يمدحه الخلق ويطلبوا منه الدعاء، وقد يريد منهم شيئاً دنيوياً فيعينوه بما معهم من مال، أو طيبات الحياة الدنيا وماشابه ذلك، وقد يحفظ أقوال الصالحين ويريد المكانة له عند الآخرين، بينما هو لا يطبقها على نفسه، ولا في حياته، ... فهناك فرق بين من يريد الحق، ومن يريد الخلق، فالصوفي يريد الحق والمدعي يريد المنزلة عند الخلق، نسأل الله الحفظ والسلامة.



١٩- حال النصف الآن

لماذا وصل التصوف لهذه الحالة؟



من يسأل هذا السؤال يلبس نظارةً سوداء، فلا يرى أمامه إلا الحالة السوداء فقط، لكننا نرى التصوف في هذا الزمان في أبهى أحواله وفي أرقى ازدهاره.

فالصوفية في الزمن الماضي كانت مظهرية، بزيّ معين، أو بعمامة معينة، أو براهة معينة، أو بطقوس معينة، أو بشكليات معينة، فالناس كانوا يظنون أن التصوف من أجل هذه الشكليات!!! ولكن أصبح التصوف في هذا الزمان جوهرًا ومخبرًا وليس مظهر، فكم من رجالٍ لله إذا سأل الرجل منهم مولاه لبّاه، وهو يلبس زياً مدنياً شيكاً كأي جنتلمان في هذا الوجود، ولا يعرف ظاهره من باطنه إلا من أعطاه الله نوراً في باطنه ينظر بنور الله، وهؤلاء أغلبية في هذا الزمان.

فليس التصوف قاصراً على من يتزياً ظاهرياً بهيئة الحبيب، ويضع العدبة خلف رأسه، ويلتحي فقط، لأن الله قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ﴾ (١٣ الحجرات)





والتقوى محلها القلوب.

فأصبح الصوفية في هذا الزمان هم الأسوياء الأتقياء الأنقياء الأصفياء الذين لا يرى الخلق منهم إلا أنهم أناس عاديون، مع أن الله يرفع العذاب عنهم وعن حولهم إذا نظر إلى قلوبهم، فلا يجد فيها إلا الصدق والإخلاص والنقاء لرب العالمين ﷻ.

فارتقى الصوفية في هذا الزمان إلى ماكان عليه في عصر النبي، فأصبح الشاهد ليس عليهم ظواهر أحوالهم، ولا هيئات ملابسهم، وإنما الذي يريد أن يعرفهم لا بد أن يكون له قلب يتعرف به على أهل القلوب، ولا بد أن يؤتية الله نوراً ليرى بهذا النور الموهوب الذي وهبه لهم علام الغيوب.

وبذلك انكشف المدّعين في عصرنا هذا، فسيبيل المدعين ينهار لأن الناس أصبحت تنظر إلى الجواهر وتنظر إلى العطاءات الإلهية، وهي عطاءات كلها قلبية.

فالحمد لله الحال العظيم الذي أصبحنا فيه في هذا الزمان، وأهله هم الذين يقول فيهم الإمام علي عليه السلام: (هم الأقلون عدداً الأثرون مدداً، قلوبهم مخزونة، وأسرارهم مكتونة، وعلمهم مصونة، وأنوارهم مخزونة).

هؤلاء القوم ما أكثرهم في هذا الزمان ولكن لا يطلع عليهم إلا من أكرمه بكرمه حضرة الرحمن ﷻ، يقول فيهم الإمام أبو العزائم عليه السلام:

وليس الكل مطلوباً لهذا	ولكن خُصَّ لبعض أفراد قليلة
فداري أهل عصرك واجتنبهم	وواصلهم على قدر الضرورة
فمنكرهم يُسيئ ومن يُسلم	فقرّبّه ولا تأمن شروره
ومن طلبتهم عين العناية	يرونك بعين أنوار السريرة



٢٠- سر الهجوع على النصوص والصوفية



اشارة الجارفين

الباب الرابع (٢٠١) التصوف والصوفية

لماذا يكثر دائماً الهجوم على التصوف والصوفية؟

هذه سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فإن الله ﷻ دائماً وأبداً جعل الإيمان وأهل الإيمان في ابتلاءٍ طوال حياتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿لِمَاذَا يَا رَبِّ؟﴾ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ (العنكبوت) سئل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟، قَالَ: {الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ} ٢١

فكون هؤلاء القوم هم أشد الناس بلاءً دليل على أنهم أشد الناس قرباً من الصديقين والأنبياء كما أخبر سيد الأنبياء ﷺ.

فالصوفية لا يرجون إلا الله، ولا يطلبون إلا رضاه، ولا يطلبون من الخلق قليلاً ولا كثيراً لأنهم مبتغاهم وجه الله ... لكن هناك في كل زمان ومكان من يطلبون المنزلة عند الخلق، ويطلبون الظهور بين الناس، وهؤلاء يحسدون الصوفية على حب الناس لهم، وإقبال الناس عليهم، ومن هنا يقعون فيهم، ويحاولون تشويه صورتهم لأنهم يظنون أنهم ينافسونهم.

يعني الواحد منهم يذهب ليعمل درساً في المسجد فلا يجد أحداً، فيقول في نفسه لماذا هؤلاء القوم عندما يأتون إلى المسجد يمتلئ عن آخره؟! هو يظن أن معه علوم الأولين والآخرين، وهو لا يوجد معه غير العلم الظاهر، ولا يعرف أن من يجمعهم هو الجامع ﷻ، فهل أحدٌ منا يجمع أحداً؟ فليس الذي يجمع العلم، ولكن الذي يجمع هو الجامع عز وجل، وهو الذي يجمع هذه القلوب ويحببها في سماع هذه العلوم، لكن هل يوجد من يستطيع أن يجمع الخلق عليه؟ لا: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

٢١ سنن ابن ماجه والدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

فلو عرفوا هذه الحقيقة ما حدث بينهم صدام ولا جدال ولا مناظرة ولا شيء من هذا القبيل، فيروا محبة الناس لهؤلاء القوم، فمن يقبل أيديهم، ومن يسألهم الدعاء، ومن يسارع إلى خدمتهم.

لكن هم يظنون أن معهم العلم الظاهر، وهم الورثة الحقيقيون في نظر أنفسهم للأنبياء، وهم يريدون أن يكونوا أولى بهذه المنزلة، فتقبل الناس أيديهم، وتطلب منهم الدعاء، ويسارعون إلى خدمتهم، ولأنهم لا يجدون صدقاً لهذا فيحدث في القلوب شيء من الحقد والحسد، والحسد داء العلماء في كل زمان ومكان، وقال فيه الله عز شأنه: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ فهؤلاء هم الناس في نظر الله: ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٥٤ النساء) فلم يقل من مال ولا جاه ولا منصب، ولكن من الفضل الذي أعطاه لهم الله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١ الحديد).

فهم يحسدون الناس على فضل الله لهم، ويزيدهم حقداً عندما يرون زهدهم في الدنيا وما فيها، ورغبتهم عن الملوك والزعماء، مع تسخير الله لهم الملوك والزعماء، فيزيد عندهم الحقد والحسد لتنافسهم معهم، مع أن الصادقين والصالحين لا مكان لهذا الأمر في قلوبهم أبداً، لأنهم مشغولون عنهم بالله، وليسوا مشغولين بالخلق لا من قليل ولا من كثير فهذا هو السبب الرئيسي بين أهل الظاهر وأهل الباطن، وهو اجتماع الخلق بأمر الحق على أهل الحق، يجعل طلاب الخلق وطلاب المنزلة عند الخلق يحدث بينهم حسد لهم، ويحاولون أن يشوهوا صورتهم ليسقطوا منزلتهم، ويحاولوا أن يشوهوا أفكارهم وآراءهم ليبعدوا الناس عنهم، ويجعلونهم لا يمشون معهم أو حولهم.

فهذه كل القضية في أمر الصوفية، والأدلة في هذا الموضوع لو استعرضنا صفحات الصالحين تحتاج إلى دوواين من حكايات الصالحين في هذا المجال.



٢١- الصوفية والحياة السياسية



هل للتصوف دور في الحياة السياسية المعاصرة؟

دور التصوف في الحياة السياسية أنه يدعو جميع الأحزاب وجميع الطوائف وجميع الفئات بأن يكونوا جميعاً لهم وجهة واحدة هي إرضاء الله، وصالح هذا البلد، وهذا الوطن الذي يعيشون فيه.

هذه الوجهة إذا توحدت هل سيكون هناك خلاف بين حزب وحزب؟! أو بين طائفة وطائفة؟! ثم هو يدرب أولاده وأحبابه على الرغبة في العمل لله، والزهد في المناصب الفانية الدنيوية، وهذا هو المنهج الذي اتبعه الحبيب، وقال في شأنه ﷺ: { إِنَّا لَأُنُوتِي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ }^{٢٢}

وأهل الأحزاب يطلبون المناصب أو المكاسب كما نرى، أو يريدون أن يمسكون الحكم، وهذه الخلافات هي التي ضيعت البلاد والعباد، لكن لو مشى الناس على هذا المنهج القويم، واستطعنا أن نربي فيهم هذه المبادئ الإلهية، وأن نسعى لإرضاء الله، ونسعى لإسعاد من نعيش بينهم من خلق الله، ولا نرجوا من ذلك منصباً ولا مكسباً إلا وجه الله .. إذا فعلنا ذلك تحققت كل الآمال لجميع أهل الإسلام في أي زمان ومكان وما الخلافات بين المسلمين في أي دولة حولنا إلا بسبب الرياسة، فالخلافات في فلسطين بين غزة وبين الضفة سببها الرياسة، والخلافات التي في الصومال سببها الرياسة، والخلافات التي في ليبيا سببها الرياسة، لكن لو صاروا على المنهج الصوفي الإسلامي سيزهدون في الرياسة، ويزهدون في المناصب، ويزهدون في المكاسب، ويريدون المكاسب التي تعم على الكل وليس لهم فقط، وهذا هو أساس الحياة السياسية السليمة في أي زمان ومكان.

٢٢- الصوفية ولبس الصوف

من معاني التصوف لبس الصوف أو الحشن هل يجوز ذلك في هذا العصر؟

ما المانع أن ألبس صوف هيلد من انجلترا؟! أليس بصوف؟! نحن نأتي بالصوف من الغنم، ونغزله ونلبسه، والإنجليز يعالجوه بمواد كيماوية ويصنعوا منه ملابس نظيفة وعظيمة ونلبسه، أيوجد في ذلك شيء؟! لا ... كلنا نلبس في الشتاء صوف، فالذي يلبس بروفل صوف، والذي يلبس جلباباً من الصوف، والذي يلبس بدلة من الصوف .. كلنا نلبس الصوف ليدفئنا، فهل ذلك يتنافى مع دين أو مع تصوف؟!.

لكن ما الذي يتنافى مع الدين؟ لبس ملابس ملفتة للنظر، فهذا الشيء الذي نحاربه، كأن تجد شخصاً أتى بجوال وخاطه ولبسه، لكي يلتفت له كل من يراه في الطريق، أو تجد شخصاً يمسك بسيف خشب، أو يلبس زعبوط، أو يلبس طربوش .. ما هذا؟ يريد أن يفعل أي شيء ملفت للنظر، وهذا الذي نلغيه، فنحن لا نفعل هذا لكي لا يكون هناك لفت للنظر، ولا نتشبه بمؤلاء الذين نحاربه، أهم شيء ما بينك وبين مولاك، ما الذي يريده الله؟ قال ﷺ:

{ الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ }^{٢٣}

بعض الناس فهموا أنها الثياب الظاهرة، بينما هي للخلق، لكن الله لا ينظر إلى صوركم، فما الثياب التي ينظر لها الله؟ التي في القلب، ألبس القلب ثوب البياض والنقاء والصفاء، فلا يوجد به غل ولا غش ولا حقد ولا حسد ولا رياء ولا سمعه ولا أناية ولا حب ذات .. لا يوجد به إلا جمالات الله، وجماليات حبيب الله مصطفىاه.

وهذه التي نهتم بها، أما الصوف نحن كنا نلبسه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٣٢الأعراف).

إذاً الذي نحاربه الملابس الخاصة التي يجهزها بعض ناقصي العقول، أو المرضى

النفسيين للفت نظر المارين بهم أو الحاضرين، لكن ليس هذا طريق القوم، بل طريق القوم قال فيه ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }^{٢٤}

لا أحد يعرفه، تجهلهم بقاع الأرض، وتعرفهم طرق السماء، تعرفهم الملائكة، وأهل السماء العلى، وأهل السمو في المعاني، وأهل السمو في الفكر، وأهل السمو في المقاصد، وأهل السمو في المنزلة والمكانة والدرجة عند الله.



٢٣- النصف الحقيقي

كيف ننشر التصوف الحقيقي؟



نشر التصوف الحقيقي لا يحتاج لعبارات، ولا كلمات، ولا إذاعات، ولا كتابات، وإنما كما ورد في الأثر: (ابدأ بنفسك فإن استجاب فادع غيره).

يبدأ الإنسان بنفسه، ولا ينشغل إلا بنفسه، فإذا خلص نفسه واستجاب النفس فعليه أن يدخل في القول الآخر: (ابدأ بنفسك ثم أهلك ثم الأقرب فالأقرب)

إذا خلص نفسه فلا بد أن يأتي بأهله، لأن هذا هو مرآة أمام الناس، كيف يكلم الناس عن الحجاب وابنته أو امرأته تكشف شعرها وتخرج بهذه الكيفية؟! هل هذا سيسمع منه أحد؟! ... كيف يكلم الشباب عن الصلاة وهم يعرفون أن ابنه الكبير البالغ لا يصلي أبداً، ولا يدخل المسجد؟! هل ذلك يجوز؟! فلا بد أن أكون قدوة.

فإذا الإنسان بدأ بنفسه، وثنى بأهل بيته؛ سيحمله الله بالأحوال، فمن يراه يكون هناك تأثير روحاني من الله فيمن يراه، فيدعوه إلى الله ﷻ بغير كلام ولا حديث، يرون

٢٤ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سعد بن أبي وقاص



وسامته، ويرون زهده، ويرون ورعه، ويرون تقواه، ويقبل على هذا الخيال طلاب هذه المعاني العلية وهذه المقامات الرفيعة الرضوانية، ولذلك يقول لنا أبو العزائم رحمه الله:

وليس الكل مطلوباً لهذا ولكن خُصَّ لبعض أفراد قليلة
فدار أهل عصرك واجتنبهم وواصلهم على قدر الضرورة

ماذا يقصد بأهل العصر؟ هم المشغولون بالدنيا والمظاهر والشكليات، فليس لك شأن هؤلاء لأنهم سيعطلونك ويجربونك:

فمنكرهم سييء ومن يُسلم فقرببه ولا تأمن شروره

فمن الجائز أن نفسه ترجعه مرة أخرى فلا تعطي له كل شيء:

ومن طلبته أنوار العناية يراك بعين أنوار السريرة

فالذي عنده عناية ينساق لهذا الأمر بداعي العناية الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم رحمه الله:

داعي العناية من أزل ينادينا والمصطفى لصراط الله يهدينا

فالناس في هذا الزمان ملؤا من الخطباء والوعاظ وكثرة المتحدثين ...

فماذا يريدون؟ يريدون قدوة يقتدوا بها، رجلٌ يقول ما يفعل ويفعل ما يقول، ليس هناك تناقض بين قوله وفعله، مثلما يقول الرجل الحكيم: ((لا تقرأ القرآن فحسب ولكن اجعل نفسك آية من القرآن)) فتقرأ الناس فيك القرآن العظيم كلام رب العزة عز وجل هذه الطريقة الوحيدة التي اتبعها سيدنا رسول الله، ومن وليه من السلف الصالح إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين.



٢٤- نعدد الطرق الصوفية



يرى البعض أن كثرة الطرق الصوفية تؤدي إلى التشتت، فهل يمكن جمع الطرق كلها في طريقة واحدة؟

ليس هناك طرق صوفية لأنها كلها نهايتها الوصول إلى فضل الله وإلى إكرام الله، هو طريق واحد، لكن الاختلاف في تعدد الوسائل.

نحن نريد أن نذهب إلى القاهرة، فتجد شخص يريد أن يسافر في القطار، وشخص يريد أن يذهب في الأتوبيس، وشخص يريد أن يركب ميكروباص، وشخص يريد أن يأخذ سيارة خاصة، فأين الاختلاف هنا؟ الاختلاف في الوسيلة لكن الغاية واحدة، فغاية الطرق الصوفية جميعًا واحدة هي الوصول إلى رضوان الله جل في علاه، لكن الوسائل الإلهية التي بيّنها الله للحضرة المحمدية هي وسائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، لماذا؟ لأن ما يلائم هذا غير ما يلائم ذاك، فهناك من يصل بالذكر الكثير وهذه وسيلة، وهناك من يصل بتلاوة القرآن والعمل به وهذه وسيلة أخرى، وهناك من يصل بالإكثار من الصلاة على حضرة النبي ﷺ وهذه وسيلة أخرى، وهناك من يصل بالإكثار من الاستغفار، وهناك من يصل بخدمة الفقراء والمساكين والسعي في قضاء مصالحهم، وهناك من يصل بالسعي بين المتخاصمين من المسلمين، وهناك من يصل بنشر العلم بين المسلمين، وهناك من يصل بصلاة الليل كالتهجّد، وهناك من يصل بكثرة التودد للمؤمنين وجمعهم على الصالحين لكي يوجههم للمنهاج القويم .. كل فرد يختار له بابًا من الأبواب.

هذه الوسائل، هل يستطيع أحد أن يقوم بها كلها؟ لا، فكيف تكون طريق واحدة؟! فلو كانت طريقة واحدة فلن يكون لها إلا وسيلة واحدة.

فهل يجوز أن نقول لا أحد يسافر إلى القاهرة إلا عن طريق السكة الحديد؟ لا، لأن الوسائل متعددة، فنقول خذ القطار، فإن لم تجد خذ الأتوبيس، وإن لم تجد خذ الميكروباص، وإن لم تجد خذ عربة خاصة، وكل فرد يختار الوسيلة التي تناسبه، والتي



تلائمه، فالتعدد هنا في الوسائل لكن الغاية كلها واحدة وهي وجه الله ﷻ.

فلماذا ظهرت الطرق؟ كل فرد من مشايخ الصالحين وصل إلى الله ﷻ بوسيلة، وأنا أغرمت بهذه الوسيلة وأعجبتني، فأذهب إلى هذا الرجل لكي يعلمني هذه الوسيلة، ويشرف عليّ لكي أسير بحق على هذه الوسيلة، إلى إن أصل إلى الله، فهل أستطيع أن أجمع الكون كله على هذه الوسيلة؟ لا.

شخص آخر أعجبت به وسيلة أخرى، فيذهب إلى الشيخ الذي مشى على هذه الوسيلة، لكي يعلمه الوسيلة التي وصل بها إلى الله، كيف أعرفه؟ أنا أرى أن هذا الرجل فتح الله عليه، ورزقه الله علماً إلهامياً، أو أعطاه فراسة، أو رزقه الله بنور في قلبه، أو رزقه الله علم الحكمة، أو ظهر عليه بعض الإكرامات.. كل هذا يدل على أن الله فتح عليه، فعلمت أن هذه الوسيلة التي سار عليها صحيحة، فإذا أعجبتني هذه الوسيلة أذهب إلى هذا الرجل لكي أسير على الوسيلة التي وصل بها إلى الله ﷻ.

إذاً لا يمكن أبداً جمع الوسائل في طريق واحد، لأنه لا أحد يستطيع أن يجمع بينهم إلا سيدنا رسول الله ﷺ، والله جل وعلا قال له ولأنبياء الله السابقين لحضرته: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (٨ المائدة) لكي يعلم الغافلون الذين يقولون نأخذ الشريعة فقط أنه يوجد شرعة ويوجد منهاج، فالشريعة للكل، والمنهاج للخاصة.

فما دام القصد واحد، والغاية واحدة، فلا بد من تعدد الوسائل، وهذا الذي نتعلمه من الطرق التي نسميها الطرق الصوفية الموصلة إلى فضل الله ﷻ.

لكن هناك نقطة نلاحظها مجدية، حيث توجد طرق، وشيخها الأكبر كان من أهل الفتح، لكن الذين من بعده أخذوها وراثتها فقط، فالذي يهمني أن يكون الذي أسير معه من أهل الفتح لكي يفتح الله عليّ مثله، لكن مثلاً الشيخ عبد القادر الجيلاني ببني وبينه خمسمائة عام، وهو كان من أهل الفتح الأعظم، فهل لو سرت الآن على نهجه يأتي لي الفتح؟ لا، فإن كان واحد من أتباعه معه الفتح أسير معه، فالذي يهمني في هذا الأمر أن الرجل الذي أسير معه يكون مفتوح عليه، يوجد شيخ مفتوح عليه لكن من خمسمائة عام، وأتباعه ليس مفتوح عليهم، فماذا أصنع بهم؟! وهذا هو الشيء الذي يسقط فيه



كثير من الناس، ينظرون إلى شخصية الأكاير، ويقولون ما دامت طريقة الشيخ فلان فلا يوجد مثلها، فهذا له احترامه، لكن لا بد أن يكون هناك شخص الآن قائم ومقام من الطريق من أهل الفتح، فهذا الذي أريده، وهو الذي أحتاجه، رجل من أهل الفتح حي قائم، فالله حي قيوم، ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم.. فهذا كان صاحب فتح في زمانه ويدل أهل زمانه، ولكل زمان دولة ورجال، وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن نلاحظه جميعاً في هذا المجال.



٢٥- دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات

ما دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات؟



التصوف يولي أهمية بالغة لإصلاح القلوب، والرسول ﷺ يقول في ذلك: {أَنَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ} ^{٢٥}، فإصلاح الفرد يعتمد على إصلاح القلب، وإصلاح القلب يعني تطهيره من الأحقاد والأحساد والغل والشح والحرص والكُره والأنانية وما شابه ذلك، وملؤه بالشفقة والعطف والمودة والمحبة والحنان والرحمة وما شابه ذلك.

فلو طهر القلب مما ذكرناه وامتلاً مما قلناه صلح الفرد وأصبح إنساناً يحب لجميع خلق الله ما يحب لنفسه، وهذا هو المؤمن:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } ^{٢٦}

ومثل هذا هو الذي يصلح المجتمع، لأن ما أفسد المجتمع في زماننا وغير زماننا الأمراض التي أشرنا إليها، فالأمراض الجسمية سهلة العلاج، لكن الأمراض القلبية هي

٢٥ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير

٢٦ البخاري ومسلم عن أنس



التي تورث الشقاق والنفاق والخلافات والمشاكل بين الناس، ولا تجد لها علاجاً البتة، فكما قيل: (لكل داء دواء إلا الحسد والحقد).

إنسان يحسد آخر فلن يستريح إلا إذا أزيلت النعم التي عند الآخر، وأين هذا المرض اللعين؟ في القلب، وأين علاجه؟ من القلب، ومن الذي يعالج هذه الأمراض؟ الصوفية، لأن الصوفي لكي يمشي في طريق الله فلا بد أن يصفو وينقى من كل ما ذكرناه: (صفاً فصوفي فأحيا النهج والدين).

إذاً الصوفية هي التي يتوقف عليها صلاح الأفراد، وصلاح المجتمعات، لأنها تركز على صلاح القلوب، وطهارة النفوس، وهذا هو الأساس الذي بنى عليه النبي ﷺ دولته وأكمل تعاليم رسالته.



٢٦- الصوفية ونشر الإسلام في العصر الحديث

ما دور التصوف في نشر الإسلام في العصر الحديث؟



أظن أنه ما أساء إلى الإسلام في العصر الحديث وشوّه صورته إلا الفرق الضالة المتشددة التي تُقتل المسلمين وتترك الكافرين، وتشنُّ الحرب على غير المسلمين في كل زمانٍ ومكان، فهؤلاء شوّهوا صورة الإسلام.

ولا يدخل في الإسلام حالياً من غير المسلمين إن كانوا أوروبيين أو أمريكيين أو غيرهم إلا من اختلط بالصوفية، فأعجب بصفاتهم المرضية، وطباعهم السوية، وعلاقاتهم المبنية على المحبة والمودة والعلاقات الإنسانية.

هؤلاء هم الذين يرتضون بالإسلام لما يرون في حال الصوفية من التسامح والعطاء والأدب والأخلاق الحميدة، أما الفظاظة والغلظة والخشونة في المعاملة التي توجد عند الآخرين فهي دمّرت سمعة الإسلام لدى كل غير المسلمين، وجعلتهم يهاجمون



الإسلام، وإن لم يهاجموه يقفوا موقفاً عدائياً لا يتقبلوا شيئاً من المسلمين، لأنه أصبحت الفكرة عندهم عن الإسلام أنه دين الإرهاب، ودين سفك الدماء، ودين الحشونة، ودين الفظاظة، ودين الغلظة ودين القسوة، لما رأوه من صفات هؤلاء.

وأضرب لذلك مثلاً واحداً: هل الإسلام أباح للمسلمين التمثيل بجثث الأعداء؟ لا، وكيف أباح هؤلاء التمثيل بجثث الأعداء؟! فكل مرة يتفننوا في طريقة للقتل مخالفة لما أتى به السابقون، فمرة بالذبح، ومرة بالحرق، وكل مرة يخترعوا طريقة أخرى جديدة لسفك الدماء، أبطل الإسلام عادة الرِّق، فجددوا الرق، ونسبوه زوراً وبهتاناً للإسلام، وهذا تشويه لصورة الإسلام والمسلمين.

الأحداث التي يعملوها دوماً ما هي إلا مسلسل فظائع لتشويه الإسلام، لكن الصوفية في رعايتهم للآخرين، وفي حُسن تعاملهم، وفي توادهم، وفي تعاطفهم مع المسلم وغير المسلم هم الذين يجعلون الناس يدخلون في دين الله ﷻ أفواجاً، لإعجابهم بحُسن أخلاق وأوصاف المسلمين.



٢٧- النصوص والسلبية

يقول البعض: أن السلبية ثمرة من ثمرات التصوف، فما قول فضيلتكم؟



من يقول ذلك يحكم على الصوفية بالنظر إلى طائفة تنتسب إلى التصوف، وليست من الصوفية في شيء، فبعض المتعطلين والمتبطلين والمتسولين والشحاذين وخاصة الذين يلتفتون حول أضرحة الصالحين بُغية المكاسب، وحتى يخدعوا الناس يدَّعون أنهم صوفية بثيابهم وبعماماتهم وبحركاتهم، لكن التصوف بريء من هؤلاء.

فالذي يحكم على الصوفية لا بد أن يدرس كل الطوائف الصوفية، ويُنجي كل



الطوائف السلبية، ويحكم على الطوائف الإيجابية التي تملأ الحياة عملاً وحياة وإسعاداً للبشرية جمعاء فهؤلاء ليسوا صوفية، وإنما هم خُثالة تنتسب إلى الصوفية، والصوفية أنفسهم يبرأون من كل هؤلاء.

رُوي أن شقيق البلخي رحمه الله تعالى تقابل مع إبراهيم بن أدهم رحمه الله، وكان شقيق قد تَوَكَّل على الله، فقال له إبراهيم: لم تَوَكَّل على الله؟ فقال: رأيتُ طائراً أعمى فوق شجرة ونسراً يأتي له بطعامٍ ويضعه في فمه، ثم يذهب فيملاً فمه بالماء ويضع فمه في فم الطائر ويسقيه، فقلتُ هل أنا أعجز عند الله ﷻ من هذا الطائر؟! فقال إبراهيم بن أدهم: ولم لا تكون أنت النسرة الذي يُطعمه؟! لماذا ترضى لنفسك أن تكون الطائر الأعمى؟! لماذا لا تكون أنت الأعلى؟ وهذا حال الصوفية، كما قال رحمه الله: { الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى }^{٢٧}

سيدنا عثمان بن عفان رحمه الله كان يتاجر وينفق، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف رحمه الله كان يتاجر وينفق، وقالوا في أمثال هؤلاء: (الصوفي الغني الشاكر خيرٌ من الصوفي الراضي الصابر).

لأن الغني الشاكر ينفع نفسه وينفع غيره، والثاني يريد أن يُحمِّل نفسه عالة على غيره، وليس ذلك من أمر التصوف الصحيح، ولكن هذا من عدم فهم في الصوفية، فالسلبية هم طائفة لا يريدون مواجهة الحياة، ولا الاعتماد على الأسباب التي خلقها الله، ويريدون أن يظلوا عالة على خلق الله، ولذلك يتركون العمل، ولذلك لا يحقق الله ﷻ لهم أمل، لأن الله سنته في عباده لا بد من الأخذ بالأسباب التي أمر بها مسبب الأسباب، مع الإعتماد على الله ﷻ في كل أمر وفي كل شأن.



إشادة لـ الجارفين
الباب الخامس (٢١٣) بيه الشيخ والمريد



الباب الخامس

بيه الشيخ والمريد



الكتاب ٩٩ من المطبوع

فوزي محمد بن بوزيد

- ١- بيعة المريد لأشياخهم
- ٢- طاعة المريد للشيخ
- ٣- بين المريد وشيخه
- ٤- بين المريد والمراد
- ٥- حال المريد مع شيخه
- ٦- تزكية الشيخ للمريد
- ٧- البحث عنه المربي
- ٨- أوصاف الولي المرشد
- ٩- الولي والشيخ المربي ١٠- صفات المربي
- ١١- أدلة البحث عنه الشيخ
- ١٢- الجهاد والفضل

الباب الخامس

بيه الشيخ والمريد



١- بيعة المريدن لأشياخهم

ما حكم البيعة التي يبايعها المريدن لشيخهم؟

وهل هناك دليل من الكتاب والسنة يؤيد هذه البيعة؟



البيعة معناها أي أريد أن ألزم، وأريد أن تلتزم نفسي معهم، فأسوقها إلى حضرة النبي ﷺ، أو إلى وارث حضرة النبي لكي أعاهده بأن تستقيم، وأن تمتنع عن المعاصي بالكلية، وأن تقبل على الطاعات والقربات طمعاً في رضوان الله ﷻ، فهذا يكون ألزم للنفس.

والبيعة أخذها سيدنا رسول الله على أصحابه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (١٠٠الفتح) أين هذه البيعة؟ ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ والشجرة ليست الشجرة التي قطعها سيدنا عمر، لكنها شجرة الأسماء والصفات الإلهية الظاهرة في الذات المحمدية: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ .

فما نتيجة البيعة؟ وما فائدتها؟ ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨الفتح) فتحة قريباً من القريب ﷻ، غير الفتح الآخر إن كان عسكري أو غيره، لكنه فتح قريب من حضرة القريب ﷻ.

فالذي يريد الفتح الرباني، والذي يريد السكينة من الله، والذي يريد أن يلتزم مع مولاه، ويحشر مع الصالحين في الدنيا والآخرة من عباد الله، لابد أن يلزم نفسه بالجهاد،



فياخذها لرجل من ورثة رسول الله، ويأخذ العهد عليه، فكلما أرادت نفسه أن تميل به يقول لها إني أخذت العهد، فهذه تمنع النفس وتحجبها عن المعاصي والمخالفات، لأنه يُذكرها بأنها أخذت العهد، وخيانة العهد ليست من الإيمان.

عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ التَّيْمِيَّةِ، قَالَتْ:

{ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِنُبَايَعِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّا لِنُبَايَعَكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَعْتُنَّ، قَالَتْ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، بَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اذْهَبْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُنَّ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ، كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ { ١

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

{ أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَمَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ حَدًّا، فَعَجَلَتْ لَهُ عُقُوبَتُهُ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَخَّرَ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ رَجُلًا إِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذِّبَهُ { ٢

هناك بيعة للنساء، وهناك بيعة للرجال، والفرق بينهما أن بيعة الرجال فيها الجهاد في سبيل الله والقتال، لكن بيعة النساء ليس فيها هذا الشيء فهن ليس عليهن قتال. لكن كل التعليمات الأخرى هم فيها سواء: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

١ مسند أحمد

٢ مشكل الآثار للطحاوي، والبخاري ومسلم بروايات مختلفة

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴿١٣٥ الأحراب﴾.

فالبیعة مذکورة فی القرآن ومذکورة فی السنة أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا یأتونه ویبايعونه، وكان ﷺ وهذه فی صیغة البیعة والتي ینفذها الصالحین یسألهم فیقول:

{ هَلْ فِیْكُمْ غَرِيبٌ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا، فَأَمَرَ بِغُلُقِ الْبَابِ، فَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً ثُمَّ وَضَعَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ }^٣

والبیعة قد یشعر فیها لمس أو مسک الکف، وهذا لكي یشری النور الذي یأتی من حضرة النور فی کل هیکل المريد، فعندما تكون البیعة والإنسان قلبه صحیح وسلیم یشعر بسریان النور فی کل جوارحه فی الحال، فکلمة (لا إله إلا الله) من الوارث تهر کل کیانه، وتؤثر علی کل ذراته الداخلیة وال خارجیة، لأنها سنة من سنن رسول الله ﷺ.

والذي نفعله ما هو إلا تجدید البیعة، فنحن فی الأصل بايعنا قبل القبل الله ورسوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢ الأعراف)، فالذين عاشوا مع حضرة النبي جدد لهم البیعة حضرة النبي، والذين لم یعيشوا فی زمن حضرة النبي فهناك وراث النبي، لذلك قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ رَأَى نَبِيَّيَ، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى نَبِيَّيَ، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى نَبِيَّيَ، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى نَبِيَّيَ }^٤

وكما ورد فی بعض الآثار عن حضرته ﷺ: { لله أداد أن یراني فلینظره إلی وثنی } فهم الذين یجددون بالنیابة عن حضرته العهد علی المؤمنین الذي أخذوه فی حضرة رب العالمین ﷺ، لذلك لو أردت أن أجدد العهد مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة فلیس هناك

٣ مسند أحمد والطبرانی شداد بن أوس رضي الله عنه

٤ الحاكم وابن حجر عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

أي مانع، قال ﷺ في ذلك:

{ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ } °

جددوا إيمانكم دائماً لكي تكون النفس في ذكرى وعبرة، وتسير باستمرار على الطريق القويم والمنهج المستقيم.



٢- طاعة المريدين للشيخ

يؤخذ على الصوفية طاعة المشايخ والخضوع لهم والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم، ما رد فضيلتكم؟



هذا السؤال منقسم إلى جزئين، الجزء الأول مقبول ومعقول، أما الجزء الثاني لا يفعله إلا جهول، والصوفية الحققة ليس فيهم جهول.

أما طاعة المشايخ فلا أنهم يعلمون أن مشايخهم لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، لا يرجون منهم دنيا دنية، ولا أشياء شخصية، ولا أي شيء من الأشياء التي تشغل الإنسان في حياته الكونية، بل شعارهم: ﴿ إِنَّمَا تُطْعَمُ كُرَّ لَوْجِهِ اللَّهُ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان).

رزقهم الله ﷻ نور البصائر، وفرغ الله ﷻ من سواه لديهم السرائر، فأصبحوا ينظرون بنور الله، ويكاشفون بخواطر القلوب بفضل الله وبإكرام الله جل في علاه، وهؤلاء يدلون الإنسان على عيوب نفسه ليتجنبها، ويفتحون له باب المكارم التي إذا قام بها يُكرم من عند الله، ويكون له منازل عالية في القرب من مولاه، أمثال هؤلاء ألم



ينبغي طاعتهم؟! لا بد من طاعتهم.

ولقد ضرب الله لنا المثل في ذلك بالنبي الكريم الكليم الذي هو من أولي العزم من الرسل، عندما أرسله الله إلى ولي حكيم، والنبي أعلى في المقام درجات لا عد لها ولا حصر لها من الولي، لكنه عندما أرسل إليه في مقام التعليم علمنا أن كل من يدخل في مقام التعليم لابد أن يكون أدبه كأدب موسى الكليم: ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٦ الكهف) لم يفرض نفسه عليه بل طلب منه الأذن للدخول عليه.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿ (الكهف) فما النتيجة؟ وما أدب المريد؟ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩ الكهف) هذا كلام رب العزة ﷻ.

ولذا تروي لنا كتب الصالحين حكايات عظمية في هذا المقام، فهذا الشيخ سليمان الداراني رحمه الله وكان من أكابر أولياء الله في الشام، وكان له تلميذ نجيب اسمه أحمد بن الحواري رحمه الله، فذهب إليه التلميذ، وصادف عندما ذهب إليه أن كان الشيخ في حالة وله، أي في حالة فناء عن الأكوان، وجمع على الواحد الديان، ولا يشعر بمن حوله من بني الإنسان، وهذه حالة تحدث مع الأولياء الصادقين قبل بلوغهم رتبة التمكين، فسلم عليه، فقال له: من أنت؟ قال أحمد، قال اذهب وضع نفسك في القرن، والقرن أمام منزل الشيخ وموقدة، فدخل التلميذ في القرن، ولما رُدَّ الشيخ إلى حالته قال لمن حوله: الحقوا أحمد، لقد واثقني وعاهدني على أن لا يعصى لي أمراً، وقد أمرته أن يضع نفسه في القرن، فذهبوا إلى القرن ووجدوا النار حوله وهو في وسطها ولكنها لم تؤذ حتى بجرارتها، وهذا بركة طاعته لشيخه ﷻ!!.

على الجمر قف أن أوقفوك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً ورحمة

شخص آخر ذهب إلى شيخه، وقبل أن يذهب إلى شيخه ذبح ذكر بط ووضعه على النار ليستوي، وقال أذهب إلى الشيخ حتى ينضج ثم أرجع لأكله، فذهب إلى الشيخ، فقال له: اجلس معنا اليوم، فأخذ يتعلل ويعتذر لكي يذهب ويأكل البط، وفي

النهاية قال له: اذهب، فذهب، وقبل وصوله إلى منزله فوجئ بكلب يحمل البطة في فمه ويجري، فحرم من الذي قالت له نفسه، فرجع مرة أخرى إلى شيخه، فقال له: الذي لا يسمع كلام المشايخ الكلاب تأكل أكله!!.

لكي نعرف أن طاعة هؤلاء واجبة، لأنهم لا يبغون لأنفسهم نفعاً ولا شرفاً ولا تكريماً، وإنما يبغون مصلحة المريد، فالمريد إذا كان مثل الطفل البليد، أخاف عليه، وأعطيه الذي به مصلحته، ولكنه ليس به فائدة لأنه يمشي على حسب هواه، فهذا المريد يكون كالطفل البليد، وهذا الذي يقول سمعنا وعصينا، أما من قول سمعنا وأطعنا فهذا يقوله الله فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا أَلَّيْتَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۖ﴾ (النساء).

٣- بين المريد وشيخه

ما واجب المريد نحو شيخه؟ أو أدبه نحو شيخه؟ وما واجب الشيخ مع مريده؟ كيف تكون العلاقة بينهما؟ وكيف نردُّ على من يتهمون هذه العلاقة من الذين يدعون الالتزام والتسلف؟

سبق أن وضعنا هذه العلاقة في كتبنا وقلنا باختصارٍ شديد أن واجب المريد نحو شيخه كواجب الابن نحو أبيه، فالأب يُربي الجسم وله عليه حقوق، ومربي الروح إن لم يكن له حقٌّ أعلى فليكن له نفس الحقوق، لأن هذا مربي وهذا مربي، وهي نفس الواجبات من الابن لأبيه.

أو نستطيع أن نقول: كأدب أصحاب رسول الله مع حبيب الله ومصطفاه، وهذا الأدب لم يتركه الله ﷻ للنفوس، ولكن جاء به في كتابه الكريم، ووضَّح كل ما ينبغي أن

اشتات العارفين

الباب الخامس (٢٢١) به الشيخ والمريد

يلتزم به الصحابة والتابع والمريدين والمحبين من عصره إلى يوم الدين في كل صغيرة وكبيرة مع سيد الأنبياء والمرسلين.

والرسول ﷺ جعل العلماء العاملين ورثة عن حضرته في كل زمان ومكان، والوارث له حكم مورثه مع الاحتفاظ بمكانة الحبيب ﷺ، فإنه صاحب الرسالة وهو سر هذه الشريعة المطهرة صلوات ربي وتسليماته عليه.

{ أَتَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ }

فكأنما أشار إلى الوارث، والوارث له حكم مورثه من حيث الأدب، ومن حيث الإلتزام، ومن حيث الطاعة، ومن حيث المحبة، ومن حيث السمع، كما ذكر الله ﷻ في آيات كتاب الله سبحانه وتعالى الواسعة الجامعة.

وواجب المرشد أو المربي أو الشيخ نحو مريديه كواجب الأب نحو أبنائه تماماً بتمام، أو كواجب الرسول ﷺ نحو أتباعه، يوجههم ويعلمهم برفق ورحمة وخفض جناح ولين: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨ الحجر) لا بشدة، ولا بغلظة، ولا بقسوة، ولا بزجر، ولا بوعيد، ولا بتهديد: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٥٩ آل عمران).

إذاً علينا باستقراء كتاب الله، واستنباط الآداب الواجبة فيه، وأظن أننا جمعنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأدب الواجب نحو رسول الله وشرحناها وفصلناها وجعلناها في كتاب خاص بها وسميناه: (الآداب القرآنية مع خير البرية) أخذنا الآيات التي تتكلم عن هذا في القرآن، واستعرضنا أقوال المفسرين السابقين، وأضفنا ما ألهمنا به رب العالمين نحو هذه الآداب مع رسول الله الموجودة كلها في كتاب الله ﷻ.



٤- بين المريد والمراد

ما الفرق بين المريد والمراد، والطالب والمطلوب؟

الفرق بينهما يكون في بداية الأمر، وإذا حدث للإنسان الفضل من المتفضل عز وجل، فإن الإنسان في بدايته يكون له رغبة في مودة الله عن طريق عمل الطاعات، والتنافس في الصالحات، والمسارعة في الخيرات، والإقبال على الصالحين والصادقين ومصاحبتهم والجلوس معهم وسماع أحاديثهم.

فإذا صدقت رغبته وطابت محبته، أحبه الله ﷻ، مع أن الحب في البداية من الله: ﴿تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُ﴾ (٥٤ المائدة) فإنه لم يتوجه من البداية إلى الله إلا لأن له محبة سابقة عند حضرة الله ﷻ، وإلا ما وجهه الله ﷻ إليه.

فإذا أحبه الله ﷻ لما هو عليه من الأخلاق الكريمة، والعبادات الخالصة، والنوايا الطيبة، والأعمال العظيمة انتقل من مريد إلى مراد، يعني بعد أن كان له رغبة، أصبح الله ﷻ هو الذي يرغب في مودته - مع الفارق بين الإثنين - وهو الذي يريد أن يقربه من حضرته، وهو الذي يريد أن يحادثه.

وفي هذا قيل للإمام عليّ عليه السلام وكرّم الله وجهه: كيف حالك مع الله؟ قال: (حال عبيد إذا سألت أجبت، وإذا سأل سأل أفنت باللام) يعني عندما أسكت هو الذي يفتحن بالكلام لمحبة الله ﷻ.

وهذا الأمر موجود في كتاب الله، عندما قال الله ﷻ لسيدنا موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩ طه) من الذي ألقى عليه المحبة؟ الله، فلما ألقى عليه محبته كان الله ﷻ دائماً وأبداً يريد أن يستمر في مواصلته، فقال له في حالة المناجاة: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ (١٧ طه) وهل الله ﷻ لا يعلم ما في يمينه؟! أو لا يرى ما في يمينه؟! ولكنها محادثة الموانسة، وعلم موسى ذلك، فكان ينبغي أن يقول:

هي عصاي، ولكنه فرّع وقال: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأُشْشُ بِهَا عَلَى غَمَمِي وَلِي فِيهَا مَقَارِبُ أُخْرَى ﴾ (١٨ طه) وهل الله ﷻ لا يعلم بذلك؟! ولكن موسى للذيد الخطاب استمرّ في الجواب، لأنه كان يتلذذ بخطاب العزيز الوهاب ﷻ.

فيكون في بساط الجمال على بساط الدلال، ويكون بينهما ذوق في مقام الوصال، فينتقل إلى مقام المحبوبة لله ﷻ من مريد إلى مراد، من مُحب إلى محبوب، والمحبوب قال فيه ﷻ لِيُعَلِّمَنَا فَضْلَ هَذِهِ الْمَكَانَةِ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ }^٧

ارتفع عنه هذا الأمر، لأن الله يتولاه بحفظه، فيحفظه من خطور الذنب على قلبه، أو الوقوع في الذنب بعُضْوٍ من أعضائه: ﴿ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ (٦٤ يوسف) يحفظه الله ﷻ.

وهذا ما رأيناه في قصة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فقد كانت زليخة شديدة الجمال، بحية الطلعة، رائعة الوجه، وكان يوسف شاباً في ريعان الشباب، وغلقت الأبواب، وصرفت الخدام وتهيأت له، وقالت: ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ (٢٣ يوسف) وفي بعض القراءات ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ أي أنا جهّزت نفسي لك، لكنه قال: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ فما الذي حفظه؟ مولاه ﷻ.

هل يستطيع إنسان في حالة البشرية بدون الحفظ الإلهي أن يحفظ نفسه مع هذه الدواعي من المعصية؟ لا والله، لا يتم الحفظ إلا إذا تولى المرء حضرة الحفيظ ﷻ: ﴿ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٦٤ يوسف) فحفظه الله ﷻ لأنه كان من عباد الله المحبوبين.

فيحفظه الله ﷻ من الوقوع في الذنب، أو خطور الذنب على قلبه على حسب المقام، فمن الأولياء من يبلغ مقاماً يحفظه الله ﷻ من أن يخطر حتى بقلبه أي ذنب لشغله بالله عما سواه.

^٧ الرسالة القشيرية وتاريخ بغداد عن أنس رضي الله عنه

ومنهم من يكون ما زال فيه أثر للبشرية فقد يخطر الذنب على قلبه، وتحاول الأعضاء أن تنفذ، فيتدخل الحفيظ ويحفظه من التنفيذ، ويدخل في قوله ﷺ عن حضرة الله: { مَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ }^٨

لأن الله ﷻ حفظه، وهذا باختصار الفارق بين الإثنين، نسأل الله ﷻ أن يبلغنا المقام الأكمل فيهما.



٥ حال المريد مع شيخه

(كَيْدِي يَدِي شَيْخَكَ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ مُغْسَلِهِ) نرجوا توضيح هذا القول؟



هذا القول يوجد فيه شيء من المجاز، وهو ما يسمى بالكناية، كناية على أن الإنسان إذا سلم لشيخه ينبغي عليه أن لا يكون في نفسه اشتزاز أو اعتراض على أي أمر يأمره به شيخه، مادام هذا الأمر لا يخالف شرع الله، ومادام هذا الأمر يوافق سنة رسول الله ﷺ، أما ما يخالف الشرع فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ، وهذا كما تقول الآية القرآنية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَدُسَلُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥ النساء).

والشجار من الجائز أن يكون بين الإنسان والجار، أو الإنسان وشخص آخر في هذه الدار، ومن الجائز أن يكون الشجار في نفس الإنسان، فتوجد النفس الإبلسية التي لها طلباتها، والنفس الحيوانية التي لها طلباتها، والنفس الملكوتية التي لها طلباتها، فيحدث بينهم شجار على الإنسان، فكل واحدة تريد أن تهيمن وتسيطر، فلا بد من تحكيم الحكيم الخبير المأذون من العلي الكبير، فهو الذي يفض هذا الشجار ويعملهم

^٨ صحيح مسلم ومسنده أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه





كما قال الله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء ٦٥) يسلموا تسليماً تاماً.

وقبل التسليم مباح للإنسان الطالب أن يسأل ما يريد، لكن ما دام سلم فالسؤال معناه أنه متشكك، والمتشكك لا ينفع في طريق الله ﷻ، ولذلك قال سيدنا موسى لشيخه: ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (١٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (١٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (١٩) (الكهف) فما أول شيء ينبغي أن يؤهل المريد عليه نفسه؟ الصبر الطويل مع شيخه.

فلا يقول أنا لي خمس سنوات ولم أر شيئاً، لكن حاسب نفسك، الشيخ لم يحجز عنك شيئاً، فإن كان هناك تأخير فمن عندك، وليس منه، ولو كان يوجد بقاء فمنك، ولو كان يوجد بُعد أو غلظة أو قسوة فكل هذا منك: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (٧٩ النساء).

ارجع الأمر على نفسك، ولا ترجعه على شيخك، حتى لا تضحك عليك نفسك وتقول أن الشيخ لا يحبني ولا يريدني، ولا يريد أن يرقيني، فهذه مصيبة كبرى

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (١٦) (الكهف) سلم بالكلية: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٧٠ الكهف) فإذا سلم لا يسأل.

لكنه تأتي له أشياء في صدره، فإذا سلم فالأسئلة التي في صدره تأتي له الإجابة عنها أولاً بأول بغير طلب ولا سؤال في كلام شيخه في أي مكان وفي أي زمان، وهذا الذي تعلمناه مع مشايخنا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فأنا صدري يكون مملوءاً بالأسئلة فعندما أجلس مع الشيخ ويتكلم - حتى في أحاديث عادية - أجد الأسئلة يتم الإجابة عليها واحداً بواحد إلى أن تنتهي جميعاً من غير أن أسأل، ما هذا؟ هذه معاملة الصالحين كلهم، يأتي في درس مثل هذا فيجيب على السؤال الذي تريده، أو حتى في دردشة مع شخص، لكن المقصود بها أنت، ويجب بما



في صءرك وهو يتءءء مع الآخر.

ولءلك لاءء أن يكون الشخص منءبها؁ فعءءما يسلم الإنسان لشيخه فلا يسمح لنفسه أو قوى نفسه أن تنازعه؁ لأنه لو نازعته نفسه خرج من ءائرة القوم؁ ولم يفلح في هذا السبيل؁ وهذا هو معني العبارة التي أءوا بها بتشييه بليغ أو كناية؁ أو على هذا النسق.

٦- نزكية الشيخ للمريد

كيف يزكي الشيخ مريءه؟ وهل النزكية بالعباءاء؟

النزكية بالأءوال؁ فقد قالوا: (بالءال نزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالءروس) فالعباءاء أءرها حسناء يأءها العباء يوم القيامة ويدخل بها الجناء؁ لكن الذي يريد الإشرافات؁ والذي يريد الأنوار البينات؁ والذي يريد الفتوحاء الساطعاء فلا بع أن يبحث عن عارف ءقي نقي؁ لكن المهم أن يسلم؁ فإذا سلم والءزم بما يمليه عليه شيخه؛ ءأءيه الواءاءاء الروحانية من المصطفى خير البرية على يءي شيخه.

فالشيخ ليس معه شيء؁ لكن معه ءوكيل من البشير النذير ؁ فهذه البضاعة لا ءذهب إلا لوكيل معءمء؁ فلا يجد منها بضاعة معشوشة في السوق؁ ولا بضاعة مزورة؁ لا بع أن يكون معه ءوكيل؁ لكن لمن يعطيه؟ يعطيه لإنسان نبيل سلم ءسليما كليا؁ ولا يريد أن يأءء هذه العلوم لكي يكون بها شيخا في ءءنيا؁ ولا يريد أن يأءء هذه العلوم لب الظهور؁ لا بع أن يطهره من كل هذه الأوصاف ءءنية ءءنيوية ءءى ءءأكد أنه ليس له في القلب بقية إلا للءضرة الإلهية والءضرة المءمءية.

بعء ءلك يفيض عليه العطايا الإلهية؁ والنظراء النبوية بركة سبءنا رسول الله ؁



وفيها يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله:

وإن نظرت بعيني	للعبد قد صار مولى
إن فتحت كنوزي	أغنيت قولا وفعلأ
ناديت إنني قريب	هـلا تقربت هـلا

فهذه الأمور واضحة، ليس بها شك ولا لبس بل لا بد أن يكون:

فسلم لأهل الحال روحك واعتقد تفز بنوال الراح عند شهوده

عند شهوده ﷺ، فمن يسلم؛ يصل إلى هذه الحالة، لكن الأزمة الكبرى التي نعاني منها التسليم، وخاصة في هذا الزمان، فهو شيء صعب.

لا يوجد أحد يسلم!!!!؟؟؟

فالكل مسلم لنفسه!!!!؟؟؟؟؟؟

ونفسه تحركه وترسله كما تريد، وهو يتبع هواها، ويبقى الشيخ فيقول له شيء، فتؤوله نفسه لكي تسيّره على هواها، والهوى ليس له دواء.

فمرض الهوى هو الذي يمنع كل العطاءات الإلهية، وكل المنح الربانية، وكل الإكرامات النبوية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات) الجنة العاجلة هي جنة الرؤيا وجنة الشهود وجنة المعرفة لله ﷻ، وهذه غير جنة الزخارف التي في الدار الآخرة إن شاء الله.



٧- البحث عن المربي

كيف أبحث عن المربي؟



الأمر لا يحتاج إلى البحث فقط، وأهم ما يحتاج إليه الإنسان للحصول على المربي الإستعانة بالله، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله: (إذا أردت العثور على المرشد فادع الله في سجودك دوماً وقل: اللهم دلني على من يدلني عليك).

فتبدأ أولاً بالدعاء، ثم تشتغل بما ورد عن رسول الله من أذكار، وتكثر من الصلاة والسلام عليه ليل نهار، وبعد ذلك تبحث عن تصدّي للصالح في عصرك، وتزنه بموازين القرآن.

فإن الله ﷻ جعل أئمة صالحين، وهناك أئمة مرشدين، فالصالح لنفسه، يعني قد تكون دعوته صالحة لكن لا يطالب بإرشاد غيره، يعني يقول: ليس لي شأن بأحد، أما أئمة الإرشاد فيقول فيهم الله: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (١٧ الكهف) فليس ولي فقط، لأن الأولياء كثر، لكن ولي مرشد



٨- أوصاف الولي المرشد

وما أوصاف الولي المرشد؟.



الوصف الأول: لا بد أن يكون عالماً بالشرعية التي جاء بها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، ويقول في ذلك سيدي محي الدين بن عربي رحمه الله:

لا تقتدي بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبياء عن الله

حتى لو أتاك بالأخبار عن الله إياك أن تتخذه قدوة، فقد يكون مجذوباً، والمجذوب ليس قدوة، فلا نعترض عليه ولا نقتدي به، لكن من أقتدي به لا بد أن يكون عالماً





بالشريعة.

الوصف الثاني: لابد أن يكون على بصيرة لقول الله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨ يوسف) وهذه البصيرة نلاحظها في صُحبة المرشد الكامل، فنجد أن الله يطلعه على أمورٍ نعلم يقيناً أنه لا يعلمها إلا الله ﷻ إلهاماً له، أو تأييداً له، أو تسديداً له، حتى نعلم أنه مقامٌ من لدن الله ﷻ.

الوصف الثالث: أن يكون هذا الرجل من الذين يقول الله فيهم: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (٣٩ الأحزاب) مُجَمِّلٌ بمراقبة الله، والخوف من الله، والخشية من الله ﷻ، لأنه قد يكون عالماً بالشريعة لكنه غير مجمل بالخشية، وهؤلاء يفتحون على أنفسهم أبواب الشبهات، ويبحث لها عن حل في الشريعة، فإذا كان لا يخشى الله يأتي بالحيل للناس، لذلك الناس يذهبون إليه ليحلّ لهم المشاكل ويخرجهم منها، لكن بطريقة تنافي ما ورد عن صحيح الدين عن سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فكما قال الإمام الغزالي رحمه في كتابه إحياء علوم الدين: ((علم الشريعة وهو أشرف العلوم إذا لم يصحبه عمل لم يزدد العالم به إلا قسوة)) قسوة في القلب، فلا بد أن يكون عالم عامل، ومعه علامة العمل وهي الخشية والخوف والورع ومراقبة الله ﷻ.

الوصف الرابع: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ (٢١ يس) لا يطلب مني بحاله ولا بقاله شيئاً من الدنيا الدنية، فمن يطلب بلسانه، أو بلسان من حوله، أو بحاله، يعني يحكي حاله، ليجمعوا له شيئاً، فهذا لا يصلح لقيادة طريق الله ﷻ، لأن من اعتمد على الله أغناه وكفاه: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣ الطلاق) وقالوا: (لَنَدِيَنَّكَ اللَّهُ بِعُطْبِكَ لَا يَدَّ بِأَخْذِ مَنْكَ).

الوصف الخامس: أن يكون معه إذنٌ صريح من سيدنا رسول الله ﷺ بإرشاد الخلق إلى الخالق ﷻ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ (٤٦ الأحزاب).

وعامة الإذن تكون واضحة جداً في أن يجمعهم على الصادقين والمخلصين



والمخلصين، أما غيره فيتبعه المنافقين والطالبن للدنيا والمصالح والعلل النفسية والدينية، وهذا لا يصلح إماماً للدين.

إذا وجدت هذا الرجل الذي فيه هذه الأوصاف التي ذكرناها أعرض عليه بالنواجذ، لأنه قل أن يجود الزمان بأمثال هؤلاء إلا الواحد بعد الواحد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ (٢٤ص) وهذا الذي أمرنا الله أن نداوم عليه ونحرص عليه، وقال لنا في شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩التوبة) وهؤلاء الذين يرفعون شأنكم إلى مقعد صدق عند مليك وقتدر.

٩- الولي والشيخ المربي

ما الفرق بين الولي والشيخ المربي؟

الولي الذي والى حدود الله، وقام بما عليه من الواجبات والتشريعات نحو مولاه، فحقق الله ﷻ له مناه، وجعله مستجاب الدعاء، وحقق الله له الرجاء، لكن لم يؤذن له في إرشاد غيره من خلق الله إلى طريق الله ﷻ، فإن هذه مسئولية تقتضي تأهيل من الله ومن الحضرة المحمدية.

وأنا عن نفسي عندما كنت أبحث عن الولي المرشد الذي أمشي خلفه، فذهبت لسيدنا الشيخ أحمد حجاب ﷺ وأرضاه وكان هو الذي يصلي بنا في مسجد السيد البدوي في الضريح في كل الصلوات، وكان يصلي بنا التراويح في رمضان عشرين ركعة بجزء كل يوم، وكان ماشاء الله صوته عظيم في قراءة القرآن، وكان له حجرة في المسجد، تفرغ فيها للعبادة، لأنه بعد أن حصل على شهادة كلية الشريعة، وكان له شيخٌ اسمه

محمود بن الشريف، فقال لشيخه: أريد الزواج، فقال له: اقرأ في القرآن، فمكث يقرأ إلى أن وصل إلى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ (٩٧ طه) قال له: توقف، فعرف أنه ليس له في الزواج، وعاش إلى مائة وخمسة سنة، وتفرغ للعبادة.

وأنا زرتُه فقال لي كلمة لم أدركها وقتها ولكن عرفتُها فيما بعد، فقال لي: (هو أنا شئت نفسي لما أشئت بخيري؟!) فابحث لك عن أحد المشايخ الآخرين، وهذا معناه أنه لا يستطيع أن يحمل غيره.

والإشارة الإلهية واضحة إذا كان لم يستطيع أن يحمل زوجة ولا أولاد في الحياة الدنيا، فلا يستطيع أن يحمل أولاداً أيضاً في الحياة الروحية، فليس له في هذا الأمر، مع أنه رجلٌ صالح ودعاؤه مستجاب، لكن هذا اسمه ولي نفسه، وهذا لا نعترض عليه، ولا نقلده، لأن أمره خاص، فليس لنا شأنٌ به.

ومن نحتاج؟ نحتاج الولي الذي أذن بالإرشاد، مثل النبي والرسول، النبي مُبلِّغٌ بشرع يقوم به في نفسه، ولكنه ليس مكلفاً بتبليغ الأمة، لكن الأمة تتبع الرسول لأنه مكلف بشرع له، ويأمر به غيره.

فالولي المرشد الذي أقامه الله، وأذن له سيدنا رسول الله، وهذا يُعطيه الله ﷻ من الإمكانات الروحية والعطاءات الإلهية ما يُربي غيره، ولا ينشغل عن الله في نفسه طرفة عينٍ ولا أقل، وهي خصوصية شديدة.

لكن الآخر لو أرشد غيره قد ينسى نفسه، لذلك كل ولي له مقامه، كما قال الله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤ الصافات).

فالولي المرشد الذي أذن بإرشاد غيره، وأعطاه الله من القوى الباطنية والقوى الظاهرية ما يُعينه على ذلك، ويبلغه ذلك بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك كلهم كانوا على هذه الشاكلة، سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله، عندما كان في شاذلة فقال الله تعالى له: يا علي انزل اهدِ الناس إلينا، فقال: يا رب تتركني لخلقك هذا يُطعمني وهذا لا يُطعمني؟ قال: يا علي أنفق وأنا الممل، إن شئت من الجيب

اشارة الجارفين الباب الخامس (٢٣٢) به الشيخ والمريد

وإن شئت من الغيب.

بعدها جاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا علي اذهب إلى الإسكندرية فإن لك بها حالاً وستُري بها رجالاً، أربعين صديقاً: فلان وفلان وفلان وفلان، وأعطاه الكشف، فقال له: ياسيدي الطريق طويل ونحن في زمن الصيف والأرض ليس فيها ماء، قال له: إذا أقمناك أعناك.

فمشى من تونس إلى الأسكندرية وسحابة تظله، وكلما نفذ الماء الذي معهم أمطرت السحابة ماءً، يشربون ويملأون أسقيتهم حتى وصلوا إلى الأسكندرية، كيف هذا؟! إذا أقامك أعانك.

سيدي أحمد البدوي رحمه الله وأرضاه كان يتعبد في غار حراء في مكة إلى أن جاءه حضرة النبي وقال له: اذهب إلى طنتدا (طنطا) فإنك ستري بها أربعين رجلاً: عبد العال وعبد المجيد وفلان وفلان، وأعطاه كشفاً بأسمائهم، وطنتدا لم يكن يعرفها، وفي الصباح وهو جالس في الحرم إذا برجل يتعرف عليه فسأله: من أنت؟ فقال: أنا فلان وبلدي إسمها طنتدا وأتمنى أن تأتي ضيفاً عندي!، إذا أقامك أعانك، فأرسل له من يأخذه ويجعله ضيفاً عنده.

فذهب معه إلى بلده طنطا فسأله أين بيتك؟ فقال: ها هو، فقال له: ليس لي شأنٌ ببيتك وأولادك، واصنع لي سلماً من الخارج وأنا سأسكن في السطح، لأني لي ضيوف يأتيوني من خارج الدار، وليس لنا علاقة ببيتك من الداخل، فانظر إلى الأدب العالي للصالحين رحمه الله وأرضاهم.

فوسّع الله عليه، وترك الرجل له البيت، لأنه كان عنده أكثر من بيت، وحدث أن كل من ساعده بشيء أصبح ولياً وله كرامات في هذا المجال، فمن اختار أن يكنس بيت سيدي أحمد البدوي أصبح شيخاً للطريقة الكُنَّاسية، أخذ هذه المرتبة في الولاية وأصبح شيخ طريقة، لماذا؟ لأنه ارتضى أن يكنس بيت الشيخ.

والرجل الذي كان يرعى غنم الشيخ، وهو الشيخ الراعي أصبح شيخ طريقة

الشيخ الراعي وموجودة إلى وقتنا هذا.

والرجل الذي كان يُجهّز السطح أصبح شيخ الطريقة السطوحية، وكل واحد كان يقوم بمهمة أصبح ولياً في هذه المهمة، وشيخ طريقة في هذا المجال، لأنهم كانوا يعينوه الله ﷻ، ولا ييغون إلا رضاء الله سبحانه وتعالى.

فحتى من كانوا يعينوه أصبحوا أولياء الله يُشار إليهم بالبنان، لأنهم أعانوه طلباً لمرضاة الرحمن ﷻ، وهكذا كل الصالحين السابقين واللاحقين رضوان الله عليهم أجمعين.



١- صفات المربي

ما الصفات والشروط الواجب توافرها في المربي؟



الإنسان يختار كثيراً عندما يعرف أنه لا بد له من مربي حتى يصل إلى كمال معرفة الله ﷻ، فما أوصاف هذا المربي، وخاصة أن المجال اختلط فيه الحابل بالنابل؟ لو نرجع إلى القرآن سنجد فيه كل ما يحتاجه الإنسان ويجعله في أمان وإطمئنان، فللمربي شروط لا بد من توافرها فيه:

الشرط الأول: أن يكون عالماً بالشرعية قائماً بها، وظهرت عليه لوازم الحقيقة وعلومها نتيجة عمله بالشرعية، ومن هنا فكل من خالف الشرع الشريف طرفة أو أقل لا يصلح لتربية الرجال، ولا يجب أن يُسلم أحد له في أي حالٍ من الأحوال، لأن الشرعية هي الواردة عن الله، والتي كان عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فيكون عالماً بالشرعية، وأعطاه الله ﷻ الفهم الدقيق لأحكام الشرعية بحسب الزمان والمكان، لأن الشرعية تدور مع الزمان والمكان إلى أن يرث الله الزمان والمكان، فليس لها حكم ثابت في كل الأحوال، لكن تختلف من حال إلى حال، ومن مجال إلى





مجال، ومن رجالٍ إلى رجال.

وهذا هو الوارد عن رسول الله ﷺ في فتاواه المنصوص عليها فيما ورد في سنته صلوات ربي وتسليماته عليه، فكان يُفتي لكل إنسانٍ بما يليق بحاله، وبما يتلاءم مع أحواله، ويُفتي هذا بغير هذا، ومثال لذلك: سأله شاب وسأله شيخ سؤالاً واحداً عن حكم القُبلة في نهار رمضان، فجَوَّز ذلك للشيخ، وحرَّم ذلك على الشاب، مع أنه هو نفس السؤال.

فلو أن إنساناً لا يفقه هذه الحقيقة وأعطى إجابة الشيخ للشاب في زماننا فيكون قد أخطأ، ولو أعطى إجابة الشاب للشيخ فكذلك يكون قد أخطأ.

وليس كل الشيوخ في هذه المنزلة، فقد يكون شيخاً ولكنه شابٌ في عواطفه، فيحتاج إلى الإستئناس والسريرة ليعطي له الإجابة المنيرة، فلكل مقام مقال.

الشرط الثاني: ومع علم الشريعة لا بد أن يكون معه البصيرة: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨ يوسف) فلا بد أن تكون معه البصيرة النورانية القرآنية.

والبصيرة يفهم البعض، أو الكثير من الناس أن بصيرة العارف هي أن يكشف لأحدٍ ما فعله بالأمس، أو ما يخبئه في بيته في موضع من المواضع، أو ما دار على لسانه لأحد من الناس قبل المجيء إليه، وليست هذه البصيرة، فهذه قد يطلع عليها الشيطان لمن يخاوي الجان ويهمس في أذن الإنسان ليُظهر أنه شيخٌ علَّمه الرحمن، وهو شيخٌ للشيطان.

لكن ما البصيرة؟ الكشف عن الأحكام الإلهية في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية لأهلها سر قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١٩ القيامة) يُنزل الله ﷻ على قلبه البيان الذي يحتاجه هذا الإنسان، وهذا الإنسان، ولكل إنسان بيان، ولذلك العارفون - ولا يزالون - إذا سُئل أحدهم نفس السؤال من أكثر من شخص، فيُعطي لكل واحدٍ منهم إجابة غير الإجابة التي أعطاها للآخر.



وهنا خطأ يقع فيه كثير من المريدين، قد يسمع من أخيه أنه سأل شيخه عن سؤال كذا فأجابه بكذا فيأخذ به، وهذا خطأ لأنه ربما الذي احتاجه هذا غير الذي تحتاجه أنت، إذا ما دام معك المصدر، فلا بد أن ترجع إلى المصدر وتأخذ منه الخبر اليقين: ﴿بِتَبَلِّ يَقِين﴾ (٢٢ النمل).

الشرط الثالث: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥ الكهف)
أن تكون فيه وراثثة الرحمة، فوراثة العلم والكلام يأخذها كل الأنام، لكن وراثثة الرحمة خصوصية للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فيكون عنده في قلبه شفقة لكل الخلق، ورحمة بجميع الأنام، وهذه الرحمة تظهر لنا في التيسير، والتبشير، والبعد عن الزجر والتنفير، فإذا رأيت رجلاً يُنْقِر في كلماته، ودائم التحذير والإنذار، ويترك التبشير في بياناته، فهذا ليس له في الوراثة الكاملة عن رحمة الله العظمى لجميع العالمين، لأن الحبيب ﷺ كان منهجه:

{ إِنْ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا مَتَعْنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا }^٩

وكان يقول لأحابه:

{ يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا }^{١٠}

الشرط الرابع: ﴿آتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١ يس) لا يريد من أحد شيء، حتى الدعاء، ولا يريد تعظيم ولا تكريم، فضلاً عن حوائج الدنيا الدنية، ولا رغبتها الشهوانية، لأنه لا يريد بعمله إلا وجه مولاه، تأسيساً بقول الله عن الإمام علي: ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١٩ الإنسان).

آتاه الله ﷻ بعد ذلك الحكمة وفصل الخطاب، لأنه موضع استشارة الأحاب، وإذا أُستشير يُشير بما ألهمه به العلي الوهاب، فإذا فعل المريد بما أشار به عليه يجد في

٩ صحيح مسلم ومسنَد أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
١٠ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه



ذلك الأنس والصواب في دنياه، ويجد لذلك السعادة الكاملة في أخراه.

ناهيك عن أنه يكون شبيهاً بحضرة النبي على قدره لا على قدر النبي، من حيث تواضعه للخلق، ومن حيث رحمته بالفقراء والمساكين، ومن حيث إنتهائه بالكلية من مرض الكبر ودأؤه والعُجب والإعجاب بالنفس، فشُفي من كل هذه الأمراض والعلل النفسية والقلبية وأصبح داخلاً في قول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء).

لكن من يتصدّر للمشيخة، ويظهر عليه سميا الكبر على المريدين وعلى المحبين، فمال هذا والتصدر في طريق رب العالمين!!

اسمع لسيدي أبو العباس المرسي ؒ وزن بأحوال المعاصرين، فقد كان يأتيه المريد في أي لحظة في الليل أو في النهار، فيقول لأصحابه وخدامه:

(إذا جاء المريد وأنا نائم فأيقظوني!!!)

فإن المريد يأتي وله شهوة فلا تطفئوا هذه الشهوة

ما دام جاء لله، فمن الذي يستطيع أن يمنع أو يصد من جاء لله ﷻ!!

فلا بد من التواضع الجم كهيئة الحبيب ﷺ، وصفات المرشد الرباني كثيرة، ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه، ومن أراد التوسّع فعليه بكتابتنا (المنهج الصوفي والحياة العصرية) ففيه صفات المرشد الرباني مستوفاة، نسأل الله أن يُعلمنا ما لم نكن نعلم أجمعين.



١١- أدلة البحث عن الشيخ

ما الدليل من القرآن والسنة عن البحث عن الشيخ؟



هناك دليل خاص، ودليل عام، فالدليل الخاص عندما خص الله موسى بعنائه، وقال في شأنه: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنَيَّ﴾ (٣٩طه) فجلس في بني اسرائيل يوماً فسأله: من أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا، فأغضب ربه ﷻ، لأنه لم ينسب العلم إلى الله، فأمره بأن يتوجه إلى مجمع البحرين، ومجمع البحرين الذي حققه العارفون في دمياط في رأس البر، وهذا هو الكلام الصادق وليس لنا شأن بما في بطون التاريخ الذي لا يقبله العقل، ولا يوافق عليه النقل.

فمجمع البحرين الذي عندنا هنا في دمياط في رأس البر، والذي هو التقاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، لأن موسى كان في مصر، فمن يقل أن مجمع البحرين في الخليج العربي، وهل ثبت أن موسى ذهب إلى الخليج العربي؟ لم يثبت ذلك أبداً.

ومن يقل إنه خليج السويس، وخليج السويس ليس به مجمع بحرين، بل به البحر الأحمر فقط، وقناة السويس مستحدثة ولم تكن موجودة أيام موسى.

لكن مجمع البحرين أيام موسى كان التقاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، وقد رأينا كيف يختلط الإثنان ببعضهما بعد أن يسيرا مسافة كبيرة وكل ماء منفرد بأوصافه لا يختلط بالثاني إلا بعد دخولهما معاً.

والسفينة التي ركبها موسى مع الخضر كانت في دمياط، تنقل من شاطيء إلى الشاطيء الآخر.

فأمر الله موسى أن يذهب إلى عبد، ولكي تعرفوا صفات الصالحين الكمل، فبعض الأولياء يكونون أهل جذب، ويكونون ظاهرين، والناس تذهب لتشاهدهم، لكنهم غير مأمورين بالإرشاد، لكن المرشد الكامل يكون عبداً، وقد لا يعرفه أحد إلا الذي يُعرفه به مولاه لأنه مشغول بمولاه.

هل كان أحد يعرف الخضر؟ أو يعرف اسمه؟ أو يعرف عنوانه؟ لا يوجد، وهو لم يعلن عن نفسه لأنه عبداً لله ﷻ.

فسيدنا موسى أخذ تلميذه يوشع بن نون وقال له: هيا نبحث عن هذا الرجل،

اشارة الجارفين الباب الخامس (٢٣٨) بين الشيخ والمريد

وسنمشي ولو حتى ثمانين سنة حتى أصل إلى هذا الرجل.

سيدنا موسى عنده استعداد أن يمشي ثمانين سنة ليلقى هذا العبد الرباني الذي يتكمل على يديه، مع أنه معه الشريعة، ولكنه يحتاج إلى أنوار الحقيقة.

ما العلامة التي أعطاها له الله؟ قال له: خذ معك سمكة مشوية، وعندما تشعر بالجوع والتعب تعرف أن هذا الرجل موجود في هذا المكان، فحمل يوشع بن نون مقطف وفيه السمكة المشوية، وعند دمياط كان الخضر نائماً بجوار ساحل البحر، ولم ينتبهوا له.

وبعد مدة أحس موسى بالتعب وأحس بالجوع، فقال لتلميذه: ﴿ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٢ الكهف) قال: أنا نسيت، فالحوت احتيا ونزل في البحر!! . إنه حوت مشوي فكيف احتيا؟! قال: كان هناك رجل يتوضأ، وعندما مرنا بجواره تناثرت قطرات من الوضوء على الحوت، فاحتيا ودخل البحر، فقال له موسى: هذا ما نبحت عنه، ورجعا مرة ثانية.

فرجع إلى أن وصل إلى العبد الرباني، وقال له: السلام عليكم، قال: السلام عليك يا موسى بن عمران، قال له: وكيف عرفني؟ قال: عرّفني بك الذي أرسلك إليّ. وأحب أن يعرفه من البداية فقال له: يا موسى أنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمك الله لا تعلمه أنت.

وهؤلاء الأقوام يجعل الله الأكوام مسخرة لهم يضربون بها الأمثلة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٦٤ النساء) وهو يريد أن يضرب له مثلاً، فجاء عصفور وشرب من البحر لنعرف أن البحر بحر دمياط، لأن العصفور لن يشرب من البحر المالح، أو من الخليج العربي، أو من خليج السويس.

فقال له: وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

ونأتي لبيت القصيد وهو أدب الطالب، فقد علمه لنا الله ولم يترك أحداً يعلمه لأحد، فشرط الطالب الذلة والمسكنة لمن يتعلم منه، قال سيدنا عمر: (تواضعوا لمن تتعلمون منهم، ولا تكونوا كجبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم) وكما قيل: (من علمني حرفاً صدرت له عبداً) لا أتكبر عليه، ولا أتعالي عليه، ولكن يجب أن أكون متواضعاً له.

فقال موسى: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٦ الكهف) ليس علماً، ولكن رشداً، والرشد هو علم الحقائق: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (٥١ الأنبياء) ليس علمه، فالرشد علم الحقائق الإلهية.

قال له: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٦٧ الكهف) فالشرط الثاني للمريد الصبر الطويل، فقد يمشي مع الشيخ سنتين أو ثلاثة ولم يتم التطهير، وهو يريد أن يلمس أثر التغيير ويرى كرامة لنفسه ككرامات الأولياء الكبار، لكن أنت لا زلت في البداية، فلا بد وأن تصبر: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ (٢٤ السجدة).

لا بد من الصبر، ومن لا يتجمل بالصبر فلا يصلح إلا للجمر، فلا يصلح لطريق الله لأنه يحتاج للصبر الجميل، وما الصبر الجميل؟ الذي يخلو من الشكوى، ولا يكون صبر على مضض، لأن من يصبر رغماً عنه، أو من يصبر ويشتكى لهذا ويشتكى لذلك، فلن يصلح.

لا يوجد أحد من الصالحين أقامه رب العالمين ويبخل على أحد من المريدين بفضل كتبه له رب العالمين، إلا إذا كان لم يبلغ الأجل الذي قدره له أكرم الأكرمين، وأنت تريد أن تأخذ قبل أن تبلغ الأجل فهذا لا يصح، فلا بد من الصبر.

وأنا أصبر على أي شيء؟ قال له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ (٦٨ الكهف) وافق على الشروط: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ وبعد ذلك: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩ الكهف) وهذه هي المهمة، فلو عصيت الأمر في باطني واعتزضت عليه، فهذا ينطرد: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَخْرُجُوا مِنْ دَارِهِمْ وَلَا يَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْغُوا الْكِبْرَ ﴾ (٢٤٠ البقرة).

اشارة الجارفين الباب الخامس (٢٤٠) بيه الشيخ والمريد

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥ النساء﴾.

فلو الشيخ قال لي افعل كذا، فلا يجب أن أقول له: لا، وإلا فعلى الفور العقد الذي بيني وبينه ينفطر، لأن شرط العقد: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩ الكهف).

﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٧٠ الكهف) في البداية الشيخ قبل كتابة العقد يعطي فرصة للمريد، اسأل في كل ما تريد، فإذا كتبنا العقد فلا سؤال بعد ذلك، لأنك قد سلّمت، ولكن قبل التسليم وكتابة العقد اسأل كما تريد.

وهذا ما يحدث حتى في البيع العادي، مثلاً تشتري سيارة فتسأل كما تشاء، تسأل عن ثمن السيارة، وتسأل عنها في المرور، وفي كل مكان، لكن لو كتبت العقد فليس لك أن تسأل بعد ذلك.

فلو سلّمت للرجل، فلا تسأل، ولو جال في صدرك شيء فستأتيك الإجابة عنه بغير سؤال، وهكذا أحوال الصالحين مع كُمل الرجال، فلا يسأل أحدٌ فيهم أبداً.

فقد كنت أذهب لشيخ الشيخ محمد على سلامة رحمه الله وفي صدري أسئلة كثيرة، فأجد معه واحداً أجنبي ويتكلم معه في حديث عام، فأجد إجابة الأسئلة كما وضعتها بالترتيب واحداً تلو الآخر حتى تنتهي الأسئلة، أو تأتي الإجابة في درس من الدروس كالتالي نحن فيها الآن.

وهذا الدليل الأول:

الخضر مع موسى، نبي ورسول ومن أولي العزم يتعلم على يد رجلٍ عادي؟! نعم لأن هذا كلام الله.

فكلنا نحتاج إلى هذا الأمر، لأنه إذا كان موسى احتاج إليه فهل لا نحتاجه نحن!!!.

الدليل الثاني:

قال لنا فيه الله: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (١٥ لقمان) ابحث عن رجل أناب إليّ، ورجع إليّ، وظهرت عليه المواهب الإلهية، فاذهب إليه ليأخذك في طريقه، لتسير فيه حتى تظهر عليك كذلك لوائح المواهب الإلهية والعناية الربانية.

فإن لم تجد الرجل فابحث عن الصادقين واجلس معهم إلى أن تجد هذا الرجل: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) إلى أن تعثر على الرجل الذي قال فيه رب العالمين: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (١٥ لقمان).

إذاً فكلام القرآن كله دعوة لأهل القرآن إلى البحث عن المربي الذي يربي الروح، ويطهر القلب، ويُرَكِّي النفس، ويوصل الإنسان إلى أعلى درجات القرب من الرحمن ﷻ، ويكتبون في كشوف معية النبي العدنان، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.



١٢- الجهاد والفضل

هل يصل الشيخ إلى مقامات القرب من الله بالجهاد أم بالفضل؟



- من قال: بالجهاد فقط فقد أخطأ!
- ومن قال: بالفضل فقط فقد أخطأ، لكن لا بد للإثنين معاً.
- لا بد من الجهاد لتزكية النفس وتصفية القلب.
- ولكن لا يستطيع الإنسان أن يقوم فيها بمفرده، ولذلك قال لنا رب العزة: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣٢ النجم) ...

وإلى من نذهب؟ لمن قال فيه ربه: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ (١٥١ البقرة) إن لم يكن موجوداً، فالوارث موجود، والوارث له حكم مورثه، وهو الموكل بتزكية النفوس، وماذا يعني



تركيتها؟ يعني طهرتها وتطهيرها وهذا هو الأساس الأول، فلا بد من أزكي نفسي، وأصقبي قلبي.

وبعد ذلك أتعرض لفضل الله، فمراحل القرب الإلهية، وأضواء الأنوار الربانية، ومشاهد التجليات الأسماوية، وتنزلات الأنوار القدسية، هذه كلها لا يوجد عمل يؤدي إليها، ولكنها كلها داخله في قول الله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٥٤ المائدة).

كل ما علي أن أجهز نفسي، وبعدها أتعرض لفضل الله، وكيف أتعرض لفضل الله؟ كما عرفنا الصالحون، وكما قال الشيخ أبو اليزيد البسطامي رحمته الله قال: (يا رب بـ) يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس في، فقال: يا رب وهل خزائنك ليس فيها شيء؟ قال: نعم، الذل والعبودية والجهل والفقر فهذه الأوصاف التي يتجمل بها العبيد لكي يفيض عليهم الحميد المجيد من عنده بما يريد، فيتجمل بأوصاف العبودية وهذا هو التعرض:

إذا تعرض عبدي	لنيل فضلي تحلى
بحالة الخسني مني	وبالشهود تملأني
يحببه كل خلقي	والحب مني قـبـلا
يـراه أهـل ودادي	نـور الـهـدى يـتـدلى
يحببه كل قلب	والحب مني قـبـلا
له الملائك تسجد	سجودها لي قـبـلا
وإن نظرت بعيني	للعباد قد صار مولى
وإن نفخت بروحي	للطـين يـعلـى ويـجـلى
وإن فتحت كنوزي	أغنيت قـولاً وفـعـلاً
حكمت أني قريب	هـلّا تقـربـت هـلّا
إليك أقرب منك	بمحكم الـذكـر يـتـلى
هـذا عـطائي وفضلي	وكم منحتك فضـلاً

فلا بد من:

- التخلي للتحلي.

- ثم التجلي.

- ثم التملّي.

وهذه هي المراتب.

فهل ينفع أن نُزَيِّن مسجداً بزينة حديثة عصرية بدون أن نزيل الزينة القديمة؟! لا، وهل ينفع أن يلبس إنسان بدلة جديدة على بدلة القديمة؟! لا.

كذلك لا بد للإنسان أن يتخلّى أولاً عن أوصافه البشرية، وعن صفاته النفسية، ليتحلّى بأوصاف خير البرية، وجماليات العبودية المذكورة في الآيات القرآنية.

إذا تخلّى وتخلّى يُصبح عُرضة لفضل الله، فقد يتجلّى عليه مولاه بأسمائه الحسنى، وبمشاهد قربه، ومؤانسات تسرُّ خاطره وباله، وبما لا يستطيع حصره ولا عده من المشاهد العلية.

ثم بعد ذلك إذا لم يُخرجه ذلك من رق العبودية، لأنه عندما يرى هذه المشاهد قد يَغْتَرَّ فينصر، فيرفعه الله إلى مقام التملّي لشهود الحضرة المحمدية، وشهود الجمالات السماوية، ثم بعد ذلك التملّي بما يُمنّحه من الحضرة العلية - على قدره - من الأسرار الذاتية.

فلا بد للإثنين معاً؛ المجاهدة والتعرض لفضل الله، فكل الذي يحصّله ذلك، ما الذي يوصل له من أبواب العبادات؟ وهل العبادات تُدخل واحد منا الجنة؟ ولو كانت عبادة الواحد منا طوال عمره كعبادة الملائكة فهل يدخل الجنة؟ النبي قال لا:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَئِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَئِنْ أُنَا،

إِنَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ { ١١ }

وفي رواية أخرى:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ { ١٢ }

هذه الجنة، فما بال الذي يريد المنن الإلهية والعطايا الربانية؟! هذه فضل من الله لمن تأهلوا وتحجزوا واستمطروا فضل الله، فأصبحوا موضعاً يظهر الله ﷻ فيه عطاؤه وخباؤه وجباؤه لأهله وأوليائه وأنصاره، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

ظهر في الزمن الذي نحن فيه كثير من الكسالى، يقولون: الأمر كله بفضل الله، وطالما كذلك فلن أعمل وسأستريح والفضل سيأتي إلي!!

كيف سيأتي الفضل!!

لا بد لكي يحصل الإنسان على الفضل أن يكون عنده جهاد!

وأعلى أنواع الجهاد التي توصّل لهذا الفضل هو التعرض للقائمين بدعوة الله، ومعاونتهم ومساعدتهم على إبلاغ رسالات الله، كما حدث مع أصحاب رسول الله.

ذهب أحدهم للشيخ أبو اليزيد وقال له: أنا أريد أن يحبني الله، فقال له:

(تَقَرَّبْ إِلَى أَحَدِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ فِي قَلْبِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَإِذَا أَحَبَّكَ نَظَرَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْكَ فِي قَلْبِهِ فَأَحَبَّكَ، وَإِذَا أَحَبَّكَ فَبَنَى طَاعَتَهُ هِدَاةً، وَلِلْمَقَامَاتِ الْعَلِيَّةِ اصْطِفَاةً.)

فإذا تقربت للرجل الصالح فهل يريد مني شيئاً؟ لا يريد منك شيئاً، إلا أن تعاونه على نشر دين الله، وعلى العمل على إعلاء كلمة الله:

١١ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٢ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ
وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٩٥ النساء).

مَن هم أصحاب رسول الله الذين لهم المنن العلية؟

الذين كانوا معه في المواقف العصبية في نصرة الشريعة الإسلامية، وهكذا.

الصالحون في كل زمان ومكان لم أكرمهم الرحمن؟ لأنهم نذروا حياتهم لله، وجعلوها كلها في خدمة شرع الله، وإقامة سُنَّة حبيبه ومصطفاه، وهداية الخلق إلى الله، ولا يرجون من وراء ذلك إلا رضاه ﷻ، فمن أراد الفضل فليشارك أهل الفضل فيما هم فيه.

لكن أنت جالس في مدرجات، والنادي أعلن أن من يفوز اليوم في المباراة سيربح مليون دولار، فهل يحصل أحدٌ ممن هم في المدرجات على شيء من هذا المبلغ؟ لا، مع أنك دفعت التذكرة لتدخل، لكن الذي يفوز بهذه المكافأة الذي عرق وتعب وبذل مجهوداً لكي يؤدي إلى هذا النصر، وهذه هي سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



نح بفضل الله وبركة حبيبه صلى الله عليه وسلم

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



✽ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

✽ النشاط: يعمل رئيساً للجمعية العامة

للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها

الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية. كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم افتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

✽ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحيابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم. ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

✽ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبتريخ المبادئ القرآنية.

❖ قائمة المؤلفات : ٩٩ كتاباً في أربع عشرة سلسلة

أولاً : في تفسير القرآن الكريم (٥)

- (٤) نفحات من نور القرآن (ج ١)، (١٧) نفحات من نور القرآن (ج ٢)،
(٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية عليه السلام،
(٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين (جزء ١).

ثانياً: الفقه (٧)

- (٢) زاد الحاج والمُعتمر (ط)، (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (ط) (ترجم إنجليزي
وإندونيسي*) (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة (٥٤) مختصر زاد الحاج والمُعتمر (ط)،
(٧١) الصيام شريعة وحقيقة (٧٢) إكرام الله للأموال (٩٥) صيام الأتقياء.

ثالثاً : الحقيقة المحمدية: (١١)

- (٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج ١ (ط)،
(٢٢) الكمالات المحمدية (ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو
رسول الله ﷺ (ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج ٢، (٦١) السراج المنير،
(٧٠) ثاني اثنين، (٨٥) الجمال المحمدي ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج،
(٩٠) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

- (١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي (ط)، (٣) الشيخ محمد علي سلامه سيرة وسيرة،
(٤١) المري الرباني السيد أحمد البدوي، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي (ط)،
(٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي. (٩٧) الإمام أبو العزائم سيرة حياة.

خامساً: الدين والحياة: (٧)

- (٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات في الإسلام (ط) (٣٤) كيف يحبك الله (ط) (مترجم
إنجليزي)، (٣٩) كونوا قرآناً يمشي بين الناس (ط) (مترجم إنجليزي)، (٥٠) قضايا الشباب
المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (تم تنزيل أكثر من
٢٨٠٠٠ نسخة إلكترونية من هذا الكتاب من الموقع)، (٩٢) فقه الجواب
(إجابة أسئلة الموقع ج ١).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

- (١٦) المولد النبوي، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج، (١٨) شهر شعبان و ليلة الغفران،
(١٩) شهر رمضان وعيد الفطر، (٢٠) الحج وعيد الأضحى، (٢١) الهجرة ويوم عاشوراء،
(٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (ط).

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

- (٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثامناً: المرأة المسلمة (٤)

- (٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (ط) (ترجم إنجليزي)، (٤٣) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزي)،

(٤٤) فتاوى جامعة للنساء (٢ط)، (٧٤) الحب والجنس في الإسلام،

ثامناً: الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط) (ترجم للأندونيسية)،
(٢٥) طريق المحبوبين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء والمشاهدة (٢ط)،
(٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقى الصالحين،
(٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب في يوم عاشوراء للقاوقجي (تحقيق)،
(٦٠) نوافل المقربين، (٦٤) أحسن القول، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام
(٨٨) مجالس تركية النفوس ج ١، (٨٩) مجالس تركية النفوس ج ٢.

تاسعاً: الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتيح الفرج (١٢ط) (ترجم إنجليزى وأندونيسى)، (١٥) أذكار الأبرار،
(٣٧) مختصر مفاتيح الفرج (٥ط) (٣٨) أذكار الأبرار (صغير) (٣ط)،
(٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح) (٢ط)، (٥٦) نيل التهاني بالورد القرآني،
(٧٣) جامع الأذكار والأوراد.

عاشراً: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء، (١٢) أبواب القرب ومنازل
التقريب، (٢٩) الصوفية في القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية)،
(٣٦) المنهج الصوفي والحياة العصرية، (٤٢) الولاية والأولياء، (٤٩) موازين الصادقين،
(٥١) الفتح العرفاني، (٥٣) النفس وصفها وتزكيتها، (٥٨) سياحة العارفين،
(٦٣) منهج الواصلين، (٦٥) نسيمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء،
(٧٧) شراب أهل الوصل، (٨٣) مقامات المقربين، (٩٨) آداب المحبين لله.

حادى عشر: الفتاوى (٥)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب، (٧٦) فتاوى فورية ج ١، (٨٠) فتاوى فورية ج ٢،
(٨٤) فتاوى فورية ج ٣، (٨٦) فتاوى فورية ج ٤

ثانى عشر: أسئلة صوفية (٣)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم أيضاً للغة الإنجليزية)،
(٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (٩٩) إشارات العارفين.

ثالث عشر: حوارات مع الآخر (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر،
(٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

رابع عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)،
(٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة. (٦٦) بشائر الفضل الإلهي،

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ شارع الشيخ ربحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع محمد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلانى
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولى
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولى مدينة نصر
٩ شارع عدلى جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش.د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصنادقية بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الإسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامى الثقافى
٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك محمد سعيد موسى
٤ ش النبي دانيال، محطة مصر	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	مكتبة الصياد
٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	مكتبة سبيويه
محطة الرمل - أ/ أحمد الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	الكشك الأبيض

الأقاليم		
الزقازيق - بجوار مدرسة عبد العزيز علي	محمد -----	كشك عبد الحافظ
الزقازيق - شارع نور الدين	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا - أمام مسجد السيد البدوي	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا - ٩ ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قرية
كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامي أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ، أ/عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادي، أ/عاطف وفدي	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة - ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية
طلخا - المنصورة - بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبري طلخا	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	صحافة أخبار اليوم ح محمد الأترجي
فايد - أحماده غزالي بربري	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	مكتبة الإيمان
السويس، ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	كشك الصحافة
سوهاج - شارع احمد عراي أمام التكوين المهني	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	أولاد عبدالفتاح السمان
قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	كشك أبو الحسن
القرايا - إسنا - ش السيدة زينب - الحاج محمد الرئيس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	كشك القرايا - إسنا
كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمىد بإسنا - الأقصر	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى بإسنا

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجاناً من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨.

الفهرست

٣	المقدمة
٦	تمهيد
٩	الباب الأول: إشادات العارفين وتلميحاتهم
١١	١ - الدخول مع باب الحب
١٤	٢ - بين العالم والعارف
١٥	٣ - إخلاص الصادق والصديق
١٦	٤ - آخر المقامات
١٨	٥ - علامة المحبة
١٩	٦ - حقيقة التوكل
٢١	٧ - التسليم والتقويض
٢٢	٨ - الخمول في الطاعة
٢٦	٩ - الاستحضار في التشهد
٢٧	١٠ - الإنسان الكامل
٢٩	١١ - مع إشادات أبي يزيد البسطامي
٣٠	١٢ - معرفة الله
٣١	١٣ - واجب الوقت
٣٣	١٤ - التحقق بمقامات القرب
٣٣	١٥ - الموت والحياة بالحق
٣٤	١٦ - الصوفية والأنس بالخالق وبالخلق
٣٦	١٧ - الجلوس مع الله
٣٧	١٨ - الجمع على الله
٣٨	١٩ - زهد المقربين
٣٩	٢٠ - سر الوصول
٤١	٢١ - الرب والعبد
٤٢	٢٢ - الطرائق إلى الله

٤٣	٢٣- الإشارة في معنى الفرقان
٤٥	الباب الثاني: مصطلحات أهل الطريق
٤٧	١- مصطلحات الصوفية
٤٨	٢- بيه تعريف العشق والمحبة
٤٩	٣- الصمت: درجاته، وثمته
٥١	٤- السباحة الروحية
٥٣	٥- الزهد ودرجاته
٥٤	٦- الورع ودرجاته
٥٦	٧- معنى الحال
٥٧	٨- محبة الجود وبذل المجهود
٥٩	٩- الصوفي والعاقد والزاهد
٦٠	١٠- الدويش
٦٠	١١- لغة الأنواع
٦٢	١٢- المدد
٦٨	١٣- الحال وتركبة النفس
٧٠	١٤- الحلول والاتحاد
٧٢	١٥- تصفية النفس
٧٤	١٦- الإلهام
٧٦	١٧- حاجز النفس
٧٧	١٨- العلم اللدني
٧٨	١٩- مقام التجريد
٧٩	٢٠- الحجب
٨٠	٢١- الملامية
٨٢	٢٢- السكر والخمر
٨٤	٢٣- الذوق
٨٦	٢٤- بداوة النفس
٨٧	٢٥- البت

٨٧	٢٦- الجمع والفرق
٨٩	٢٧- الاصطلاح
٨٩	٢٨- العشق والمحبة
٩١	٢٩- مقام الفناء
٩٣	٣٠- الخلوة مع الله
٩٣	٣١- الفناء والحلول والاتحاد
٩٥	الباب الثالث: إزالة اللبس وكشف الغموض
٩٧	١- أقوال ملفقة للبسطامي
٩٩	٢- الخواطر
١٠٠	٣- كتاب الطبقات الكبرى للشعراني
١٠٢	٤- كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي
١٠٣	٥- التفاسير الصوفية
١٠٥	٦- مشاهد الخاصة
١٠٦	٧- سماع المدايح النبوية والتغني بها
١٠٨	٨- الذكر بالعدد
١١٠	٩- الذكر بـ (هو)
١١١	١٠- ذكر الحضور
١١٣	١١- سلطان الحقيقة
١١٥	١٢- حسيه مني
١١٧	١٣- أهل السنة والجماعة
١٢٣	١٤- الأقطاب الأربعة
١٢٥	١٥- تأنيب النجوم والكواكب على النباتات
١٢٧	١٦- التوبة ومراتب الولاية
١٣١	١٧- مصطلح الطريق
١٣٦	١٨- توقيد الأشياء
١٣٩	١٩- الذكر الإلهي
١٤٠	٢٠- الإنتفاع بالأولياء المنتقلين

١٤٢	٢١- علوم الأنبياء وعلوم الأولياء
١٤٤	٢٢- بيه الأنبياء والصالحين في القرب من الله
١٤٧	٢٣- إسماءات الصالحين: ١٤٥، ٢٤- الهوائف
١٥٠	٢٥- التمايل في الذكر
١٥٢	٢٦- تربة الخلاص
١٥٣	٢٧- الكرامة والإستدراج
١٥٦	٢٨- الرؤيات المنامية للسالكين
١٥٨	٢٩- رئيسة الديوان
١٥٩	٣٠- رؤية السيدة زينب مكشوفة الرأس
١٦١	الباب الرابع: التصوف والصوفية
١٦٣	١- كيفية عرض التصوف الصحيح
١٦٥	٢- التصوف ونهضة الأمة
١٦٧	٣- الصوفية والشرعة
١٦٨	٤- الصوفية والعزلة عند الناس
١٧١	٥- التصوف والفلسفة
١٧٢	٦- مصادر التلقي عند الصوفية
١٧٤	٧- جهاد النفس عند الصوفية
١٧٦	٨- علامات معرفة الله تعالى
١٨٠	٩- الصوفية والمجتمع
١٨١	١٠- الصوفية في حجب الحق
١٨٢	١١- الموالد
١٨٥	١٢- الشافعي والصوفية
١٨٧	١٣- الحرب مع الله على أعداء أوليائه
١٨٩	١٤- أضحية الصالحين
١٩٣	١٥- آداب زيارة الأضحية
١٩٥	١٦- سمات المنهج الصوفي المعتدل
١٩٦	١٧- مصطلح التصوف

١٩٨	١٨- الصوفي والدعي
١٩٩	١٩- حال التصوف الآن
٢٠١	٢٠- سر الهجوم على التصوف والصوفية
٢٠٣	٢١- الصوفية والحياة السياسية
٢٠٤	٢٢- الصوفية ولبس الصوف
٢٠٥	٢٣- التصوف الحقيقي
٢٠٧	٢٤- تعدد الطرق الصوفية
٢٠٩	٢٥- دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات
٢١٠	٢٦- الصوفية ونشر الإسلام في العصر الحديث
٢١١	٢٧- التصوف والسلبية
٢١٣	الباب الخامس: بيه الشيخ والمريد
٢١٥	١- بيعة المريد لأشياخهم
٢١٨	٢- طاعة المريد للشيخ
٢٢٠	٣- بيه المريد وشيخه
٢٢٢	٤- بيه المريد والمراد
٢٢٤	٥- حال المريد مع شيخه
٢٢٦	٦- تزكية الشيخ للمريد
٢٢٨	٧- البحث عنه المريد
٢٢٨	٨- أوصاف الولي المرشد
٢٣٠	٩- الولي والشيخ المريد
٢٣٣	١٠- صفات المريد
٢٣٧	١١- أدلة البحث عنه الشيخ
٢٤١	١٢- الجهاد والفضل
٢٤٦	نبذة عنه الشيخ فوزي محمد يوزيد
٢٤٧	قائمة مؤلفات الشيخ
٢٤٩	قائمة المكتبات
٢٥١	الفهرست

لملاحظات القارئ الكريم

هذا الكتاب



الشيخ فوزي محمد فوزي

إن العارفين الصادقين الذين سلكوا مقام التحقيق بعد أن تأهلوا بالشرع الدقيق وعملوا به حتى ظهرت لهم لوايح أنوار التحقيق ، واجتباهم الله عز وجل بعد أن هداهم به إليه ، جعل لهم سبحانه قدم صدق عنده ليقوموا باصطحاب إخوانهم ودلالة أحبابهم على الطريق السوي الموصل إلى رضوان ربهم .

وهم في هذا الميدان يسيرون إلى حال (لا حول ولا قوة إلا بالله) فلا يكون لهم حال إلا ما يمدهم به الله عز وجل ولا علم إلا ما ينزل على قلوبهم من ربهم ، فقد علمهم الله بعد أن اتقوه وآتاهم رحمة من عنده وعلمهم من لدنه علماً إقرأ هذا الكتاب



زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com

تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادي - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة
القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزي محمد فوزي بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر